

43350

المجلات
 حي الرواد - شارع محمد السادس - حافة ١٠١٣١٠
 ص. ب. ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
 الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
 مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
 صاحبها ورئيس تحريرها محمد الجابري

للإشتراك (السنوي)
 ١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
 الإعلانات: يتفق عليها الإدارة
 حتى الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٤، ٣ س ٢٤ رمضان / شوال ١٤٠٩ هـ - آذار / آيار (مارس / أبريل) ١٩٨٩ م

نظرة في المعاجم العربية الحديثة

اللغة أبرز مقوم من مقومات الأمة، تنمو وتتطور في إبان رقيها وازدهارها، وتجمد وتتوقف فيها الحياة في أيام انحطاطها وخمولها. إنها صورة الأمة تعكس تفكيرها وخيالها ومهاراتها.

ذلك بأن اللغة والفكر توأمان لا ينفصلان، وتتسع اللغة وتغنى بقدر ما يقدمه أبنائها من خبراتهم ومبدعاتهم في ميادين الحضارة والتقدم.

وهذه المكانة السامية التي تحتلها اللغة في حياة الأمة هي التي تُفصح عن الأسباب العميقة الكامنة التي تدفع الأمم جميعاً أن تُولي لغاتها العناية البالغة، وتحرص الحرص الشديد على ازدهارها وتطورها.

ولقد عرفت اللغة العربية بسعتها وثرانها، وما تملك من وسائل النُمو والتطور.

وإن التراث العربي بخصبه وتنوعه وغزارته وكثرة مبتكراته لشاهدٌ عدل ينطق بقدرة اللسان العربي وطواعيته لإستيعاب أنواع العلوم والمعارف، ودليلٌ مبين يكشف عن كفايته في التعبير عن أدق المعاني وأجلها على السواء.

إن الخطوة الأساسية الأولى التي لا بُدَّ منها في تأصيل العلوم وتوطئتها لتمضي الأمة العربية في طريق النهضة العلمية وتشارك فيها، هي اصطناع العربية لغة التعليم والتأليف والبحث، إلى جانب اصطناعها لغة الحديث والإعلام والحياة اليومية.

ومثل هذا الاصطناع يتطلب تظافر الجهود في عدة ميادين، يُضَمُّ بعضها إلى

بعض في تعاون وثيق ، لتقوى اللغة العربية على القيام بمهمتها الحضارية على الوجه الأمثل .

ويأتي في مقدمة ما يحسن القيام به للنهوض بالعربية وَضَعُ المعاجم الحديثة ، التي تلبى رغبة الباحث المتعمق ، والمثقف الدارس ، والطالب الناشئ ، تقدم لهم التفسير الدقيق المحدد لما يغمض عليهم من ألفاظ ، وتقربها إليهم واضحة سهلة ، فتغني بذلك ثروتهم اللغوية ، ويصبحون أقدر على التعبير عن المعاني التي تخالجهم ، والخواطر التي تراودهم .

كذلك فإنَّ المعجم يُسَعِّفُ في ضبط الألفاظ وتحديد دلالاتها ، ويجنب الناس خطأ التعبير الذي يُؤدِّي إلى سوء الفهم .

ولمَّا للمعجم من شأن كبير في حفظ اللغة وضبط معانيها ، فقد كثرت عناية الأمم بوضع المعاجم ، وافتتت في تنويعها ، وحرصت على تجديدها لِتُلَبِّي الحاجات المتجددة ، وتستجيب للمتطلبات التي يفرضها التطور ودواعي العصر .

وحين انبعثت النهضة العربية الحديثة كان من أول ما قام به دعاؤها ومفكروها نشر التراث العربي والاهتمام بالمعاجم التي أولوها عناية بالغة . وقد مضوا في طريقين :

١ - أولهما : طبع المعاجم العربية القديمة بأنواعها المختلفة :

(١) ك «جمهرة اللغة» و«الصحاح» ، و«لسان العرب» ، و«القاموس المحيط» ، و«تاج العروس» وأمثالها من معاجم الألفاظ العامة الشاملة .

(٢) وك «المصباح» للفيومي ، و«المغرب» للمطرزي ، و«طلبة الطلبة» للنسفي ، وأمثالها من معاجم الألفاظ الخاصة .

(٣) وك «المخصص» لابن سيده ، و«فقه اللغة» للثعالبي ، وأمثالها من معاجم المعاني .

(٤) وك «جواهر الألفاظ» لقدامة ، و«الألفاظ الكتابية» للهمداني وأمثالها من كتب الألفاظ والتعابير المترادفة .

(٥) وك «مفاتيح العلوم»، لأبي عبدالله محمد الخوارزمي، و«التعريفات»، للجرجاني، و«كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي، و«الكليات» لأبي البقاء الكفوي، و«جامع العلوم في اصطلاحات الفنون» (الملقب بدستور العلماء) للقاضي الأحمد نكري، وأمثالها من معاجم المصطلح .

وهو باب واسع أفتنَّ فيه العربُ، وأكثرُوا من التأليف فيه، من أمثال كتب الغريب، واصلاح المنطق (تثقيف اللسان، ولحن العامة... .)، والفصيح، والنوادر، والأضداد، والهمز، والأبنية، والإبدال، والإتباع، والمثنى، والفروق... .

وليس من هَمَّنَّا حصر ذلك وتعداد أنواعه، وإنما هي الإشارة الدالة على نماذج من التأليف المعجمية العربية القديمة التي طُبعت في العصر الحديث، وكان لها أثرها في النهضة اللغوية الحاضرة^(١).

٢ - وأما الطريق الثاني الذي نهجه علماء اللغة في عصر النهضة الحديثة تعزيزاً لعنايتهم بالمعجم العربي فهو التأليف، كي يصبح المعجم العربي حديثاً مُلَبِّياً لحاجات العصر ومتطلباته، متضمناً كل ماجدَّ في اللسان من مصطلح وأساليب دارت على ألسنة العلماء، واصطنعها الأدباء والمؤلفون في كتبهم ورسائلهم . وقد تنوعت المعاجم في العصر الحاضر تنوعاً كبيراً استجابة لمطالب العصر، وسلك المؤلفون طرائق شتى ليلبوا الحاجات المتزايدة المختلفة .

ثم إنهم لم يكتفوا بالمعاجم الأحادية اللغة، ينهجون في تأليفها وجوها شتى، بينها العام الشامل، وبينها المتخصص، ومنها ما يقتصر على اللغة الخالصة وحدها، ومنها ما يمدُّ من آفاقه ليضمَّ إلى اللغة الأعلام وما شابهها .

بل أفتنُّوا في تأليف معاجم ثنائية اللغة وثلاثيتها وفوق ذلك، تسهيلاً للباحثين والدارسين، واستجابة لمطالب العلم والتطور والنهضة .

ولن أعرض في كلمتي لهذا الفيض الدافق من المعاجم باتجاهاته المختلفة فلذلك موضع آخر^(٢). ويكفيني هنا أن أحصر بحثي في عرض أشهر ما ألف من المعاجم العامة الشاملة في العصر الحديث، ألمُّ بها إلمامة سريعة، توطئة لبيان

الضرورة في تأليف المعجم المتوسط المرتقب ، الذي أسفر عنه الاجتماع الخاص الذي عقد في الكويت في مقر (الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي) في المدة (١١ - ١٣/٧/١٩٨٨م).

١ - «محيط المحيط»: لبطرس البستاني :

يعد المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣م) رائد التأليف المعجمي في العصر الحديث. ألف معجمه «محيط المحيط» وأصدره في مجلدين (١٨٦٦ - ١٨٧٠م). وصرح في مقدمته بأنه يقدم كتابه هدية للسلطان العثماني عبدالعزيز خان .

رتب البستاني مواد اللغوية على أوائل الحروف ، وأوضح الطريقة التي نهجها في تأليف معجمه فقال : (إذا شئت كشف لفظة ، فإذا كانت مجردة فاطلبها في باب أول حرف منها، وإذا كانت مزيدة فَجَرِّدْهَا أولاً من الزوائد ، ثم اطلبها في باب الحرف الأول مما بقي . وإذا كان في الكلمة حرف مقلوب عن آخر فاطلب تلك الكلمة في مكان الحرف الأصلي المقلوب عنه . وكل ذلك يسهله الاستعمال والممارسة . واعلم أن ج مقطوعة من جمع) .

وبين المؤلف أن معجمه يحتوي على ما في «القاموس المحيط» للفيروزآبادي من مفردات اللغة، وعلى زيادات كثيرة، وقد ألحق بذلك اصطلاحات العلوم والفنون، وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد ، وغير ذلك مما لا يتعلق بمتن اللغة . وذكر كثيراً من كلام المولدين ، وألفاظ العامة ، مُنبِّهاً في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة^(٣) .

ولهذه الإحاطة الشاملة سَمَّى البستاني كتابه «محيط المحيط» . ويُحسُّ مطالعه بالجهد الكبير الذي بذله المؤلف ، وكثرة الكتب والمطازن التي استعان بها . وساعده في ذلك معرفته بالسريانية واللاتينية والايطالية والعبرانية وغيرها من اللغات .

وفي المعجم فوائد كثيرة لا تكاد تجدها في معجم سابق . وتناثرت فيه أشعار العرب الأقدمين والمولدين ، وكلام البلغاء والكتاب ، ونقل من «مقامات

الحريري» وأمثالها شواهد وأمثلة ، وفسر كثيراً من ألفاظ الدين المسيحي .
ومما أُخِذَ عليه أنه لم يلتزم ببيان العامي وتمييزه من الفصح ، كما وعد ، ووقع
في هفوات كثيرة ، أشار إلى جملة منها الشيخ إبراهيم اليازجي في كتاب
«التنبيهات»^(٤) .

وبنه سعيد الشرتوني على أن «محيط المحيط» قد دُسرَّ فيه من الكلمات العامية
بلا تنبيه على عاميتها ، وجُعِلَتْ جملةً من الألفاظ العامية مولدةً ، وحكم فيه على
بعض الفصح أنه عامي . وتابع ما وقع في «القاموس المحيط» من غلط^(٥) .
ويقال : إنَّ من أسباب وقوع البستاني في الزلل استمداده من «المعجم العربي
اللاتيني» الذي ألفه جورج فريتاغ^(٦) .

٢ - «قطر المحيط» : لبطرس البستاني :

وقد ألفه البستاني في عام ١٨٦٩م ، وهو موجز عن كتابه «محيط المحيط» ،
وغايته من تأليفه تسهيل اللغة وتقريبها إلى الطلاب . فالكتاب يرمي إلى غرض
تعليمي خالص . يقول البستاني : (فمن طلب قرب الطريق والمناولة ، فعليه
بكتابنا المسمى بـ «قطر المحيط» الذي - مع أنه أخصر منه مقالاً وأقرب مجالاً -
لا يقصر عنه في الفوائد المتعلقة باللغة الأصلية والنوادر الصرفية
والنحوية...^(٧) .

٣ - «أقرب الموارد، في فصح العربية والشوارد» : لسعيد الشرتوني :

ألف سعيد الشرتوني معجمه «أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد»
وأصدره في مجلدين سنة ١٨٩٠م^(٨) .
وقد رمى من تأليف المعجم إلى غاية تعليمية ، ليساعد الطلاب في تعرف
المعاني ومايليق بها من الألفاظ ، وتراءى لهم بلاغة كلام المتقدمين .

وسلك المؤلف في ترتيب معجمه طريقة سلفه المعلم بطرس البستاني في «محيط
المحيط» و«قطر المحيط» فأورد الألفاظ منسوقة على أوائل أصولها ، وقدم للمعجم
بما يساعد قارئه على الإفادة منه ، وعدد مصادره التي استقى منها مادة كتابه
وهي :

(١) «لسان العرب» لابن منظور، (٢) «أساس البلاغة» للزخشي، (٣) «الصحاح» للجوهري، (٤) «المصباح المنير» للفيومي، (٥) «مفردات القرآن» للراغب الاصفهاني، (٦) «المغرب» للمطرزي، (٧) «تاج العروس» للزبيدي، (٨) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، (٩) «المجمل» لابن فارس، (١٠) «مختار الصحاح» للرازي^(٩).

وكان من مصطلح المؤلف لتسهيل المراجعة في كتابه أن وضع كل مادة في صدر السطر، مكتتفة بنجمين، وكذلك فعل بكل فرع من فروعها فحصره بين هلالين^(٩).

ويعد معجم «أقرب الموارد» من أكبر المعاجم التي ظهرت في القرن التاسع عشر.

الذَّيْل :

ثم أضاف الأستاذ الشرتوني إلى معجمه «أقرب الموارد» ذيلًا ضمنه ثلاثة أمور :

- (١) - ما كان أهمله وذهل عنه من الكلم الوارد في كتب أهل اللسان .
- (٢) - ما نَدَّ عن التدوين في المعاجم .
- (٣) - إصلاح ما وقع من الأغلط في معجمه «أقرب الموارد» .

وأصدره في مجلد واحد عام ١٨٩٤ م . وصرح في مقدمته بأنه يهدي كتابه إلى السلطان العثماني عبدالحميد خان^(١٠).

وقد آثر البستاني والشرتوني فيما ألفاه من معاجم التَّقْيِدَ بعبارات الأقدمين اللغوية، وعبارة صاحب «القاموس» خاصة . وصرح الشرتوني بذلك وعلمه . قال: (وقد تحريت المحافظة على عبارات الأقدمين . . . فهم أَرْحَبُ منا فهما لمعاني كلام العرب . . .)^(١١).

٤ - «معجم الطالب»: لجرجس همام الشويري :

صدر «معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات

العلمية والعصرية» لخرجس همام الشويري في عام ١٩٠٧م (المطبعة العثمانية – بَعْبَدًا / لبنان)^(١٢).

وقد رمى مؤلفه إلى جمع الشائع من الألفاظ، وضمَّ ما استحدث من المصطلحات العلمية في معجم: (يجمع بين غزارة المادة... وتحرير العبارة)، ويلبي حاجة طلاب المدارس ومقتضيات العصر، ويبرأ من التعقيد.

وقد استعان الشويري في عمله بـ «لسان العرب» و«تاج العروس» و«الصحاح» و«أساس البلاغة»، و«المصباح» و«محيط المحيط» وغيرها^(١٣).

والحق أن مؤلف معجم الطالب قد أفاد من كتاب «محيط المحيط» في جمع مادة كتابه وترتيبها.

٥ – «المنجد»: للأب لويس المعلوف:

أخرج الأب لويس المعلوف معجم «المنجد» عام ١٩٠٨م، وقد نهج في ترتيب موادّه نهج «محيط المحيط» و«أقرب الموارد»، وأفاد منها كثيراً.

ولكنه تقدم خطوات جديدة في الترتيب، فقسم كل مادة إلى فصول وفقاً للمعاني، واصطنع اصطلاحات للدلالة على صيغة الكلمة أو صفتها ووضعها مثل:

(فا = اسم الفاعل، ج = الجمع، مث = المثني، فك = علم الفلك...).

وجاء في ختام المنجد رسالة صغيرة بعنوان: (فرائد الأدب في الأمثال والأقوال السائرة عند العرب).

وقد أقبل الطلاب على «المنجد» وتداولوه لحسن ترتيبه، وسهولة المراجعة فيه، فطبع مراراً، وعني المشرفون عليه بتحسينه، والإفادة من التقنيات الجديدة في طبعه وإخراجه.

وألحق بـ «المنجد في اللغة» في عام ١٩٥٦م (الطبعة العاشرة) «المنجد في الأعلام».

وصدرت طبعة «المنجد في اللغة والأعلام» السابعة والعشرون عام ١٩٨٤ م .
ومن حسنات «المنجد» عنايته بالصور والخرائط التي تعين في إيضاح المراد
وبيانه . وعلى ماناله «المنجد» من رواج فإنه تعرض لنقد لاذع، دَعَا إليه ماتورط
فيه من أغلاط في اللغة ، وأوهام في الاعلام^(١٤) .
وفي عام ١٩٤١م أصدر الأستاذ فؤاد أفرام البستاني مختصراً للمنجد في اللغة
سماه «منجد الطلاب» .

٦ - «المعتمد»: لجرجي شاهين عطية :

صدر معجم «المعتمد في ما يحتاج إليه المتأدبون والمنشئون من متن اللغة العربية»
لجرجي شاهين عطية في عام ١٩٢٧م (مطبعة صادر - بيروت)^(١٥) .

ويبين المؤلف في مقدمته أن الحاجة ماسةً إلى معجم جديد يستوفي شروط الدقة
والإحكام ، مع سهولة المأخذ ، وحسن الأسلوب ، ليستجيب لمتطلبات النشء
الحديث في المدارس ، وممكنهم من الوقوف على مفردات اللغة ، والإحاطة بمعاني
كلماتها دون عناء .

وعني المؤلف بالدلالة على الألفاظ المولدة والدخلية ، مشيراً في المغرب منها إلى
اللغة التي هو منقول عنها .

وأدمج من الألفاظ الدالة على المخترعات الحديثة والمصطلحات العلمية ماتم
عليه اتفاق علماء العصر وكتابه .

وكان معتمده الأول في معجمه «لسان العرب» و«تاج العروس» ، واجتنب
ماتساهل فيه بعض مؤلفي المعجمات من إثبات الألفاظ العامية أو التي لم يوافق
جهازة النقد وأمرء البلاغة على استعمالها^(١٦) .

وقد زين المعجم بصور قليلة تعين على إيضاح المراد .

٧ - «البستان»: لعبدالله البستاني:

قام عبدالله البستاني (١٨٥٠ - ١٩٣٠م) بتأليف معجم «البستان» وأصدره في

جزأين مابين سنتي (١٩٢٧ - ١٩٣٠م / المطبعة الأميركية - بيروت) (١٧).

قضى المؤلف في تهيئة كتابه زهاء عشر سنين (١٩١٧ - ١٩٢٧م)، وقد فرغ من تبييضه (١٩٢٧م) ليقدمه إلى المطبعة، ولم يُتَحَّ له أن يضع مقدمة لكتابه يكشف فيها عن بواعث تأليف المعجم، ويوضح المزايا التي وفرها لعمله، فقد أرجأ كتابة المقدمة حتى يتم طبع الكتاب، ولكن المنية وافته قبل إنجاز طبع الجزء الثاني من كتابه بعشرة أيام (١٨).

وقد استعان عبدالله البستاني في جمع مواد كتابه بمعاجم اللغة كـ «اللسان» و«التاج» وغيرها من كتب المتقدمين، كما أفاد من كتابي «محيط المحيط» و«أقرب الموارد» وماتلاهما من كتابات أكابر النقاد اللغويين. ولم يُجَارِ في كتابه صاحب «محيط المحيط» في إثبات الألفاظ العامة.

٨ - «فاكهة البستان»: لعبدالله البستاني :

توخى البستاني في معجمه «فاكهة البستان» تلبية حاجة طلاب المدارس إلى معجم يفي بمتطلباتهم، ويسهل عليهم معرفة مفردات اللغة، فاختصر كتابه المطول «البستان» وأصدره في جزء واحد سنة ١٩٣٠م (المطبعة الأميركية - بيروت)، وسماه: «فاكهة البستان» (١٩).

٩ - «المعجم المدرسي»: لزين العابدين التونسي :

ألف الأستاذ زين العابدين التونسي معجماً صغيراً (٢٠)، يعين طلاب المدارس في الكشف عن معاني المفردات اللغوية، ويؤهلهم لمطالعة المعاجم المبسطة. وقد طبع الكتاب غير مامرة، وعني مؤلفه بتيسير عبارته وتقريبها إلى الناشئة.

١٠ - «معجم متن اللغة»: للشيخ أحمد رضا :

كَلَّف (مجمع اللغة العربية بدمشق) العلامة الشيخ أحمد رضا (١٨٧٢ - ١٩٥٣م) عضو المجمع وضع معجم مبسوط في اللغة، وصدع الشيخ أحمد بالأمر، وأكبَّ على عمله يجمع ويهيئ مدة عشر سنين (١٩٣٠ - ١٩٣٩م)، مستعيناً بأمهات كتب اللغة، ولاسيما «لسان العرب» و«تاج العروس» ويليها

«أساس اللغة» للزخشي و«مختار الصحاح» للرازي، و«المصباح المنير» للفيومي، فإذا نقل عن غير هذه الكتب الخمسة نبّه على ذلك وأشار إليه (٢١).

ثم إنه أعاد في عمله وأبداً منقحاً مهذباً حتى استقام له كما يجب سنة ١٩٤٧م. وكان المأمول أن ينهض المجمع بطبع المعجم عام ١٩٤٨م، طبق الاتفاق المبرم بينهما. ولكن أموراً قاهرة حالت دون ذلك. وتوفي الشيخ أحمد رضا رحمه الله قبل أن يرى كتابه النور.

وشاء الله أن تتألف لجنة لطبع آثار الشيخ، وفي مقدمتها معاجمه اللغوية الثلاثة: «متن اللغة» و«الوسيط»، و«الموجز».

وصدر كتاب «متن اللغة» في خمسة مجلدات، مابين سنتي (١٩٥٨ - ١٩٦١م / دار مكتبة الحياة - بيروت) (٢٢).

وكتاب «متن اللغة» يعد صفحة جديدة في حركة المعجم العربي الحديث. إنه من أوسع المعجمات وأوثقها وأدقها وأضبطها. وللمؤلف مقدمة طويلة بين يدي الكتاب، تناول فيها أبرز قضايا اللغة العربية، ثم عرض لبيان الطريقة التي اختارها في ترتيب كتابه: رتب على أصل المادة المجردة من الزيادات في الحروف، على نسق الحروف الهجائية. وبدأ في المادة بذكر الفعل الثلاثي المجرد ثم المزيد. ثم عقب بذكر الأسماء على نسق معلوم. وهكذا مضى يوضح المنهج الذي اختاره لترتيب مواد معجمه (٢٣).

وأثبت المؤلف في معجمه الألفاظ الدخيلة التي شاعت في العصر العباسي، وتداولها الكتاب في عباراتهم، والمصنفون في كتبهم. ولكنه لم يذكر اصطلاحات العلوم والفنون وكأنه أرجأها إلى معجم خاص بها فعل السابقين من علماء اللغة. ويؤنس بذلك أنه أفرد للكلمات المحدثه كتاباً خاصاً سماه: «التذكرة في الأسماء المنتخبة للمعاني المستحدثة» (٢٤).

١١ - «المعجم الوسيط»: (صدر بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة):

طلبت وزارة المعارف بمصر إلى (مجمع اللغة العربية) سنة ١٩٣٦م أن يضع

معجماً لا يقل في نظامه عن أحدث المعجمات الأجنبية ، يقدم إلى القارئ المثقف ما يحتاج إليه من مواد لغوية ، في أسلوب واضح ، قريب المأخذ ، محكم الترتيب ، سهل التناول ، يشتمل على مصطلحات العلوم والفنون ، ويستعين بالصور لكل ما يحتاج شرحه إلى تصوير ، واتفق على أن يسمى هذا المعجم : « المعجم الوسيط » .

ووكّل المجمع إلى لجنة من أعضائه وضع هذا المعجم ، فدأبت اللجنة على العمل ، تجمع وتبيي ، ثم تنقح وتهذب وتنسق حتى استكملت ما نهدت له ، وأوفت على تمامه .

وصدر « المعجم الوسيط » في جزأين ، ما بين سنتي (١٩٦٠ - ١٩٦٢ م) يحوي نحو (٣٠) ألف مادة ، ومليون كلمة ، وست مئة صورة (٢٥) .

ويعد « المعجم الوسيط » نموذجاً فذاً بين المعاجم العربية الحديثة . انه معجم لم ينهض به عالم وحده ، بل كان عمل لجنة من العلماء أشرف عليهم ووجه نشاطهم مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وكان صدور « المعجم الوسيط » إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في حركة المعجم العربي الحديث .

وأوضحت اللجنة في التقديم الخطة التي انتهجتها في عملها : أهملت الألفاظ الحوشية الجافة ، وبعض المترادفات ، وعנית بآثبات الحي المأنوس من الكلمات والصيغ ، وآثرت في الشرح الأساليب الحية ، وأدخلت في متن المعجم الألفاظ المولدة والمحدثة والمعربة والدخيلة لتطوير اللغة وتنميتها ، ونسقت ترتيب مواد المعجم ، فقدمت الأفعال على الأسماء ، والمجرد على المزيد ، واللازم على المتعدى . . . واصطنعت الرموز للايجاز ، مثل (ج = الجمع ، مو = المولد ، مع = المعرب ، د = الدخيل ، معج = اللفظ الذي أقره مجمع اللغة العربية) (٢٦) .

وقد حظي المعجم بعناية العلماء والأدباء واهتمامهم ، فتعقبوا مواده بالنقد والتصحيح ، وتلقى المجمع آراء الباحثين الناقدین بصدور رحب ، وأفاد منها ، وأثبت ما طمأن إلى سلامته .

وقد تجلَّى ذلك حين أصدر المجمع «المعجم الوسيط» بطبعته الثانية (١٩٧٢ - ١٩٧٣م)، ففي مقدمته إشارة واضحة إلى أن اللجنة التي وكل إليها المجمع معاودة النظر في المعجم قد أعادت قراءة موادها مادة مادة ، وراجعت الشروح والتفسير (٢٧).

مما انتقد به المعجم التزامه سرد المواد الأصول، مجردة من زوائدها ، منسوقة على الترتيب الهجائي ، وقد وقف المجمع من هذا النقد الموقف الحازم ، وأوضح في تصديره أن المجمع قد استقام له منهج في التأليف المعجمي يتمشى وطبيعة اللغة العربية ، فهي لغة اشتقاقية تقوم على أسر من الكلمات ، وليس من الملائم أن نفرق شمل هذه الأسر (٢٨) . فأكد بذلك سلامة منهجه وصحة طريقته .

ومما انتقد فيه المعجم أن لجنة المعجم الأولى قد أفرطت في اثبات العامية الدارجة من مثل قولهم: (البكس): كلمة مولدة بمعنى الضرب بقبضة اليد ، واستعملوا منها فعلاً فقالوا: باكسه مباكسة في رياضة الملاكمة . ومن مثل إثباتهم كلمات مثل : القلاووظ ، والبدروم (٢٩) . ويبدو أن المشرفين على الطبعة الثانية استجابوا لبعض ذلك ورفضوا بعضه ، فقد حذفوا: البكس، وباكسه، من طبعتهم الثانية، ولكنهم احتفظوا بمثل كلمتي: القلاووظ والبدروم، بل زادوا الكلمة الثانية شرحاً وتفسيراً (٣٠) .

ثم صدرت الطبعة الثالثة من «المعجم الوسيط» عام ١٩٨٥ ، وأرى أن مثل هذا العمل العظيم مازال ينتظر دراسات أخرى جادة فوق ما قام حوله من دراسات (٣١) .

١٢ - «المعجم الكبير»: (يصدر بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة):

وهو عمل كبير جداً . بدأ به مجمع اللغة العربية بالقاهرة نحو سنة ١٩٤٥ م ، ووضع له خطته ، ورسم منهجه ، وتخير المحررين القادرين ، واستعان بالخبراء المتخصصين . وفي عام ١٩٥٦ م ، استطاع أن ينشر من معجمه الكبير جزءاً في نحو خمس مئة صفحة من القطع الكبير ، عده تجربة ، دعا المتخصصين في اللغة من عرب ومستعربين إلى النظر فيها ، وابداء ملاحظاتهم حولها .

وقد صدر الجزء الأول من «المعجم الكبير» عام ١٩٧٠ م ، مشتملاً على حرف الهمزة ، (عدد صفحاته ٦٧٤ صفحة من القطع الكبير) ، وفي مقدمته بيان واضح للطريقة التي اتبعتها واضعو المعجم ، والغاية التي توخوها^(٣٢) .

وصدر الجزء الثاني من «المعجم الكبير» عام ١٩٨١ م ، مشتملاً على حرف الباء (عدد صفحاته ٧٤٣ صفحة من القطع الكبير) ، وفي مقدمته صورة واضحة للمراحل التي يتطلبها اعداد المعجم وجمع مادته ، وما يقتضيه من بحث وتمحيص^(٣٣) .

١٣ - «المعجم الوجيز» : (صدر باشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة):

لقد بينت اللجنة التي ارتضاها المجمع للنهوض بتهيئة المعجم الوجيز أنها اختارت من مادة «المعجم الوسيط» ما رأته فيه الوفاء بحاجة الطالب في هذا المستوى من التعليم ، وأن ماوعاه المعجم من مادة اللغة زهاء خمسة آلاف مادة ، صُور منها ما يحتاج توضيحه إلى تصوير من نحو نبات أو حيوان أو آلة ، فاشتمل على أكثر من ست مئة صورة .

ونجحت اللجنة في ترتيب مواد «المعجم الوجيز» المنهج الذي ارتضاه المجمع في معجميه الكبير والوسيط^(٣٤) .

١٤ - «المعجم المدرسي» : (صدر باشراف وزارة التربية السورية):

لقد نهض بعِبء تأليف المعجم المدرسيّ الأستاذ محمد خير أبو حرب ، وقد راعى المؤلف أن يكون المعجم واضح الأسلوب ، محكم التبويب ، والتزم الدقة والوضوح في شرح ألفاظه وتعريفها ، واستعان بالصور التي تدعو الحاجة إلى تصويرها للايضاح .

رتب «المعجم المدرسي» المواد (الجزور) على أوائل الحروف ، منسوقة على الترتيب الهجائي ودُكرت في المادة الأفعالُ ثم مشتقاتها ، وقدم المجرّد منها على المزيد ، واللازم على المتعدى . . . ورتبت الأسماء المعربة ذات المنشأ الثلاثي بعد الأفعال الثلاثية ، وذات المنشأ الرباعي بعد الأفعال الرباعية . . .

وقد صدر المعجم المدرسي سنة ١٩٨٥م (٣٥).

١٥ - «المعجم العربي الأساسي»: (اعداد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم):

تلقينا منذ مدة قليلة خبراً من مؤسسة (لاروس بفرنسا) أنها قامت باصدار «المعجم العربي الأساسي» الذي أعدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وهو ثمرة عمل وجهدٍ امتدَّ ثماني سنوات (١٩٨١ - ١٩٨٨م) . ويشتمل المعجم على نحو من خمسة وعشرين ألف مدخل ، مرتبة ترتيباً هجائياً على جذور الكلمات ، ومفسرة بإيجاز ووضوح ، ومعززة بالشواهد .

ويضم المعجم أيضاً الكلمات المولدة والمعربة والدخيلة التي دخلت الحياة ، واستعملها رجال الفكر والثقافة ، وأقرتها الجامعات اللغوية العربية .

لم أعرج في هذا العرض على ذكر المعاجم التي ألفت مكتفية بترتيب الكلمات مجردة ومزيدة على أوائل الحروف ، فتذكر: أربى وارتاب وارتأى وارتاح وأحور وأحول وأحوى في حرف الهمزة دون النظر إلى الأصول (جذور الكلمات) فتشتت الكلمات عن أسرها .

من هذه المعاجم: «الرائد» لجبران مسعود (٣٦)، و«القاموس الجديد للطلاب»: لعلي بن هادية ورفيقيه (٣٧).

أما كتاب المرجع للأستاذ عبدالله العلابي فقد اختار صاحبه منهجاً وسطاً ، ذكر المصطلح في موضعه من النطق ، وأثبت تصريف الأفعال مجردة ومزيدة تحت الجذر ، لأن العربية كأخواتها الساميات قائمة على الترابط العضوي ، أما المشتقات فتذكر وفق لفظها (٣٨).

وقد صدر المجلد الأول من المرجع سنة ١٩٦٣م (بيروت) .

دمشق : الدكتور شاكر الفحام

الحواشي :

(١) للاطلاع على افتتان العرب في التأليف المعجمي ، يحسن الرجوع إلى :

كتاب «قوانين الدواوين»

[للسعد بن نمّاني الوزير الأيوبي المتوفى سنة ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م .

جمعه وحققه عزيز سوريال عطية أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية ، القاهرة ، مطبعة مصر ١٩٤٣] .

١ - مثلٌ جيّدٌ في التحقيق العلمي ، ومحققه عارف بأخّر ما استقر عليه (علم التحقيق) على يد المستشرقين . جاء في مقدمته ص ٧ - ٨ : (كتاب «قوانين الدواوين» . . . مخطوطاته من النوع الذي يلتزم فيه الباحث مقارنة كل عبارة وكل كلمة بل كل حرف من جميع المتون التي يعمل على أساسها في نشر الكتاب . فمتى قرّأه على قراءة معينة ، أخذ بها في النص ، ثم قيد ماعداها من الاختلافات في الحواشي . وهذه القاعدة وإن كانت قانون العلم الحديث لذاته ، ومن المفروض

-
- (٢١) «معجم متن اللغة»: ١ / ٧٧ .
- (٢٢) عدد صفحات المجلدات الخمسة (٣٥٠٠) صفحة من القطع الكبير .
- (٢٣) «معجم متن اللغة»: ١ / ٧٢-٧٨ .
- (٢٤) «معجم متن اللغة»: ١ / ٧ ، ٧٥ ، ٧٧ .
- (٢٥) «المعجم الوسيط» (ط ١) ١ : ٧ ، ٨ ، ١٠ ، وقد بلغ عدد صفحات المعجم (١٠٨١) صفحة من القطع الكبير .
- (٢٦) «المعجم الوسيط» (ط ١) ١ : ١٠-١٤ .
- (٢٧) «المعجم الوسيط» (ط ٢) ١ : ٦ .
- (٢٨) «المعجم الوسيط» (ط ٢) ١ : ٣-٤ .
- (٢٩) «المعجم الوسيط» (ط ١) ١ : ٤٣ ، ٦٧ ، ٢ : ٧٦١ .
- (٣٠) «المعجم الوسيط» (ط ٢) ١ : ٤٣ ، ٢ : ٧٥٥ .
- (٣١) من الدراسات التي اطلعت عليها بأخرة: «المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد ، للدكتور عبدالعزيز مطر (في المعجمية العربية المعاصرة: ٤٩٥-٥٢٨) ، مشاكل الترتيب المنهجية في المعجم العام العربي الحديث للدكتور إبراهيم بن مراد (مجلة المعجمية ، ع ٣ / ١٩٨٧م ، ص ١١ - ٣٩) ، حول المعجم العربي الحديث لأحمد شفيق الخطيب: ٢١ - ٣٠ .
- (٣٢) «المعجم الكبير» ١ : (هـ-ر) .
- (٣٣) «المعجم الكبير» ٢ : ٣-٦ .
- (٣٤) «المعجم الوجيز»: ٥-١٥ ، وبلغ عدد صفحات المعجم الوجيز (٦٨٧) صفحة .
- (٣٥) «المعجم المدرسي»: ١٧-٢٤ ، وقد بلغت صفحات المعجم المدرسي (١١٨٣) صفحة .
- (٣٦) صدر بيروت (ط ١ / ١٩٦٤م) ، (ط ٢ / ١٩٦٧م) ، عدد صفحاته (١٦٣٧) صفحة .
- (٣٧) صدر بتونس (ط ١ / ١٩٧٩م) . عدد صفحاته (١٥٠٥) صفحة .
- (٣٨) «المرجع»: ١ : (ح) . وعدد صفحات المجلد الأول من المرجع (القسم العربي): ٧٣٦ صفحة ، وهو ينتهي في أثناء حرف الجيم .

على كل باحث جاد في عمله ألا يتهاون بها مثقال ذرة ، إلا أن لها قيمتها الخاصة في صَدَدِ كتاب « قوانين الدواوين » نظراً لاحتمال وقوع الاختلاف في الرأي بين القارئ والناشر على الأخذ بقراءة كلمة أو عبارة ، فيما أن يأخذ القارئ بما أقره الناشر في صلب المتن ، أو يرجع إلى الاختلافات والمقارنات الكثيرة التي أثبتناها برمتها من بقية المخطوطات في الهوامش ، فينتخب من بينها ما يستسيغه هو ، أو مايقوده إليه بحثه الشخصي . وتسهيلاً للوصول إلى هذه الغاية أرجعنا كل اختلاف من الاختلافات إلى أصله الخطي بإثبات مكانه من الورقة والصفحة والسطر ، حتى يستطيع المتقَّب أن يُراجع أيَّ كلمة في أي أصل شاء ، دون كبير مشقة .

ومهما يكن من شيءٍ فإن رائدنا في العمل هو محاولة إظهار هذا الكتاب كما دونه مؤلفه ، لا كما يريد بعضهم من إدخال أي اصلاح أو تنميق حديث مصطنع على نصه ، فاحتفظنا بكل ما فيه من ألفاظ واصطلاحات وعبارات قد تبدو غريبة ، وتركنا أخطاءه اللغوية والنحوية والإملائية ، عدا ما لا يمكن التهاون فيه ، وأسلوبه الأثري دون تغيير ، وهذا قد يَعُدُّه البعضُ تقصيراً من الناشر ، إلا أننا رأينا العمل على تلك القاعدة واجباً لا مَفْرَ منه تقضي به الأمانة الأدبية .

ونلاحظ على هذا المنهج :

أ – الدقة لدرجة المبالغة ، والأمانة لما يتعدى الحدود ، وأن عمل المحقق يقف عند المقابلة والترجيح من غير تعليق أو شرح أو زيادة أو تعريف . . ومنطق المحقق سليم لأن المسألة مسألة نص المؤلف ، وليس نص المحقق .

ويسخر آخرون من هذه الطريقة ولاسيما أولئك العلماء الذين لم يتشبعوا بالمنهج العلمي الحديث ولم ينالوا العلم بالدراسة الحديثة ، فهم يشرحون ، ويعلقون ويتصرفون ، ويقدمون ويؤخرون ويبلغون أحياناً درجة وكأنهم فيها هم المؤلفون المالكون للحقوق كلها . .

وللطريقتين محاسنها والمآخذ عليهما . . . ويمكن التوسط على أية حال .

ب – طبع الكتاب سنة ١٩٤٣ – ويبدو أن مصطلحات التحقيق العربية لما تستقر

بعد ، وتأخذ حدودها المقررة ؛ فهو يقول : جمعه وحققه ، وصحيح أنه حققه بمعنى قابل بين نسخه وأعدّه للطبع . . . الخ وهذا هو الذي صار مصطلحاً .

أمّا جمعه ، فهو يقصد : جمع مخطوطاته المتناثرة في أنحاء العالم فكانت ثمانى في غوطة Gotha واستانبول والقاهرة وباريس ولندره ودمياط ثم درسها ووصفها ، وشرح طريقة عمله (ص ٤٠ - : الأصل الأول في المتن هو المخطوطة (غ) إلا في الحالات التي فصلناها في الحواشي) .

جمعه - إذن - تعني لديه - كما يفهم - جمع مخطوطاته . .

أما (جمعه) اليوم فتعني التحقيق الذي يقوم به محقق بجمع مادته - كتاباً كان أم ديواناً - من بطون عشرات (ومئات) الكتب ليؤلف بينها ويعدها للنشر . . . عندما تكون مخطوطات ذلك الكتاب مفقودة ، أو أنها لم تكن أصلاً ويتولى المحقق الجديد تأليفها .

واستعمل (المتون) - كما هو الاستعمال العربي - لما نقصد به اليوم إلى النصوص ، أي النصوص الواردة في كل نسخة من المخطوطات .

واستعمل المتون لأنه سيستعمل الهوامش . . والحواشي .

واستعمل للمحقق كلمة (الناشر) متأثراً بالمصطلح الأجنبي .

وإلا فقد صار الناشر - وهو لدى الغربيين قبلنا بهذه الصيرورة - يعني الذي يتولى الطبع والتوزيع .

والهوامش والحواشي لديه بمعنى واحد في مقابلة المتن (المتون) . . . وقد ظلت كذلك لدينا ، وكانت الحواشي في الحضارة العربية تعني الشرح والإضافة والتعليق وبيان الخطأ ، تكتب على البياض الباقي في أطراف الصفحة بعد أن يستوعب المتن منها ما يستوعب ، وقد تكون على اليمين - كما هو الغالب فيما يبدو لي - وقد تكون في أي مكان من الأعلى والأسفل .

أما الهوامش أو الحواشي الحديثة فهي في أسفل الصفحة من المتن (النص)

وأولى بنا أن نتبنى لها كلمة الذيل ، فهي كالذيل من القميص بالنسبة للمتن في الصفحة .

واستعمل الاختلافات ترجمة للكلمة الأجنبية .

٥ - مقدمة المحقق مثلٌ جيِّدٌ في بابها .

٦ - كنا ننتظر أن نجد صفحات مصورة للمخطوطات الثماني ، ولكننا لم نَرَ إلا صورة لغلاف (س) وصورتين من (غ) وهذا غير كافٍ بالطبع .

٧ - للمحقق خِبرةٌ سابقةٌ بالتحقيق (١٩٣٩) ، فقد جاء له في مراجع الكتاب باللغة الأجنبية : « ديارات مصرية » تحقيق وترجمة (Ed. and Tras.) Bulletin de La Socièté d' Areh 'eologie Copte, T.V. (1939) .

٨ - جاء الباب الثامن (ص ٢٩٧ - ٣٠٦) (في أسماء المستخدمين من حملة الأقلام ، ومايلزم كل منهم [. . . .] وهم ناظر ؛ متولي ديوان ؛ مستوفي ؛ معين ؛ ناسخ ؛ مشارف ؛ عامل ؛ كاتب ؛ جهيد ، شاهد [. . . .] ؛ خازن [ص ٣٠٤] الجهيد كاتب برسم استخراج المال وقبضه وكتب الوصولات به وعليه عمل المخازيم والرزقنجات والختمات وتواليها ، ويطالب بما يقبضه ، ويخرج مايرفعه من الحساب اللازم له) .

ومن الحواشي على هذا المتن : (. . . الجهيد . . . الجهيد عبارة عن) . . . وقد يكون الاستعمال المصري أيام المؤلف (ابن ممتي المتوفى سنة ٦٠٦) لكلمة (الجهيد) بالذال كما وردت في المخطوطات كافة . ومهمة المحقق - كما رأينا - تقف عند المقابلة فقط . . . والكلمة على هذا (الجهيد) ولا نقاش أو تعليق . ولكننا نعلم - وربما كان الأستاذ المحقق يعلم قبلنا وخيراً مِنَّا - أن الكلمة استعملها العرب مبكراً بالذال فهي لديهم ، وفي كتبهم : الجهيد .

٩ - وتكرر الحال في أكثر من كلمة ، يحل الدال فيها محل الذال ، من ذلك آدار ص ٢٤٩ ، أدار ص ٢٥٩ ، دراع ص ٧٦ .

١٠ - ويبلغ المحقق في إبقاء الرسم الذي لا يدل على اللفظ الصحيح . ومن ذلك : الثنا ص ٥ ، سحايب ص ٥٣ ، العجايب والغرايب ص ٥٥ ، الضرايب ص ٣٢٤ ، بضايح ص ٣٢٧ ، صحايف ص ٥١ ، الشوايب ص ٦٠ ، فضائل ص ٧١ ، مائة ص ٧٧ .

١١ - ويبقى الخطأ في استعمال العدد كما هو ، من ذلك أربعة سنين ص ٥٦ ، ثلاثة عشر ساعة ص ٢٥٦ ، خمس عشر ساعة ص ٢٥٢ ، اثنا عشر ساعة ص ٢٤٧ .

١٢ - جمع تُرعة مرة يورده في المتن (ترع) ص ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٥٦ ومرة (ترع) ص ٢٠٦ ، ٢٠٩ .

١٣ - يدخر ابن ممتي في خطبة كتابه أي ماجاء لديه بعد البسملة مادة مهمة لدارس منهج البحث عند العرب ، فقد تميز بأن ذكر في هذه الخطبة أو بعدها خطة كتابه بأبوابها وما اشتملت عليه الأبواب من فروع تكون فصولها ، وكأنه يعوض بذلك عن فهرس تفصيلي .. بهذه الخطة التفصيلية .

والملاحظ أنه عدد خمسة عشر باباً بمحتوياتها ، ولكن الكتاب وصل إلينا بنسخه الثماني في عشرة أبواب هي الأبواب العشرة التي وردت في الخطبة ، وقد تنبه إلى ذلك الدكتور عطية فقال ص ٤٠ : (وهناك ملاحظة لا بُدَّ من توجيه الأنظار إليها ، وهي أن الأبواب الخمسة الأخيرة الواردة في جدول محتويات الكتاب ساقطة من جميع النسخ ، ولم نعثرها على أثر في أي مخطوطة من المخطوطات) .

والأبواب الخمسة هي : الباب الحادي عشر في أنواع الحسابات (الحسابات) .. الثاني عشر : في ذكر ... الدواوين ... الثالث عشر : في أقسام الكلام المثور ، الرابع عشر : في إشارة إلى أنواع من الورق . الخامس عشر : في مختصر أصول الحساب ..

وهي أبواب مهمة وان استهان بها الأستاذ المحقق (ص ٤٠) ولم يحاول تحليل هذا النقص (الكبير) ويبدو لنا أن المؤلف ابن ممتي وضع الأبواب الخمسة في

خطته وأحضر موادها ولكنه لم يجد الوقت للكتابة عنها فكأنه على هذا - لم يتم كتابه ، وان الكتاب بقي ناقصاً .

وإلا فنحن بانتظار ما يمكن أن تُفاجئنا به الأيام من العثور على مخطوطة ذات خمسة عشر باباً - وليس ذلك بمستحيل إذا كان ابن ممتي قد عالجها في كتابه .

١٤ - وردت ص ٥٢ : (الدولة ... التي أمن الله ... وأصفى مشاربها ، وأخدم المضا مضاربها ، وملكها مشارق الأرض ومغاربها) .

وقال المحقق في الحاشية بصدد (وأخدم المضا مضاربها) : كذا في جميع الأصول ولعلها (القضا) .

وأقول : ولعلها (وأخدم المضاء مضاربها) .

١٥ - وردت كلمة (الحسابات) فأثبتها مرة في المتن ص ٥٨ ولم يكن فيها اختلاف ، وانزلها مرة ص ٣٠١ في الحاشية واثبت في المتن (الحساب) وقد ورد الاختلاف في النسخ .

١٦ - ينظر كتاب الدكتور محمد مندور - « في الميزان الجديد » (ط ٢ ، مكتبة نهضة مصر ، د.ت ، ص ص ١٧٠ - ١٨١) منطلقاً من (أصول النشر) ، وإذا وجدت للكتاب صورتان أي أنه حرر مرتين : الأولى في عهد صلاح الدين والثانية في عهد خليفته الملقب العزيز عماد الدين ، وفي الثانية زيادات مهمة ، وجب على المحقق أن يعتمد على التحرير الثاني . ولكن الدكتور عزيز سوريال جانب هذه القاعدة ، واعتمد على التحرير الأول - لملاحظات مندور قيمتها العلمية وإن عرضها في حماسة وشدة .

بغداد : علي جواد الطاهر

نظرات نحوية في لغة بني الحارث بن كعب

(بنو الحارث) أو (بلحارث) من القبائل اليمنية التي نزلت حول نجران في السروات ، مجاورة لـ (خثعم) . وهم قبيلة عظيمة من قبائل العرب من قحطان . كما يُعرف من نسبهم ، فأبوهم هو : الحارث بن كعب بن مَدْحَج بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان^(١) .

وفي « الكتاب » - ٤ : ٤٨٤ : (ومن الشاذِّ قولهم في بني العنبر ، وبني الحارث : بَلْعَنِبِرٍ ، وبَلْحَارِثٍ ، بحذف النون ، وكذلك يفعلون بكلِّ قبيلة تظهر فيها لَامُ المعرفة ، فأما إذا لم تظهر اللامُ فيها فلا يكون ذلك ؛ لأنها لما كانت مما كَثُرَ في كلامهم وكانت اللامُ والنون قريبتَي المخارج حذفوها وشبَّهوها بـ (مَسْتُ) ؛ لأنها حرفان متقاربان ، ولم يصلوا إلى الإدغام كما لم يصلوا في (مَسِسْتُ) لسكون اللام)^(٢) .

مراده بقوله : (تظهر فيها لَامُ المعرفة) اللام القمرية .

وبعد هذه النبذة في التعريف بـ (بني الحارث) ، أودُّ أن أدرس لغتهم ولغة من أشبههم فيها في لزوم المثني (الألف) ، وكذلك الأب ، والأخ ، والحَمُّ من الأسماء الستة ، وكذلك في كلِّ ياءٍ انفتح ما قبلها .

وليس الغرض من هذه الدراسة أن نحذو حَذْوَ هذه اللغة في مجاراتها ، ومحاكاتها ، والقياس عليها ، وإنما الغرض من معرفة هذه اللغة معرفة الكَمِّ الضخم من ميراث أُمَّتِنَا الذي يكمن وراء دراسة لغات القبائل العربية ، لِما لها من اتِّصال وثيق بعلوم القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث الشريف ورواياته ، وكلام العرب : نثره ، وشعره .

ففي « الإِتقان » - ٢ : ١٠٣ - : (قال ابنُ عبد البر - ٤٦٣ هـ في « التمهيد » : قول من قال : نزل القرآن بلغة قريش ، معناه عندي الأغلب ،

لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات ، من تحيق الهمزة ونحوها ، وقريش لا تهمز .

وقال ابن مالك : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً فإنه نزل بلغة التميميين . .)

فبحثي لم يكن مقصوداً لذاته ، وإنما هو وسيلة يُلتَمَسُ لغيره من الغايات النبيلة .

من المعلوم أن (المثني) يرفع بالألف ، ويجر وينصب بالياء المفتوح ما قبلها ، المكسور ما بعدها ، هذا هو المشهور عند جمهور النحاة .

وأما بنو الحارث فيجرون (المثني) وشبهه مُجْرَى الْمُقْصُورِ ، فتثبت ألفه في النصب والجر ، كما ثبت في الرفع .

وبنو الهُجَيْمِ وبنو العَنْبَرِ يوافقون بني الحارث في لزوم ألف المثني^(٣) .

وكذلك عُزَيْتِ هذه اللغة لـ (كنانة) ويطون من ربيعة ، وبكر بن وائل ، وزُبَيْدٍ ، وَخَثْعَمَ ، وَهَمْدَانَ ، وَفَزَارَةَ ، وَعُذْرَةَ^(٤) .

وأثبت هذه اللغة أئمة كبار كأبي زيد الأنصاري ، وأبي الخطاب الأخفش ، وأبي الحسن ، والكسائي ، والفرّاء^(٥) .

ومن المعلوم أيضاً أن في (الأسماء الخمسة) ثلاث لغات :

اللغة الأولى :

تُعرب بحروف المدِّ على سبيل النيابة عن الحركات . فترفع بالواو ، وتنصب بالألف ، وتجرُّ بالياء ، أي : فالأحرف نفسها هي الإعراب ، وأنها نابت عن الحركات ، وهذا مذهب قُطْرُبَ - ٢٦٦هـ ، والزيايدي - ٢٤٩هـ ، والزجاجي - ٣٣٩هـ (من البصريين) ، وهشام - ٢٠٩هـ (من الكوفيين^(٦)) .

قال ابنُ مالك في « شرح التسهيل » (١ : ٤٦) : (وهذا أسهلُ المذاهب ، وأبعدها عن التكلف ؛ لأن الإعراب إنما جيء به لبيان مقتضى العامل . .) . ويشترط لإعرابها بالحروف أربعة شروط عامة ، وشروطٌ خاص بكلمة (فم) ، وآخر خاص بكلمة (ذو) .

فأما الشروط العامة فهي :

- (١) أن تكون مفردة ، فتخرج المثناة والمجموعة .
 - (٢) أن تكون مكبَّرة ، فتخرج المصغرة .
 - (٣) أن تكون مضافة ، فتخرج غير المضافة .
 - (٤) أن تكون إضافتها لغير ياء المتكلم . فتخرج المضافة إلى ياء المتكلم .
- أما الشرط الخاص بكلمة (فم) فهو حذفُ الميم من آخرها .
- وأما الشرط الخاص بكلمة (ذو) التي بمعنى (صاحب) فهو أن تكون إضافتها لاسم ظاهر ، دالٌّ على الجنس .
- وهذا الذي قدّمته هو أشهر اللغات في الأسماء الستة ، إلا كلمة (هَن) فإنَّ الأكثر فيها مراعاة النقص في آخرها ، ثم إعرابها بالحركات الظاهرة .
- ففي « الكتاب » - ٣ : ٣٦٠ - : (ومن العرب من يقول : هذا هنوك . ورأيت هناك ، ومررت بهنيك) .

قال ابن مالك في « شرح التسهيل » - ١ : ٤٨ - : (وهو قليل ، فمن لم يُنبّه على قِلَّتِهِ فليس بمصيب ، وإن حَظِيَ من الفضائل بأوفر نصيب) .

والمراد بمراعاة النقص في آخرها أن أصلها : (هَنَو) على ثلاثة أحرف ، ثم نقصت منها الواو بحذفها للتخفيف سماعاً ، وصارت الحركات تجري على النون ، وكأنها الحرف الأخير تجري على الكلمة ، وحكمها في حالة الإضافة كحكمها في عدمها .

اللغة الثانية :

القَصْرُ في ثلاثة أسماء وهي (أَب) و(أخ) و(حَم). والقصر معناه : إثبات ألفٍ في آخر الاسم في جميع الأحوال ، مع إعرابه بحركات مقدره على الألف رَفَعاً ونصباً وجرّاً .

وعُزيت هذه اللغة إلى (بلحارث بن كعب^(٧)) .

وهذه اللغة تأتي في المرتبة الثانية بالنسبة للغة الأولى .

اللغة الثالثة :

النقص في (أب) و(أخ) و(حَم) و(هَن) .

والنقص معناه : الإعراب بحركات ظاهرة على آخر الحرف الظاهر ، وأساس هذه اللغة مراعاةُ النقص في الكلمات الثلاث الأولى .

فقد كان آخرُ كل واحدة منها في الأصل (الواو) : أَبُو ، أَخُو ، حَمُو ، حذفت الواو تخفيفاً ، فلا ترجع عند الإضافة .

قال الأنباري في « الإنصاف » - ١ : ١٨ - : (قد يحكى عن بعض العرب أنهم يقولون : هذا أَبُكَ ، ورأيت أَبُكَ ، ومررت بأبِكَ ، من غير واو ولا ألف ولا ياء - كما يقولون في حالة الأفراد من غير إضافة) .

وعلى هذه اللغة يقال في الثنية : (أبان) ، وفي الجمع : (أبون) .

وعلى هذه اللغة جاء قول رُوَيْبَةَ يمدح عَدِيَّ بن حاتم :

بأبه اقتدى عدي في الكرم
ومن يشابهه أبه فما ظلم^(٨)

وفي « شفاء العليل في إيضاح التسهيل » - ١ : ١١٨ - : (وفي إعراب (هَن) بالحروف خلاف ، فلم يلحقها بهن إلا سيبويه ، والمشهور النقص فيعرب بالحركات كما روي أن النبي ﷺ قال : « مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُوهُ بِهِنَ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا^(٩) » .

وقال علي - رضي الله عنه - : مَنْ يَطْلُ هُنْ أَبِيهِ يَنْتَطِقُ بِهِ أَي : يَتَقَوَّى
بإخوته .

وبعد هذا التمهيد عرفنا أنَّ لغة بني الحارث في إعراب المثني ، وإعراب
الكلمات الثلاث : (الأب ، والأخ ، والحَم) إلزام ذلك الألف في حالة الرفع
والنصب والجر . كما أنهم يقبلون الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً .

فقد جاء في « الكتاب » - ٣ : ٤١٣ - : (وحدثنا الخليل أنَّ ناساً من العرب
يقولون : عَلَاكَ ، وَلَدَاكَ ، وَإِلَاكَ) .

والأصل : عَلَيْكَ ، وَلَدَيْكَ ، وَإِلَيْكَ .

وفي « الإنصاف » - ١ : ١٨ - : (قد يحكى عن العرب أنهم يقولون : هذا
أبَاكَ ، ورأيت أَبَاكَ ، ومررت بأبَاكَ - بالألف فيجعلونه اسماً مقصوراً) .

وفي « خزنة الأدب » - ٧ : ٤٥٢ - : (يقولون : أخذتُ الدَّرْهَمَانِ ،
واشترتُ ثوبَانِ ، والسلام عَلَاكُمْ . قاله أبو حاتم والأخفش في « شرح نوادر أبي
زيد ») .

وقد سُمع من ذلك قولهم : (ضربتُ يداه^(١١)) .

ويحكى عن الإمام أبي حنيفة ، أنه سُئِلَ عن إنسان رمى إنساناً بحجر فقتله :
هل يجب عليه القود^(١٢) ؟ فقال : لا^(١٢) ، ولو رماه بأبَابُيْسٍ^(١٣) - بالألف ،
على هذه اللغة^(١٤) لأن أصله : أبُو ، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبوها ألفاً
بعد إسكانها إضعافاً لها ، كما قالوا : عصاً وَقَفَاً ، وأصله : عَصَوُ ، وَقَفَوُ .

وجاء في المثل : (مُكْرَةٌ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ^(١٥)) .

و(أخاك) مبتدأ مرفوع بضمه مقدره على الألف ، و(بَطْلٌ) : معطوف
بـ(لا) على (مكره) ، و(مكره) : اسم مفعول خبر مقدم .

قال ابن جني في « الخصائص » - ٢ : ١٤ - : (باب في العربي يسمع لغة

غيره ، أُرَاعِيهَا ويعتمدها أم يلغينا ويطرح حكمها ؟ .

قال أبو زيد : سألت الخليل عن الذين قالوا : (مررت بأخواك ، وضربت أخواك ، فقال : هؤلاء قولهم على قياس الذين قالوا في (يئأس) : (يئأس) ، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها .

قال - يعني الخليل - : ومثله قول العرب من أهل الحجاز : (يَأْتِرُنُ وهم يَأْتِعِدُونَ) فَرُّوا من يَوْتِرُنُ ، وَيَوْتَعِدُونَ .

فقوله : أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون يريد أبدلوا الياء في (يئأس) .

والآخر : أبدلوا الياء في أخويك ألفاً .

وكلاهما يحتمله القياس هاهنا ، ألا ترى أنه يجوز أن يريد أنهم أبدلوا ياء (أخويك) في لغة غيرهم ممن يقولها بالياء ، وهم أكثر العرب ، فجعلوا مكانها ألفاً في لغتهم استخفافاً للألف ، فأما في لغتهم هم فلا . وذلك أنهم هم لم ينطقوا قط بالياء في لغتهم فيبدلوها ألفاً ولا غيرها .

ويؤكد ذلك عندك أن أكثر العرب يجعلونها في النصب والجر ياء ، فلما كان الأكثر هذا شاع على أسماع بلحارث فَرَاعَوْهُ ، وصنعوا لغتهم فيه ، ولم تكن الياء في الثنية شاذةً ولا دخيلة في كلام العرب فيقل الحفل بها ، ولا ينسب بلحارث إلى أنهم راعوها ، وتخيروا للغتهم عليها .

فإن قلت : فلعل الخليل ، يريد أن من قال : (مررت بأخواك) قد كان مرّة يقول : (مررت بأخويك) كالجماعة ، ثم رأى بعد أن قلب هذه الياء ألفاً للخفة أسهل عليه وأخف ، كما قد تجدد العربي ينتقل لسانه من لغته إلى لغة أخرى .

قبل : إن الخليل إنما أخرج كلامه على ذلك مخرج التعليل للغة من نطق بالألف في موضع جر الثنية ونصبها ، لا على الانتقال من لغة إلى أخرى . وإذا كان قولهم : مررت بأخواك ، معللاً عندهم بالقياس فكان ينبغي أن يكونوا قد سبقوا إلى ذلك منذ أول أمرهم ؛ لأنهم لم يكونوا قبلها على ضعف قياس ، ثم

تداركوا أمرهم فيما بعد ، فقوي قياسهم . وكيف كانوا يكونون في ذلك على ضعف من القياس والجماعة عليه ! أفتُجمع كافة اللغات على ضعف ونقص ، حتى ينبغ نابعٌ منهم فيرد لسانه إلى قوة القياس دونهم ! نعم ، ونحن أيضاً نعلم أن القياس مقتضى لصحة لغة الكافة ، وهي الياء في موضع الجر والنصب ، ألا ترى أن في ذلك فرقاً بين المرفوع وبينها ، وهذا هو القياس في التثنية ، كما كان موجوداً في الواحد . ويؤكدك لك أنا نعتذر لهم من مجيئهم بلفظ المنصوب في التثنية على لفظ المجرور ، وكيف يكون القياس أن تجتمع أوجه الإعراب الثلاثة على صورة واحدة !

فقد علمت بهذا أن صاحب لغة قد راعى لغة غيره . وذلك لأن العرب وإن كانوا كثيراً منتشرين ، وخلقاً عظيماً في أرض الله غير متحجرين ولا متضاغطين ، فانهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة . فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته ، كما يراعي ذلك من مهم أمره . فهذا هذا .

وإن كان الخليل أراد بقوله : قلب الياء ألفاً : أي في (يياس) فالأمر أيضاً عائد إلى ما قدمنا ، ألا ترى أنه إذا شبه (مررت بأخواك) بقولهم : (يياس) و (ياءس) فقد راعى أيضاً في (مررت بأخواك) لغة من قال : (مررت بأخويك) فالأمران إذن صائران إلى موضع واحد . ولهذا نظائر في كلامهم ، وإنما أضع منه رسماً ليرى به غيره بإذن الله .

وأجاز أبو الحسن أن يكون كانت العربُ قِدمًا تقول : (مررت بأخويك وأخواك جميعاً) ، إلا أن الياء كانت أقيس للفرق ، فكثرت استعمالها ، وأقام الآخرون على الألف ، أو أن يكون الأصل قبله الياء في الجر والنصب ، ثم قلبت للفتحة قبلها ألفاً في لغة بلحارث بن كعب . وهذا تصريحٌ بظاهر قول الخليل الذي قدمناه .

ثم تَمَّ ابن جني بحثه في « سر صناعة الإعراب » ٢ - ٧٠٢ - ٧٠٦ - بقوله : (فإن قلت : فإذا كانت الألف في التثنية حرف إعراب ، فهل بقيت في

الأحوال الثلاث ألفاً على صورة واحدة ، كما أنّ ألف (حُبلى) و (سَكْرى) حرفُ إعراب ، وهي باقية في الأحوال الثلاث على صورة واحدة في نحو قولك : (هذه حُبلى) و (رأيت حُبلى) و (مررت بحبلى) .

فالجواب : أن بينهما فرقاً ، وذلك أنّ الأسماء المقصورة التي حروف إعرابها ألفاتٌ ، وإن كانت في حال الرفع والنصب والجر على صورة واحدة ، فإنه قد يلحقها من التوابع بعدها ما يُنبئُ على مواضعها من الإعراب ، وذلك نحو الوصف في قولك : (هذه عصاً مُعوجةٌ) و (رأيت عصاً مُعوجةً) و (نظرت إلى عصاً مُعوجةً) ، فصار اختلاف إعراب (مُعوجةً) دليلاً على اختلاف أحوال (عصاً) من الرفع والنصب والجر .

وكذلك التوكيد نحو قولك : (عندي العصا نَفْسُها) و (رأيت العصا نَفْسُها) و (مررت بالعصا نَفْسُها) فاختلاف إعراب (النفس) دليلٌ على اختلاف إعراب (العصا) .

وأنت لو ذهبت تصفُ الاثنين لوجب أن تكون الصفة بلفظ التثنية ؛ ألا تراك لو تركت التثنية بالألف على كل حال لوجب أن تقول في الصفة : (رأيت الرجلان الظريفان) و (مررت بالرجلان الظريفان) فيكون لفظ الصفة كلفظ الموصوف بالألف على كلِّ حالٍ ، فلا تجد هناك من البيان ما تجده إذا قلت : (رأيت عصاً مُعوجةً أو طويلةً أو قصيرةً) أو نحو ذلك مما يبين فيه الإعراب . وكذلك البدل نحو : (رأيت أخواك الزيدان) و (مررت بأخواك الزيدان) .

فلا تجد في التابع بياناً يدل على حال المتبوع ، فلما كان ذلك كذلك عدلوا إلى أن قلبوا لفظ الجر والنصب إلى الباء ليكون ذلك أدل على تمكن الاسم واسحقاقه الإعراب .

ونظير قلبهم الألف في التثنية ياءً في الجر والنصب قولهم : (هُدْيٌ) و (عَصِيٌّ) ، ألا ترى أنهم قلبوا الألف ياءً لما كانت ياءً المتكلم يُكسر ما قبلها . فاعرفه .

على أن من العرب من لا يخاف اللبس ، ويُجْري الباب على أصل قياسه ،
فيدع الألف ثابتة في الأحوال الثلاث ، فيقول : (قام الزيدان) و (ضربت
الزيدان) و (مررت بالزيدان) وهم بنو الحارث بن كعب ، وبطن من ربيعة ، .
وأنشدوا في ذلك :

تَرْوَدُ مِنَّا بَيْنَ أذْنَاهُ طَعْنَةً دَعْتُهُ إِلَى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمٍ (١٦)
وقال الآخر :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاعَا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمًّا (١٧)
وقال الآخر :

أَعْرِفُ مِنْهَا الْجِيدَ وَالْعَيْنَانَ وَمَنْخِرَيْنِ أَشْبَهَا ظَبْيَانَا (١٨)
يريد العينين . ثم إنه جاء بالمنخرين على اللغة الفاشية .
ورويها عن قطرب :

هِيََاكَ أَنْ تُمْنَى بِشَعْشَعَانٍ حَبِّ الْفُؤَادِ مَائِلِ الْيَدَانِ (١٩)
وقال الآخر :

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَّغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا (٢٠)
وفيها :

وَأَشَدُّ بِمَثْنَى حَقَبٍ حَقْوَاهَا

وعلى هذا تتوجه عندنا قراءة من قرأ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾ .

وقد حمل على هذه اللغة قول الشاعر :

أَخَاكَ الَّذِي إِنْ تَدَعُهُ لِمَلْمَةِ يُجِبُّكَ لِمَا تَبَغِي ، وَيَكْفِيكَ مَنْ يَبَغِي
وَإِنْ تَجْفُهُ يَوْمًا فَلَيْسَ مُكَافِئًا فَيَطْمَعُ ذُو التَّرْوِيرِ وَالْوَشْيِ أَنْ يَضْغِي (٢١)

وقالوا : ضَرَبْتُ بَيْنَ أذْنَاهُ ، وَمَنْ يَشْتَرِي الْخُفَّانِ (٢٢) ؟ .

وبعد أن استعرضت الشواهد من كلام العرب شعره ونثره على صحة ورود لغة

بني الحارث ، فإنني أبين أن قراءة ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾ (٢٣) بتشديد إنَّ محمولة على هذه اللغة في أصح الأقوال :

وللنحاة في تخريج هذه القراءة أقوال :

القول الأول :

أنها لغة بني الحارث ، وزبيد ، وختعم ، وكنانة بن زيد .

يجعلون الاثني في رفعها ونصبها وخفضها بالألف (٢٤) .

ف(أَنَّ) حرف مشبّه بالفعل . و(هذان) اسمها ، واللام لام الابتداء ،

و(ساحران) خبرها .

قال الفراء في «معاني القرآن» - ٢ : ١٨٤ - : (وأُنشدني رجل من الأُسدي

عن بني الحارث :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاعًا لِنَابَاهِ الشُّجَاعُ لَصَمًّا

قال : وما رأيت أفصح من هذا الأُسدي . وحكى هذا الرجل عنهم : (هذا

خَطُّ يَدَا أُخِي بَعِينِهِ) .

وذلك - وإن كان قليلاً - أَقْسُ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَالُوا : (مسلمون) فجعلوا

الواو تابعة للضمة لأن الواو لا تعرب . ثم قالوا : (رأيت المسلمين) فجعلوا

الياء تابعة لكسرة الميم . فلما رأوا أَنَّ الْيَاءَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ لَا يُمْكِنُهُمْ كَسْرُ مَا قَبْلَهَا ،

وثبت مفتوحاً تركوا الألف تتبعه ، فقالوا : (رجلا) في كل حال .

وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في (كلا الرجلين) (٢٥) في الرفع

والنصب والخفض ، وهما اثنان ، إلا (بني كنانة) فإنهم يقولون : (رأيت كلي

الرجلين) و(مررت بكلي الرجلين) . وهي قبيحة قليلة ، مضوا على القياس .

قال أبو جعفر النحاس (٢٦) : (وهذا القول من أحسن ما حملت عليه الآية إذا

كانت هذه اللغة معروفة ، وقد حكاها من يُرْتَضَى بعلمه وأمانته) .

وقال النحاس : ومن أُبَيِّنِ مَا فِي هَذَا قَوْلُ سَيْبُوهِ (٢٧) : (واعلم أنك إذا ثَنَيْتَ

الواحد لحقته زيادتان : الأولى منها : حرفُ المد واللين وهو حرف الإعراب ...) .

ثم قال : (فقول سيبويه : وهو حرف الإعراب ، يوجب أن الأصل أن لا يتغير ، فيكون ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ جاء على أصله ليعلم ذلك ، كقوله تعالى : (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾^(٢٨) ولم يقل : استحاذ ، فجاء هذا ليدل على الأصل) .

وهذا القول هو أجود الوجوه وأوجهها . واختاره أبو حيان^(٢٩) وابن مالك والأخفش وأبو علي^(٣٠) .

وقال ابن يعيش في « شرح المفصل » - ٣ : ١٣٠ - : وهذا أمثلُ الأقوالِ فيها .

القول الثاني :

أن يكون (إِنَّ) بمعنى : نعم ، وما بعدها مبتدأ وخبر .

وفي « الكتاب » - ٣ : ١٥١ - : (وأما قول العرب في الجواب : (إِنَّه) فهو بمنزلة : أَجَلٌ . وإذا وصلت قلت : (إِنَّ يافتي) ، وهي التي بمنزلة : أَجَلٌ . قال الشاعر :

بَكَرَ الْعَوَاذِلُ فِي الصَّبُو ح يَلْمَنِي وَالْوُمُهْنَةُ
وَيَقْلُنَ : شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقُلْتُ : إِنَّهُ^(٣١)

أي : إِنَّه كذلك ، والمعنى : نعم قد علاني الشيب . وإنما ألحقوا الهاء كراهية أن يجمعوا في الوقف بين ساكنين لو قالوا : إِنَّ .

وقال الشاعر :

قَالُوا : غَدَرْتُ فَقُلْتُ : إِنَّ ، وَرُبَّمَا نَالَ الْعُلَى وَشَفَى الْغَلِيلَ الْغَادِرُ^(٣٢)
وأنشد ثعلب :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِلْمُجِبِّ شِفَاءَ مَنْ جَوَى حُبَّهِنَّ إِنَّ اللَّقَاءَ^(٣٣)

القول الثالث :

أن يكون في (إن) ضمير شأن محذوفاً . وما بعدها مبتدأ وخبر .
● وضعف بعضهم القول الثاني والثالث ، من أجل اللام التي في الخبر ، لأنه
إنما يقال : (نعم زيدٌ قائمٌ) ، ولانكاد تقع اللام هاهنا .
وإنما يجيء مثل ذلك في ضرورة الشعر .
وقال الزجاج : التقدير : لهما ساحران ، فحذف المبتدأ (٣٤) .

القول الرابع :

قال أبو جعفر النحاس : سألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية ، فقال :
إن شئت أحببتك بجواب النحويين ، وإن شئت أحببتك بقولي ، فقلت :
بقولك ، فقال : سألتني إسماعيل بن إسحاق فقلت : القول عندي أنه لما كان
يقال : (هذا) في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة ، وكانت
الثنائية يجب أن لا يغير لها الواحد ، أُجريت الثنائية مجرى الواحدة (٣٥) .

القول الخامس :

قال الفراء (٣٦) : (وجدت الألف من (هذا) دعامة وليست بلام الفعل ، فلما
ثبتت زدت عليها نوناً ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول على كل حال ، كما
قالت العرب (الذي) ثم زادوا نوناً تدل على الجمع ، فقالوا : (الذين) في
رفعهم ونصبهم وخفضهم ، كما تركوا (هذان) في رفعه ونصبه وخفضه) .
● ولقد عرضت أقوال النحاة في هذه القراءة لأستوفي درسها ، ولأوضح أن
القول الأول ، وهو ظاهرة إلزام المثني الألف هو المرجح ، وعليه المعول عند
النحاة .

ومما حمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا أُدْرَاكُم بِهِ ﴾ (يونس : ١٦) في قراءة
ابن عباس والحسن وابن سيرين : (وَلَا أُدْرَاكُم بِهِ) (٣٧) .

وقال أبو حاتم : يريد الحسن : ولا أدريتكم به ، فأبدل من الياء ألفاً على لغة بني الحارث بن كعب .

لأنه يقال : دَرَيْتُ ، أي : علمت ، وأدْرَيْتُ غيري ، ويقال دَرَأْتُ (٣٨) .

قال المهدي : ومن قرأ : (أدراؤكم) ، فوجهه أن أصل الهمزة ياء ، فأصله : أدريتكم ، فقلبت الياء ألفاً وإن كانت ساكنة ، كما قال (يابس) في (يبس) و (طايئ) في (طيئ) . ثم قلبت الألف همزة على لغة من قال في (العالم) : (العالم) ، وفي (الخاتم) : (الخاتم) (٣٩) .

وقال النحاس : ويجوز أن يكون من (دَرَأْتُ) أي : دفعت ، أي : ولا أمرتكم أن تدفعوا وتتركوا الكفر بالقرآن (٤٠) .

● ولقد شاهدنا أن اللغة الحارثية وردت في بعض القراءات القرآنية ، ونطق بها عدد غير قليل من الشعراء .

وهنا نتساءل : هل نقلت لنا كتب الحديث الشريف والآثار شيئاً من كلام رسول الله ﷺ ، وكلام أصحابه - رضوان الله عليهم - يوافق هذه اللغة ؟ والجواب : أجل قد جاءنا ذلك من كلام النبوة ، وكلام الصحب الأبطال ، وإليك الشواهد :

- فمن ذلك قوله ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَهَاتَانِ الْكُعْبَتَانِ الْمَوْسُومَتَانِ » (٤١) .

وعلى اللغة المشهورة : إياكم وهاتين الكعبتين الموسومتين .

- وقوله ﷺ : « إِنِّي وَإِيَّاكَ وَهَذَا وَهَذَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٤٢) .

على اللغة المشهورة : إِنِّي وَإِيَّاكَ وَهَذَيْنِ .

- وقوله ﷺ : « لَا وَتِرَانٍ فِي لَيْلَةٍ » (٤٣) .

الشاهد فيه : « لا وتران » .

ولأجل توضيح الشاهد أذكر القاعدة المشهورة في اسم (لا) النافية للجنس .

فأقول : إن كان مفرداً - أي : غير مضاف ولا شبيه به - يبنى على ما ينصب به لو كان معرباً ، فإن كان مفرداً أو جمع تكسير بني على الفتح ، نحو : (لا رجل) و (لا رجال) وان كان مثنيّ أو جمع مُذَكَّرٍ سالماً فإنه يبنى على الياء ، كما ينصب بالياء ، نحو : (لا رجلين عندي) .

فإن كان مضافاً ، أو شبيهاً به ظهر النصب فيه نحو : (لا صاحب علم محموت) و (لا قبيحاً فعله ممدوح) (٤٤) .

وقد جاء الحديث الشريف على لغة بني الحارث ، الذين يجرون المثنيّ بالألف في جميع الأحوال . فتكون (لا) نافية للجنس . و (وتران) بني على الألف وعلى اللغة المشهورة : (لا وترين) .

- وقول الصحابي عبدالرحمن بن أبي بكر : (وفرّقنا اثنا عشر رجلاً) (٤٥) على لغة « بني الحارث » .

وعلى اللغة المشهورة : (اثني عشر) لأنه حال من (نا) .

- وقول أمّ رومان : (بينما أنا مع عائشة جالستان) (٤٦) .

على لغة بني الحارث .

وعلى اللغة المشهورة : (جالستين) لأنه حال .

- وقول ابن مسعود : (أنت أبا جهل ؟) .

من حديث أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ يوم بدر : « من ينظر ما فعل أبو جهل ؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفرأء (٤٧) حتى برّد ، فأخذ بلحيته ، فقال : أنت أبا جهل ؟ (٤٨) .

وهذه الرواية المذكورة تحمل على اللغة الحارثية .

وقيل : هو منصوب بإضمار (أعني) . وتَعَقَّبَهُ ابْنُ التَّيْنِ بأن شرط هذا الإضمار أن تكثر النعوت .

وقيل : (أنت) مبتدأ محذوف الخبر ، و (أبا) منادى محذوف الأداة ،
والتقدير : أنت المقتولُ يا أبا جهل . وخاطبه بذلك مُتَشَفِياً^(٤٩) .

● وبعد أن درستُ الظواهر العامة للغة بني الحارث في ظلال القراءات
القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والكلام العربي : شعره ، ومثوره فإني أخلص
بنتيجة وهي أن هذه اللغة جُذوراً ثابتةً في العربية ، وأصولاً فصيحة .

وقد أشار إلى ذلك المبرد بما رواه في « الفاضل » ص ١١٣ : عن أبي قِلَابَةَ
الجَرْمِيِّ^(٥٠) قال : رأيت قوماً من بني الحارث بن كعب لم أرَ أفصحَ منهم . . ثم
قال : وكلُّ عربي لم تَتَغَيَّرْ لُغَتُهُ فَصِيحٌ على مذهب قومه ، وإنما يقال : بنو فلان
أفصح من بني فلان ، أي : أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش ، على أن القرآن
نَزَلَ بكلِّ لغات العرب) .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . .

أبها : الدكتور محمود فجَّال

أستاذ النحو العربي المشارك ورئيس قسم النحو والصرف
في كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - بالجنوب

مصادر البحث ومراجعته :

- « إتحاف فضلاء البشر » للبناء . طبع حنفي ١٣٥٩هـ بمصر .
- « الإتيقان » للسيوطي حققه محمد أبو الفضل إبراهيم . دار التراث . القاهرة . الثالثة ١٤٠٥هـ .
- « إعراب القرآن » للنحاس تحقيق د. زهير غازي زاهد . الثانية ١٤٠٥هـ عالم الكتب .
- « الإفصاح » للفارقي . تحقيق سعيد الأفغاني - الثالثة - ١٤٠٠هـ - بيروت .
- « الإنصاف » للأنباري تحقيق محمي الدين عبد الحميد . الرابعة ١٣٨٠هـ السعادة .
- « البحر المحيط » لأبي حيان مصورة عن السعادة .
- « تاج العروس » للزبيدي . نشر دار الحياة . بيروت عن الطبعة الخيرية - ١٣٠٦هـ بمصر .
- « التبيان » للعكبري بتحقيق البجاوي . طبع عيسى الحلبي ١٣٩٦هـ .
- « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي مصورة عن طبعة دار الكتاب في القاهرة .
- « خزنة الأدب » للبعداوي . تحقيق عبدالسلام هارون . دار الكتاب العربي . القاهرة ١٣٨٧هـ .
- « الخصائص » لابن جني تحقيق محمد علي النجار . طبع دار الكتب ١٣٧١هـ .
- « الدرر اللوامع » للشنقيطي . مصورة عن طبعة بمصر ١٣٢٨هـ .
- « ديوان رؤبة » تصحيح وليم . دار الأفاق . بيروت .
- « روح المعاني » للألوسي . مصورة عن الطباعة المنيرية .

- « السبعة في القراءات » لابن مجاهد . تحقيق د. شوقي ضيف . الثانية . دار المعارف ١٩٨٠ م .
- « سر صناعة الإعراب » لابن جنى . تحقيق د. حسن هندايي - دار القلم بدمشق . الأولى ١٤٠٥ هـ .
- « سنن النسائي » بشرح السيوطي . وحاشية السندي . مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ .
- « شرح التسهيل » لابن مالك . تحقيق د. عبدالرحمن السيد . الأولى . الانجلو ١٩٧٤ م .
- « شرح جمل الزجاجي » لابن عصفور . حققه د. صاحب أبوجناح . العراق . ١٤٠٢ هـ .
- « شرح قطر الندى » لابن هشام . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . السعادة بمصر . الثانية عشرة ١٣٨٦ هـ .
- « شرح الكافية الشافية » لابن مالك . تحقيق د. عبدالمنعم أحمد الهريدي . مطبوعات جامعة أم القرى . الأولى ١٤٠٢ هـ .
- « شرح المفصل » لابن يعيش . الطبعة المنيرة بمصر .
- « شفاء العليل في إيضاح التسهيل » للسلسلي . تحقيق د. الشريف عبدالله . الأولى ١٤٠٦ هـ . الفيصلية - مكة المكرمة .
- « شواهد التوضيح والتصحيح » لابن مالك . تحقيق د. طه عحسن . طبع وزارة الأوقاف (العراق) ١٤٠٥ هـ .
- « الصحاحي » لأحمد بن فارس تحقيق السيد أحمد صقر . طبع عيسى الحلبي . القاهرة .
- « صحيح البخاري » مصورة عن طبعة إستانبول . دار الفكر . ونسخة أخرى وهي نسخة اليوناني . تصوير دار الجليل . بيروت .
- « فتح الباري » لابن حجر . تصوير عن الطبعة السلفية .
- « الكافي شرح الهادي » لعز الدين الزنجاني . رسالتی الدكتوراه حققها على عدة نسخ ، منها نسخة بخط المؤلف .
- « كتاب سيويه » تحقيق وشرح عبدالسلام هارون . الثانية . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- « لسان العرب » لابن منظور . دار صادر . بيروت ١٣٨٨ هـ .
- « ليس في كلام العرب » لابن خالويه . تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار . دار العلم للملايين . بيروت ١٣٩٩ هـ . الثانية .
- « اللهجات العربية في التراث » د. أحمد علم الدين الجندي . الدار العربية للكتاب . ليبيا ١٩٨٣ م .
- « اللهجات في الكتاب لسيويه » لصاحفة راشد . مطبوعات جامعة أم القرى . الأولى ١٤٠٥ هـ .
- « المبسوط » للسرخسي . السعادة بمصر ١٣٢٤ هـ .
- « مجمع الأمثال » للميداني . حققه محمد أبو الفضل إبراهيم . طبع عيسى الحلبي .
- « المحتسب » لابن جنى ، تحقيق علي النجدي ناصف وزميليه . طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٩ هـ .
- « المساعد » لابن عقيل . تحقيق د. محمد كامل بركات . دار الفكر بدمشق . ١٤٠٠ هـ . من مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز . مكة المكرمة .
- « مسند الإمام أحمد » الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ . المكتب الإسلامي . بيروت .
- « المصباح المنير » للفيومي . تحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوي . دار المعارف .
- « معاني القرآن » للفراء . تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .
- « المقاصد النحوية » للعيني ، مصورة عن طبعة بولاق ١٢٩٩ هـ . بهامش « خزانة الأدب » .
- « النوادر في اللغة » لأبي زيد . تحقيق د. محمد عبدالقادر أحمد . الأولى . دار الشروق ١٤٠١ هـ .

- «معجم الهوامع» للسيوطي . دار المعرفة . مصورة بيروت .

[الحواشي] :

- (١) انظر «خزانة الأدب» (٤٥٤:٧) ، و«اللهجات العربية في التراث» (٤١:١) ، و«اللهجات في الكتاب» (ص:٥٠، ٥٥٧) .
- (٢) انظر «تاج العروس» (٦١٥:١) .
- (٣) «شرح الكافية الشافية» (١٩٠:١) معزواً إلى «ابن دَرَسْتَوَيْه» .
- (٤) «معجم الهوامع» (٤٠:١) .
- (٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١٧:١١) ، و«المقاصد النحوية» (١٣٨:١) .
- (٦) «معجم الهوامع» (٣٨:١) .
- (٧) «المقاصد النحوية» (١٣٦:١) .
- (٨) الرجز في «المقاصد النحوية» (١٢٩:١) ، و«الدرر اللوامع» (١٢:١) .
- (٩) رواه «أحمد» في «مسنده» (١٣٦:٥) من حديث «أبي بن كعب» .
- (١٠) «المقاصد النحوية» (١٣٨/١) .
- (١١) القَوْدُ : القِصَاصُ : من (أَفَادَ الأَمِيرُ القَائِلَ بالقَتْلِ ، قتله به) . «المصباح» (قود:٥١٩) .
- (١٢) هذه مسألة مرتبطة بالفقه الإسلامي ، ولا بد من بسط هذه الفتوى وتوضيحها بما قاله السرخسي في «المبسوط» - ٦٤: ٢٦ - ٦٥ - عما يتعلق بقتل شبه العمد - (هو ماتعمدت ضربه بالعصا أو السوط أو الحجر أو اليد ، فإن في الفعل معنيين : العمد باعتبار الفاعل إلى الضرب ، ومعنى الخطأ بانعدام القصد منه إلى القتل ، لأن الآلة التي استعملها آلة الضرب للتأديب دون القتل ، والعاقِل إنما يقصد كل فعل بآلته ، فاستعماله آلة التأديب دليل على أنه غير قاصد إلى القتل .
وشبه العمد لا قصاص فيه لتمكن الشبهة ، والخطأ ، حيث انعدام القصد إلى القتل ، والقصاص عقوبة تتدرج بالشبهات ، وهي تعمد المساواة ولا مساواة بين قتل مقصود وقتل غير مقصود ، ثم هذا القتل لما اجتمع فيه معنيان : أحدهما يوجب القصاص ، والآخر يمنع ترجيح المانع على الموجب ، لأن السعي في إبقاء النفس واجب ما أمكن ، فإن الإبقاء حياة حقيقة ، وفي القصاص حياة حكماً ، فلهذا لا يوجب القود في شبه العمد ، وإذا تعذر إيجاب القود وجبت الدية ، وهي مغلفة . .) .
- (١٣) جبل بمكة .
- (١٤) «الإنصاف» - ١٨:١ - ، و«المقاصد النحوية» - ١٣٨:١ - .
- (١٥) ويروي (أخوك) بالواو . انظر «شرح التسهيل» لـ «ابن مالك» - ص ٤٩ - ، و«الدرر» - ١٢:١ - .
- (١٦) هو طوبير الحارثي كما نسب في «لسان العرب» (صرع) .
والبيت في «الصاحبي» - ص ٢٩ - ، و«ليس في كلام العرب» - ص ٣٣٤ - ، و«الكافي شرح الهادي» - ص ٨٩ - .
- هابي التراب : أي : كأن ترابه مثل الهباءة في الرقة .
ويروي في «لسان العرب» و«تاج العروس» (هابي) : (أذنيه) وهو الوجه ، ولا شاهد فيه حينئذ .
- (١٧) هو للمتلمس يعاتب خاله الحارث بن التوأم الشكري .
والبيت في «شرح الكافية الشافية» - ١٨٩:١ - ، و«المساعد» - ٤١:١ - ، و«خزانة الأدب» - ٤٥٣:٧ - ، و«معاني القرآن» - ١٨٤:٢ - يروي (لنابيه) ولا شاهد فيه حينئذ .
أطرق الرجل : إذا سكت فلم يتكلم . الشجاع : الذكر من الحيات .

المساع: المدخل، وصمم: أي: عض ونيب فلم يرسل ماعض.
 (١٨) هو لرجل من بني ضبة، كما في «النوادر» - ص ١٦٨ - وضح ذلك «العيني» .
 والبيت في «شرح جبل الزجاجي» - ١: ١٥٠ - و«شرح المفصل» لابن يعيش - ٣: ١٢٩ - ،
 و- ٤: ٦٧ ، ١٤٣ - ، و«المقاصد النحوية» - ١: ١٨٤ - .
 ويروى في «النوادر» هكذا:

أَعْرَفُ مِنْهَا الْأَنْفَ وَالْعَيْنَانَا وَمُنْجِرَانِ أَشْبَهَا ظَبْيَانَا

ظبيان: اسم رجل (؟) أراد: منحري ظبيان .
 (١٩) الرجز في «الإفصاح» - ص ٣٧٧ - بتقديم الثاني على الأول . الشعشان: الطويل الحسن، الخفيف
 اللحم، الحُبُّ: الحبيث الماكر . والشاهد فيه «اليدان» والوجه: «اليدين» .
 (٢٠) الرجز لأبي النجم، وهما في ديوانه - ص ٢٢٧ - ، وفي ملحقات «ديوان رؤبة» - ص ١٦٨ - وهما في
 «شرح المفصل» لابن يعيش - ٣: ١٢٩ - و«شرح التسهيل» لابن مالك - ص ٤٩ -
 و«المقاصد النحوية» - ١: ١٣٣ - و«خزانة الأدب» - ٣: ٣٣٨ - .
 الرجز لبعض أهل اليمن، وقبله:

طَارُوا عَلَاهُنَّ فَشَلَّ عَلَاهَا

وهو في «النوادر» - ص ٢٥٩ - و«شرح المفصل» لابن يعيش - ٣: ٣٤ ، ١٢٩ - و«خزانة الأدب»
 - ٣: ١٩٩ ، ٣٣٨ ، ٥٧: ٤ - .
 والشاهد في (علاهن) و(علاها) و(حقواها) ، فإن الكثير في الكلام أن يقال: عليهن ، وعليها ،
 وحقوها ، لكنه شبه ألف الأدوات بألف المقصور فأبقاها .
 ويروى (فَطَّرَ علاها) . والحَقَبُ: الحزام يلي حقو العير، أو حبل يشدُّ به الرجل في بطنه ، والحقو:
 الكشح والبطن .

(٢١) «شرح التسهيل» لابن مالك ، - ص ٤٩ - و«شرح شذور العرب» ص ٢٢٥ .

(٢٢) الكافي شرح الهادي ص ٨٩ .

(٢٣) طه: ٦٣ . قرأ نافع وابن عامر وحزمة والكسائي (إنَّ) مشددة النون ، (هذان) بألف خفيفة النون .
 وقرأ «ابن كثير»: (إن هذان) بتشديد نون (هذان) ، وتخفيف نون (إن) .
 واختلف عن عاصم فروى أبو بكر: (إن هذان) نون (إنَّ) مشددة (هذان) مثل حمزة . وروى حفص
 عن عاصم (إنَّ) ساكنة النون ، وهي قراءة ابن كثير ، و(هذان) خفيفة .
 وقرأ أبو عمرو وحده: (إنَّ) مشددة النون (هذين) بالياء . «السبعة» ص ٤١٩ ، و«شرح المفصل»
 لابن يعيش - ٣: ١٢٩ - و«الجامع لأحكام القرآن» ١١: ٢١٦ - .

(٢٤) انظر «البحر المحيط» - ٦: ٢٥٥ - .

(٢٥) وفي «شرح قطر الندى» ص: ٦٤ :

وهما يلحق بالثني (كلا) و(كلتا) . وشرطها أن يكونا مضافين إلى الضمير . نحو: (جاءني كلاهما)
 و(رأيت كليهما) و(مررت بكليهما) فإن كانا مضافين إلى الظاهر كانا بالألف على كل حال ، نحو:
 (جاءني كلا أخويك) و(رأيت كلا أخويك) و(مررت بكلا أخويك) .
 فيكون إعرابها حينئذ بحركات مقدره في الألف ؛ لأنها مقصوران كـ (الفتى) و(العصا) .
 وكذا القول في (كلتا) .

وفي «الكتاب» - ٣: ٤١٣ - : (سألت الخليل عمن قال: (رأيت كلاً أَخَوَيْكَ) و(مررت بكلا
 أَخَوَيْكَ) . ثم قال: (مررت بكليهما) ، فقال: جعلوه بمنزلة (عليك) و(لديك) في الجر والنصب ،
 لأنها ظرفان يستعملان في الكلام مجرورين ومنصوبين ، فجعل (كلا) بمنزلتها حين صار في موضع الجر

والنصب . وإنما شبهوا (كلا) في الإضافة بـ (على) لكثرتها في كلامهم ، لأنها لا يخلوان من الإضافة . وقد يشبه الشيء بالشيء وإن كان ليس مثله في جميع الأشياء) ..

- (٢٦) « الجامع لأحكام القرآن » - ٢١٧: ١١ - .
- (٢٧) « الكتاب » - ١٧: ١ - .
- (٢٨) المجادلة: ١٩ .
- (٢٩) « البحر المحيط » - ٢٥٥: ٦ - .
- (٣٠) « روح المعاني » - ١٢٣: ١٦ - .
- (٣١) قائلهما عبدالله بن قيس الرُّقِيَّات ، وهما في « شرح المفصل » لابن يعيش - ٦: ٨ ، ١٢٥ - (بكر) جاء بكرة .
- (٣٢) « الجامع لأحكام القرآن » - ١١ : ٢١٨ - و« شرح المفصل » لابن يعيش - ١٣٠: ٣ - .
- (٣٣) « الجامع لأحكام القرآن » - ٢١٨: ١١ - .
- (٣٤) انظر « التبيان في إعراب القرآن » - ٨٩٥: ٢ - .
- (٣٥) « الجامع لأحكام القرآن » - ٢١٩: ١١ - .
- (٣٦) « معاني القرآن » - ١٨٤: ٢ - .
- (٣٧) « المحتسب » - ٣٠٩: ١ - و« تحف فضلاء البشر » ص ٢٤٧ .
- (٣٨) « إعراب القرآن » - ٢٤٨: ٢ - .
- (٣٩) « الجامع لأحكام القرآن » - ٣٢٠: ٨ - .
- (٤٠) « إعراب القرآن » - ٢٤٩: ٢ - .
- (٤١) أخرجه أحمد في « مسنده » - ٤٤٦: ١ - من حديث عبدالله بن مسعود مرفوعاً . وانظر « شواهد التوضيح » - ١٥٧ - .
- (٤٢) هكذا أخرجه أبو الفرج في « جامع المسانيد » كما قال ابن مالك في « شواهد التوضيح » ص ١٥٨ . وأخرجه أحمد في « مسنده » - ١٠١: ١ - من حديث عليّ - رضي الله عنه - بلفظ : « إني وأياك وهذين وهذا الراقد في مكانٍ واحد يوم القيامة » .
- (٤٣) أخرجه النسائي في « سننه » في (كتاب قيام الليل وتطوع النهار - باب نهي النبي ﷺ عن الوترين في ليلة) - ٢٣٠: ٣ - .
- (٤٤) « شرح قطر الندى » ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
- (٤٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » في (كتاب مواقيت الصلاة - باب السَّمر مع الأهل والضيف) - ١٥٠: ١ - وانظر « شواهد التوضيح » ص ١٥٧ - .
- وقد روي الشاهد بروايتين : أولاهما : (اثنا عشر) ، وهي رواية اليونيني كما في « صحيح البخاري » - ١٥٧: ١ - وأثبتها هكذا ابن مالك في « شواهد التوضيح » ص ١٥٧ - وابن حجر في « فتح الباري » - ٧٦: ٢ - .
- وثانيتها : (اثني عشر) على اللغة المشهورة ، وهي رواية أبي ذر ، والأصيلي ، وابن عساكر وأبي الوقت .
- (٤٦) أخرجه البخاري في « صحيحه » في (كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى : ﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ - ١٢١: ٤ - من حديث أبي هريرة . وهو في « فتح الباري » - ٤١٨: ٦ - وأم رومان هي أم « عائشة » رضي الله عنها - وانظر « شواهد التوضيح » ص ١٥٧ .
- (٤٧) هما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وأطلق على الأول ابن عفراء تغليباً . « فتح الباري » (٢٩٦: ٧) .

←

بطون نَهْدٍ وتفرقها في البلاد

لعلَّ من المناسب ذكر ما أورده ابنُ الكلبي - إمام النسايين - عن تفرع هذه القبيلة قال^(١) : وولد لَيْثُ بن سَوْد بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة - زَيْدًا ، فولد زيدٌ سعداً (سَعْدٌ هُذَيْم) وَجُهَيْنَةَ ، وَنَهْدًا .

فولد نَهْدٌ مالكَاً وَصُبَاحاً - بطن - وَحَزِيمَةَ بطن وزيْدًا بطن ، ومعاوية وكعباً وأبا سُوْدٍ ، فهؤلاء نَهْدُ اليمن الذين بثليث ، قريبٌ من نَجْرَانَ .

وعامر بن نَهْدٍ ، وَعَمْرًا وَحَنْظَلَةَ ، وهو الذي كانت تتحاكم إليه العرب في زمانه ، وله يقول القائل : حَنْظَلَةُ بن نهد خير ناشي في مَعَدِّ . والطول بن نَهْدٍ ، ومُرة^(٢) ، وَحَزِيمَةَ وَأَبَانَ ، فهؤلاء نَهْدُ الشَّامِ .

فأما عامر بن نَهْدٍ فدخلوا في كلب في بني عَلِيم بن جناب ، وأما بنو عمرو بن نَهْدٍ فدخلوا في بني عَدِيٍّ بن جَنَابٍ ، وهم رهط سويد بن مَشْنُوِّ الشاعر .

وأما أَبَانُ بن نهد فدخلوا في بني تغلب ، ثم في بني ثعلبة بن بكر .

فولد مالكُ بنُ نَهْدٍ زُوِيًّا بطن ، ورفاعة بطن ، وإليهما عدد نَهْدٍ وشرفها ، والحارث بن مالك ، وهو بُتَيْرَةٌ ، ويُنسب أحدهم فيقال بُتَيْرِيٌّ ، وهم بطن دخلوا في بني أسامة بن حرام بن رفاعه بن مالك بن نهد .

فولد زُوِيٌّ بن مالك سلامة بطن ، ومُرة بطن ، وَكَعْبُ بن زُوِيٍّ العبيد بطن ، ابن القمير بن سلامة بن زُوِيٍّ بن مالك ، يعلى بن عميرة بن يعمر بن حارثة بن العبيد البطن ، شهد القادسية وكان معه اللواء يوم صفين مع علي - عليه

→ (٤٨) أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب المغازي - باب قتل أبي جهل) - ٦٠:٥ - ورواية (أبا جهل) للأكثر ، وللمستمل وحده : (أنت أبو جهل ؟) والأول هو المعتمد من حديث أنس هذا . فقد صرح إساعيل بن عُلَيْبٍ عن سليمان التيمي بأنه هكذا نطق به أنس كما في «فتح الباري» - ٢٩٥:٧ - و«المقاصد النحوية» - ١٣٨:١ - . وانظر «شواهد التوضيح» ص ١٥٧ .

(٤٩) انظر «فتح الباري» - ٢٩٥:٧ - .

(٥٠) هو عبدالله بن زيد بن عمرو بن عامر الجرمي ، البصري ، تابعي جليل ، ومحدث ثقة . توفي بالشام سنة ١٠٤هـ . «الأعلام» - ٨٨:٤ - .

السلام - عايش بن الضباب من بني الربيضي بن صباح بن عبدالله بن العبيد ،
كان سيدهم في الجاهلية ، ثم أسلم وهو الناسك .

ومن غنم بن صباح بن عبدالله بن العبيد بن القمير : قيس الشاعر بن عبدالله
ابن غنم بن صباح ، الذي كان يقال له ابن سَخْلَةَ وهي أمه .

صريم بطن ، ودَهْشَم بطن ابنا سعد بن كعب بن زوي بن مالك بن نهد .

الصَّقْعَب وهو خُشِيم بن عمرو بن سعد بن صريم البطن ، وقد رأس ، وله
يقول النعمان بن المنذر : لَأَنْ تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ .

مازن بن كعب بن جناب بن عبدالله بن دهشم البطن ، الذي قال لبني نهد
حين ارتدوا : كَبُرُوا وَأَغْرَبُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

عَمْرُو بن مُرَّة بن عبد يغوث بن مالك بن الحارث بن شحب بن مُرَّة البطن بن
زوي ، وهو الذي بعثه علي بن أبي طالب - عليه السلام - حين أغار البياعُ
الكلبيُّ على بكر بن وائل ، فأخذ سَبِيَهُمْ ، فأثاه فَرَدَّ عَلَيْهِمُ السَّبِيَّ فقال عمرو :
رَهْنَتْ يَمِينِي عَنْ قُضَاعَةَ كُلِّهَا فَأَبْتُ حَمِيداً فِيهِمْ غَيْرَ مُغْلَقِ

قيس بن طُهْفَةَ من بني رفاعة البطن بن مالك بن نهد ، كان سيداً في زمانه ،
وقد ولي الرُّبْع بالكوفة زمان علي - رضي الله عنه - وكانت عنده الرِّبَاب بنت
الأشعث بن قيس ، ففَحَّرَتْ عليه فطلقها .

عبدالله بن العجلان بن عبدالأحب بن كعب ، من بني صباح بن نهد الشاعر
جاهلي .

لِحْوَةُ بطن بن زَمَان بن خزيمية بن نهد منهم عبدالله بن كيسبة بن عمرو بن
لِحْوَةَ ، صاحب عمر بن الخطاب .

شيبان بن عامر بن كوز بن هلال بن عُصِيم بن نصر بن زمان بن خزيمية بن
نهد ، وهو ابن الصبية الفارس الشاعر ، وكان النعمان ، إذا أراد أن يبعث ألفي
فارس بعث شيبان بن الصبية ، وعصام بن شهر من جرم بن ربان .

طرف من أخبار نَهْد قديماً :

ما أورده الأستاذ الدكتور نوري حمودي القيسي (س ٢٤ ص ١) في بحثه المتمع عن شاعر بني نَهْد عبدالله بن العجلان من تاريخ هذه القبيلة قبل الإسلام قد يكون أوفى ما يجده الباحث من معلومات عنها في عهدها القديم وملخصه : أن قبيلة قضاة التي تُنمى إليها قبيلة بني نهد كانت منتشرة في تهامة على شاطئ بحر جدة إلى منتهى ذات عرق إلى حيز الحرم من السهل والجبل ، وَبِجُدَّةٍ وَوَلَدَ جُدَّةُ بْنُ جَرْمِ بْنِ رَبَّانٍ^(٣) .

. ثم وقعت حرب بين أولاد معد - على القول بأن قضاة هو عمرو بن معد بن عدنان^(٣) - وكان من أثر تلك الحرب اجتماع بني نزار مع كندة على إجلاء قضاة من منازلها ، فأنجدت ، وتفرقت بطونها في نواحي الجزيرة ، وكان من تلك البطون سعد هُدَيْمٍ وَنَهْدُ ابنا زيد بن ليث بن سُودِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ .

وكانا أول من طلع من قضاة إلى أرض نجد فأصحرا في صحرائها فعرفا باسم صحار^(٤) .

قال عباس بن مرداس السلمى في الحرب التي كانت بين بني سليم وبني زُبيد وهو يعني نَهْدًا وَضَمَّ إِلَيْهِمْ جَرْمِ بْنِ رَبَّانٍ^(٥) :

فَدَعَهَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَاهَا مَقَادُنَا لِأَعْدَائِنَا نُرْجِي الثَّقَالَ الْكَوَانِسَا
بِجَمْعِ نُرَيْدِ ابْنِي صُحَارٍ كِلَيْهِمَا وَأَلْ زُبَيْدٍ مَحْطُطًا أَوْ مُلَامِسَا

ويظهر أن استقرار النهديين بجوار بني زُبيد وختعم لم يكن شاملاً لقبيلة نَهْد وإنما كان خاصاً بمن دعاهم ابن الكلبي (نهد اليمن) الذين ذكر أنهم في تثليث بقرب نجران ، إذ أورد البكري نصوصاً جاء فيها^(٦) : فظعنن جرم من حضن وما قاربه ، فتوجهت طائفة منهم إلى تيباء ووادي القرى ، مع بني نَهْدِ بْنِ زَيْدٍ ، حوتكة بن سود بن أسلم ، فصاروا وأهلها وسكانها ، حتى وقعت بينهم وبين سعد هُدَيْمِ بْنِ زَيْدٍ حَرْبٌ فَأَجْلَاهُمْ بَنُو سَعْدٍ فَلَحِقُوا بِيَلَادِ الْيَمَنِ .

وعن إجلاء النهديين هذا قال الصحاري^(٧) - في الكلام على رزاح بن ربيعة العُدري أخي قُصيِّ بنِ كلاب لِأُمِّهِ - : ورزاح أجلى نهد بن زيد وحوتكة بن أسلم ، وهما كانا أكثر بطون قضاة وأنماها ، وقال البكري : ثم حدثت حرب بين بني سعد هُذيم وبني نهد ورئيس بني سعد يومئذ رزاح بن ربيعة العُدري فاخرجت بنو سعد نهدا ومن معها من جرم وغيرها عن تلك البلاد ، وسارت إلى بلاد اليمن فجاورت مذحج ثم ذكر وقوع اختلاف بين جرم ونهد ، وأنَّ نهداً حالفت بني الحارث بن كعب .

ونقل عن الهمداني^(٨) قوله : وأقام زيد (بن ليث بن سود) بالحجاز فافترق بها نسله من سعد وعُدرة وجُهينة ونهد ، فأما نهد فارتفعت إلى نجد العليا ، وقد كانت دَهراً بتهامة . انتهى .

ويظهر انه يقصد بنجد العليا الأودية المنحدرة من شرق السَّراة ، سَراة جَنِبٍ قديماً ، المعروفة الآن بسراة عَمَيْدة .

والواقع أن تاريخ قبيلة نهد قبل الإسلام - كتاريخ غيرها من القبائل - يعتريه الغموض ، ولهذا فالباحث في هذا التاريخ يعترضه كثير من التردد والحيرة فيما يرد من النصوص عن منازل قبيلة نهد في العهد الجاهلي ، والذي يمكن استخلاصه - من تلك النصوص - هو أن قبيلة نهد كانت من فروع قبيلة قضاة ، بل قد تكون من أبرز تلك الفروع في عهدها القديم ، حيث يورد البكري أن أول بيت في قضاة في حنظلة بن نهد^(٩) ، وكان صاحب فُتاحتهم ، وهو حَكَمهم الذي يحكم بينهم ، وصاحب العرب بعكاظ حين تجتمع في أسواقها ، انتهى .

ومعروف أن القبيلة يعترها مايعتري المرء في مراحل عمره من حيث الشباب فالقوة فالضعف ، ويعقبه بالنسبة للقبيلة التفكك والتفرق والالتجاء إلى قبيلة قوية ، وهذا ماحدث لقبيلة نهد ، فقد كانت ذات فروع كثيرة ، تفرقت في الجزيرة بتفرق قبائل قضاة التي انتشرت في شمال الحجاز ، ومنها من ذهب إلى شرق الجزيرة في عمان^(١٠) ، وكان ذلك قبل ظهور الإسلام وبقيت لهم بقايا في تلك البلاد إلى عهود متأخرة ، وكانت بعض بطون منهم تنتقل بقرب المدينة في

الروحاء وفرش ملل ، وجبل رضى ، مجاورين لأخوتهم من قبيلة جهينة
القضاعية^(١١) .

أما أكثر فروعهم فقد استقرت في أول الأمر في وادي تثليث وما يقربه من
الأودية والبلاد ، ويظهر أن حروب القبائل المجاورة لهم وأكثرها لا يمت إلى نهد
بصلة النسب كان من أقوى الأسباب التي أضعفت القبيلة ، ولعل هذا يفسر لنا
ما جاء في كتاب « الأنساب »^(١٢) للصحاري حيث قال في الكلام عن مسير أبرهة
القائد الحبشي إلى مكة : وأما بنو نهد فوادعوا أبرهة على أن ينزلوا السهل من
أرض اليمن آمنين لا يعرض لهم أحد من قبل أبرهة ، ولا يعرضون لأحد من
أصحاب أبرهة ، وتركوا عند أبرهة رهينة رجلاً من سادتهم يقال له طفيل بن
عبدالرحمن بن طفيل بن كعب النهدي .

وفي آخر العهد الجاهلي اضطر النهديون بعد هزائمهم في حروبهم مع جيرانهم
من خثعم وعنز وغيرها من القبائل إلى محالفة جيرانهم الجنوبيين أهل نجران ، بني
الحارث بن كعب الذين كانوا إحدى جمرات العرب في العهد الجاهلي ، فلما
حالفوا بني نهد ضعفوا^(١٣) .

وفي « الطبقات الكبرى » لابن سعد^(١٤) : وكتب رسول الله ﷺ لقيس بن
الحصين ذِي الْعَصَةِ : أمانة لبني أبيه بني الحارث ولبني نهد ، أن لهم ذمة الله وذمة
رسوله ، لا يحشرون ولا يُعشرون ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وفاقوا المشركين ،
واشهدوا على إسلامهم ، وأن في أموالهم حقاً للمسلمين ، قال : وكان بنو نهد
حلفاء بني الحارث . انتهى .

وتقل أخبار بني نهد عند ظهور الإسلام ، ولعل أبرزها ما روي عن قدوم
وافدهم الذي قال عنه ابن عبدالبر في كتاب « الاستيعاب »^(١٥) : طهفة بن زهير
النهدي وفد إلى النبي ﷺ في سنة تسع حين وفد أكثر العرب ، فكلمه بكلام
فصيح ، وأجابه ﷺ بمثله ، وكتب له كتاباً إلى قومه بني نهد بن زيد .

وقد ورد في كثير من كتب « غريب الحديث » نصُّ كتاب رسول الله ﷺ لبني
نهد ، وما جرى بين وافدهم طهفة وبين الرسول ﷺ من كلام ، وهاهو على ما جاء

في كتابي « أخبار المدينة » لابن شبة و « منال الطالب » لابن الأثير ، مع ملاحظة ورود اختلاف في كثير من الكلمات بين ما أورده اللغويون منها : لما قدمت وفودُ العرب على النبي ﷺ قام طَهْفَةُ بن أبي زُهَيْرِ النَّهْدِيِّ ، فقال : أتيناك يا رسول الله ، من غَوْرِي تِهَامَةَ ، بأكوارِ المَيْسِ ترتمي بنا العيسُ ، نَسْتَحْلِبُ الصَّبِيرَ وَنَسْتَحْلِبُ الحَخِيرَ ، وَنَسْتَعْضِدُ البَرِيرَ ، وَنَسْتَحِيلُ الرَّهَامَ ، وَنَسْتَحِيلُ أو نستجبل الجَهَامَ ، في أرضِ غائِلةِ النَّطَا ، غَلِيظَةِ الوَطَا ، قد نَشَفَ المَذْهَنُ ، وَبَيَسَ الجُعَيْنُ ، وَسَقَطَ الأملُوجُ ، وماتَ العُسْلُوجُ ، وهَلَكَ الهَدِيّ وماتَ الوَدِيّ ، برثنا يا رسول الله من الوثنِ والعننِ ، وما يُحدثُ الزَّمنُ ، لنا دعوةُ السلامِ ، وشريعةُ الإسلامِ ، ما طَما البَحْرُ وقامَ تِعَارُ ، ولنا نَعَمَ هَمَلٌ أغفَالُ ماتَبَضُّ بِيَلالِ ، وَوَقِيرُ كَثِيرُ الرِّسْلِ ، قَلِيلُ الرِّسْلِ ، أصابَتْها سَنَةٌ حَمراءُ مُوزَلَةٌ ليس لها عَعلٌ ولا نَهْلُ .

فقال رسول الله ﷺ : « اللهم بارك لهم في مَحْضِهَا وَمَحْضِهَا وَمَذْقِهَا وَفِرْقِهَا ، وَابْعَثْ راعِيهَا في الدَّثْرِ بيانِ الثَّمَرِ ، وافْجُرْ لهم الثَّمَدَ ، وبارك لهم في المالِ والولدِ ، من أقام الصلاةَ كان مسلماً ، ومن آتى الزكاةَ كان مُحْسِنًا ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مُحْلِصًا . لكم يا بني نَهْدٍ ودائِعُ الشَّرْكَ ، ووضائعُ المُلْكَ ، لم يكن لكم عَهْدٌ ولائٍ مُؤَكَّدٌ ، لا تتناقل عن الصلاة ، لا تُلَطِّط في الزكاة ، ولا تُلجِد في الحياة . »

وكتب معه كتاباً إلى بني نَهْدٍ : من محمد رسول الله إلى بني نَهْدٍ بن زيد : السلام على مَنْ آمَنَ بالله ورسوله ، لكم يا بني نَهْدٍ ، في الوَظِيْفَةِ الفَرِيضَةِ ، ولكم العارِضُ والفَرِيشُ ، وذُو العِنانِ الرُّكُوبُ ، والفَلُو الضَّبِيْسُ ، لا يُمنَعُ سَرْحُكُمْ ، ولا يُعْضَدُ طَلْحُكُمْ ، ولا يُجْبَسُ دَرُكُمْ ، ولا يُوكَلُ أَكْلُكُمْ ، ما لم تُضْمِرُوا الإِماقَ ، وتأكلوا الرِّباقي ، مَنْ أقرَّ بما في هذا الكتاب فَلَهُ من رسول الله الوفاءُ بالعهدِ ، والدِّمَّةُ ، ومن أبي فعليه الرِّبْوَةُ .

وتقلُّ أخبارُ هذه القبيلة في صدر الإسلام ، وانسِياح الجيوش الإسلامية في الغزوات خارج الجزيرة ، ويظهر أنها ممن شارك في بعض الفتن ، إذ يفهم من كلام ابن جرير أنها ممن شايع المختار بن أبي عُبَيْدٍ في ثورته سنة ٦٦ ، وكان لها خُطَّةٌ في البصرة .

وقد حدد الهمداني بلاد بني نهد وذكر فروعهم في عهده^(١٦) فقال : طَرِيبٌ وَمَصَابُهُ
من دَوَاتِ القِصَصِ ، وَكُتْنَةُ ، وَأَرَاكٍ وَأِدٍ فِيهِ أَرَاكٌ ، وَأَرَاكَةٌ فِي أَسْفَلِ بَلَدِ زَيْدٍ ،
وَأَرَاكَةٌ نَاحِيَةِ المِصَامَةِ من ديار خثعم بن عامر بن ربيعة ، وَتَثْلِيثٌ ، وَكَانَ لِعَمْرٍو
ابن مَعْدٍ يَكْرِبُ فِيهِ حِصْنَ وَنَخْلٌ ، وَالقَرَارَةُ وَالرِّيَّانُ ، وَجَاشٌ ، وَذُو بَيْضَانَ ،
وَمَرِيْعٌ وَعَبَائِلٌ ، وَغَرْبٌ ، وَالحِضَارَةُ ، وَالعِشْتَانِ ، وَالبَرْدَانُ - وَالبَرْدَانُ بِثَرْبِتَالَةَ
وَبالعَرَضِ من نَجْرَانَ - وَذَاتِ الْإِلَهِ ، وَهِيَ قَرْيَةُ الدَّبِيلِ ، وَعِشْرٌ ، وَعِشْرٌ بُوَادٍ من
نَاحِيَةِ صِنْعَاءِ ، وَعَارِبَانَ ، وَسَقَمٌ ، وَقَرْيَتُهُمُ الْهَجِيرَةُ ، وَالَّذِي يَسْكُنُ هَذِهِ الْبِلَادَ
من قِبَائِلِ نَهْدٍ مُعَرَّفٌ وَحَرَامٌ وَهِيَ أَكْثَرُ نَهْدٍ ، وَبَنُو زُهَيْرٍ وَبَنُو دُوَيْدٍ ، وَبَنُو حَزِيمَةَ
وَبَنُو مَرْمِضٍ ، وَبَنُو صَخْرٍ وَبَنُو ضَيْئَةَ ، وَضَيْئَةُ من عُدْرَةَ ، وَبَنُو يَرْبُوعٍ ، وَبَنُو
قَيْسٍ ، وَبَنُو ظَبْيَانَ ، انْتَهَى .

ونقل البكري عن الهمداني في «الأكليل» : حَبُونٌ من ديار مذحج ، وكذلك
جاش ، ومريع وبينبم والهجيرة والكنتنة ، ثم أضاف عن تلك المواضع وهي اليوم
لبنى نهد^(١٧) ، وعد البكري من بلادهم موضعاً سماه صِماماً ، وأورد شاهداً عليه
من شعر عمرو بن معدني كَرِبَ .

ويظهر أن بني نهد لم يستطيعوا الاستقرار في بلادهم هذه لضعفهم ومزاحة
القبائل المجاورة لهم من خثعم وعنز وغيرهم ، وأنهم شاركوا في حروب وقعت بين
العواسج وبين قبيلة عنز ، انتهت بانتصار العنزيين ، ويجد الباحث ما يشير إلى
تلك الحروب في أشعار محمد بن إبراهيم بن إسحاق العوسجي وهو معاصر
للهمداني من أهل القرن الرابع الهجري كقوله يجرض بني نهد :

أَلَا يَا نَهْدٍ وَالْمَسَافَةَ بَيْنَنَا وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنَ ظَنِّ بَغَائِبِ

وقوله :

وَنَادَيْتُهُمْ نَهْدَ بْنَ زَيْدٍ عَلَيْهِمُ مِنْ الْبَيْضِ وَالْمَأْذِيِّ مِثْلَ الْكَوَائِبِ
يَقْرُدُهُمُ الْفَيْضُ رِزْقٌ وَرَهْطُهُ ذُو الْجُودِ ، وَالْمَعْرُوفُ مَحْضُ الضَّرَائِبِ
سَقَى اللَّهُ جَنْبًا وَالْعَلَا سَنَحَانَهَا لَقَدْ صَبَرُوا صَبْرَ الْكِرَامِ الْأَطْيَابِ

وقوله :

سَنَحَاتَهَا شُمَّ الْأُنُوفِ خَضَارِمٌ فِيهَا ، قَمَاقِمَهَا ، فِيهَا الْمَقْنَعُ

وبعده :

يَا خَيْرَ مَذْحِجٍ كُلَّهَا وَسَرَاتِمَا نِعَمَ الْعَبَشِيرَةِ أَنْتُمْ وَالْمَفْرَعُ^(١٨)

وقال عبدالله بن حمزة في قصيدته ذات الفروع :

وَعَزَّرْ نَفْوًا نَهْدَ بَنِ زَيْدٍ وَجَدَعُوا مَعَاطِسَهُمْ بَعْدَ اضْطِلَامٍ فَأَوْعَبُوا

وفي الشرح قوله : وعزَّرْ نَفْوًا نَهْدَ بَنِ زَيْدٍ ، كان سبب ذلك أن نَهْدًا كانت بِتَثْلِيثٍ ، فاستجاشوا مِنْ يَلِيهِمْ مِنْ جَنْبٍ وَصُدَاءَ وَبَلْحَارِثٍ ، وأقبلوا يريدون حَرْبَ عَزْرٍ وَشَهْرَانَ ، فلقوهم بموضع يسمى الحزم ، فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، فكانت سبب انتقالهم إلى حضرموت . انتهى .

ولا يزال أكثر فروع بني نهد منتشراً في بلاد حضرموت وماحولها في شرق اليمن ، وقد ذكر ابن رسول في « طرفة الأصحاب »^(١٩) أن مشائخ حضرموت من نهد ومذحج ، وعدد فروع بني نهد وقال : هذه الوجوه كلها يقال لهم نهد ، وإنما قيل لهم نهد لأنهم يسكنون في البلاد ، وانتسبوا إلى هذا الاسم فغلب عليهم ، وإلا فهم مختلفو القبائل والأصل فيهم من قحطان .

ومن أوفى من تحدث عن بني نَهْدٍ في حضرموت الأستاذ حمزة علي لقمان في كتاب « تاريخ القبائل اليمنية » قسم اليمن الجنوبي .

كما ألمح القاضي الحجري في كتابه عن قبائل اليمن وبلدانها^(٢٠) إلى أسماء الفروع النهدية في تلك البلاد .

وبقي من بني نَهْدٍ في بلادهم القديمة (تَثْلِيثٌ) وما حوله فروع دخلوا في مذحج المعروفين الآن باسم قَحْطَانَ ، وفُرُوعٌ تفرقوا في القبائل الأخرى فبنو زهير من أشهر فروع جَنْبٍ ، قسم منهم دخل في قبيلة عبيدة يعرفون ببني زُهير ، وقسم دخلوا في قبيلة الحُبَابِ على اسمهم ، ولهم نخوة خاصة .

وتجد ذكراً لأفخاذ الزهرة هاؤلاء في « العرب » س ١٧ / ص ٤٦٧ وس ١٩ ص ٢٥٨ وقد أصبحوا يعدون في الحجاب بهذه النسبة : أبناء زيد زهير وعبد (الزهرة) زهير هو ابن زيد بن جميل بن مسلم بن حباب . ومعروف أن حُباب من سنحان وسنحان من مذحج . انظر « العرب » س ١٩ ص ٢٦٤ .

وهناك الزُهْرَةُ من بني زهير ، هاؤلاء مع آل حسن بن صهيب في الأفلاج فيما يعرف باسم (الحِصَافَةِ) وهي الأرض الممتدة بين السهل والجبل من تلك البلاد ، وهم بادية ، وهم الآن ينتسبون إلى الحجاب من سنحان - على ما أفادني الأستاذ حسين بن جُريس - أمير الأفلاج - وهو ذو عناية واهتمام بعلم النسب .

وقرأت في أحد المؤلفات الأخيرة طرفاً من خبر بني نهد هاؤلاء يحسن ايراده وإن لم يكن على درجة من القوة تقنع الباحث ، إلا أنه مما يؤيد ما هو متناقل ومعروف في عصرنا الحاضر عن تفرق هذه القبيلة ، قال في « إمتاع السامر » عن بني نهد^(٢١) : وتفرقت هذه القبيلة بين قبائل العرب ، وعلى أطراف الجزيرة ، وكان مسكنهم بصبح وترج مع بني زيد ، ويمتدون إلى تثلث ، ومن بقاياهم بنو معاوية ، ولاتزال في بيشة ، وبنو نازلة ، وبنو بهش (البهشة) وقد انضموا إلى بني ثعلبة من بالأحمر ، ومن بقايا بني نهد في تثلث بنو معمر بن حزيمة ، بجوار الفهر بن معرف بن نهد ، والفهر من قيس بن معاوية بني الحارث ، دخل في نهد مع الجرابيع (جربوع) بن عُصَم بن نهد قد اختلطوا ببني حزيمة بن نهد ، كما دخلت الأغلوق من ولد مازن بن ربيعة بن منبه بن صعيب بن سعد العشيرة في بني مُعْمِر ، وأطلق عليهم العُلُقَة ، كما دخل في آل مُعْمِر بنو عُذْرَة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود القضاعي ، والعذرة هم بنو عوف بن عذرة . ومن العُلُقَة آل علي عشيرة فردان بن ظافر شيخ آل مُعْمِر . ومن بني مازن برفاء وعُصَم ابنا مازن اللذان انضموا في حلف عُتَيْبَة وعرفا بِالْعُصَمَة .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

- (١) عن « مختصر جمهرة النسب » - مخطوطة مكتبة راغب باشا في اصطنبول - ٣٠٨/٣٠٧
- (٢) في الماش : مرة بن جابر بن عمرو بن نهد بن زيد بن ليث بن سود ، منهم الراعي المري الشاعر غير ←

نظام المهر عند العرب قبل الإسلام

عرف العرب ، قبل الإسلام ، طرقاً متعددة للزواج نذكر منها : زواج السَّبِي وزواج البدل وزواج المهر .

أما زواج السَّبِي فكان يحدث عادة في أعقاب الحروب القبلية ، حيث يتزوج الرجل من مَسْبِيَّتِهِ . ومثل هذا الزواج لم يكن - بطبيعة الحال - يتطلب موافقة المسبية أو أهلها ، كما لم يكن يتطلب دفع صداق أو مهر إلى المرأة أو أوليائها . ورغم شيوع هذه الطريقة في الزواج ، بسبب شيوع الحروب القبلية ، لم تكن تشكل طريقة من الطرق العادية المألوفة للزواج . بل كانت أقرب إلى أن تكون

-
- النمرى المشهور هنا مرة بطن غير هذا ، من كتاب «مختصر جمهرة النسب» مخطوطة راغب باشا في اصطنبول - وانظر عنها «العرب» ص ٢١ ص ٢٨٩ .
- (٣) «معجم ما استعجم» ص ١٧ .
- (٣) على اختلاف بين النسابين إلى أي الجذمين قحطان أو عدنان يرجع نسب قضاة ، وأبذ الهمداني في «الأكليل» ج ١ ص ١٣٧ نسبتها إلى جَمْرٍ من قحطان .
- (٤) «معجم ما استعجم» ص ٣٠ .
- (٥) «معجم ما استعجم» ص ٣١ .
- (٦) المصدر ٤٥ .
- (٧) «الأنساب» ٢٣١/١ .
- (٨) المصدر نفسه ص ٥١ .
- (٩) المصدر نفسه : ٥٠ ، ٥١ الفتاحة بضم الفاء وكسرهما - الحكم في الخصومات .
- (١٠) «معجم ما استعجم» ص ٨٢ .
- (١١) انظر «مغازي الواقدي» ٥٧٥ - «رسالة عرام بن الأصبح» .
- (١٢) «الأنساب» للصحاري ج ١ ص ٢١٥ .
- (١٣) «لسان العرب» رسم جمرة .
- (١٤) ٢٦٨/١ - طبع بيروت - و«مجموعة الوثائق السياسية» رقم ٩٠ .
- (١٥) ج ٢ ص ٢٣٩ - هامش «الاصابة» .
- (١٦) «صفة جزيرة العرب» ٢٥٣ .
- (١٧) «معجم ما استعجم» - رسم - حيونن وجاش - .
- (١٨) «الأكليل» ج ٢ ص ١٧١ .
- (١٩) ١٣٥ .
- (٢٠) ٧٤٥ .
- (٢١) «امتناع السامر» ٣٨ .

طريقة استثنائية تبررها ظروف خاصة .

وأما زواج البدل ، وهو ما كان يُعرفُ بنكاح الشُّغار ، فكان يتمثل في أن يزوج الرجل موليته لرجل على أن يزوجه الأخير موليته دون أن يدفع أي منها مهرًا للآخر . ورغم ان هذه الطريقة في الزواج – على ما يبدو – أقدم من زواج المهر فإن كل الدلائل تشير إلى أنها لم تكن شائعة في العصر الجاهلي ، نظراً لما كانت تنطوي من عيوب ومضايقات بالمقارنة بزواج المهر .

وأما زواج الصداق أو المهر ، وهو الزواج الذي يقتضي قيام الراغب في الزواج ، أو من يقوم مقامه ، بدفع قدرٍ من المال إلى وليِّ المرأة التي يرغب في الزواج منها ، فكان أكثر طرق الزواج شيوعاً في العصر الجاهلي . . وكانت للمهر في هذا العصر قواعد تنظمه من جوانبه المختلفة . ورغم أن معلوماتنا عن نظام المهر – شأنه في هذا شأن غيره من النظم العربية قبل الإسلام – معلوماتٌ قليلة متناثرة فسوف نحاول الوقوف على ملامحه الرئيسة ، مستعينين في ذلك بالمعلومات القليلة التي انتقلت إلينا من العصر الجاهلي و صدر الإسلام . والمعلومات المتوفرة عن نظام المهر في المجتمعات البدوية المعاصرة . وكذلك بالمعلومات المتاحة لنا عن نظام المهر لدى المجتمعات القبلية غير العربية .

وسوف نتناول الحديث عن المهر عند العرب قبل الإسلام من حيث المسائل التالية : نوع المهر ، مقداره ، كيفية دفعه ، المسؤول عنه ، صاحب الحق فيه ، حالات استرداده ، طبيعته .

أولاً- نوع المهر :

المهر ، كما هو معروف ، مقدار من المال يدفعه الراغب في الزواج ، أو يدفع لحسابه ، إلى وليِّ المرأة التي يرغب في الزواج منها . ومن الطبيعي أن يختلف نوع المال ، الذي يدفع على سبيل المهر ، تبعاً لطبيعة حياة المجتمع الاقتصادية .

ففي المجتمعات الرعوية الخالصة كان المهر يتمثل في عدد من رؤوس الحيوانات التي تفتنيها القبيلة . ولما كانت القبائل العربية ، لاسيما تلك التي تعيش في قلب

الجزيرة العربية بعيداً عن الحضارات المجاورة تقتني الإبل بصفة خاصة ، كان المهر لديها يدفع في صورة عدد من الإبل .

ولما كان الرق شائعاً في شبه الجزيرة العربية ، ولما كان الأرقاء يستخدمون — في كثير من الأحيان — رعاة للإبل فإننا نجد المهر في بعض الأحيان يشتمل على عبْدٍ أو أكثر . وكان ذلك يحدث — بطبيعة الحال — عندما يكون الراغب في الزواج على جانب من الثراء .

من ذلك مثلاً أن ذا الجَدَّيْنِ بن قيس بن خالد زَوَّج بنته للقيط بن زُرارة على مئة من الإبل ، ليس فيها مصبورة (مشرفة على الهلاك) ولاناب (مُسِنَّة) ولا كَزُوم (ذهب أسنانها هرماء)^(١) . وتزوج مدرك من بني عامر ، خود بنت مطرود البجليه على مئة ناقة ورعاتها^(٢) . ولما شهر أمر المجنون وليلى وتناشد الناس شعره فيها خطبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء ، وخطبها وَرْدُ بن محمد العُقَيْلي وبذل لها عشرًا من الإبل وراعيها^(٣) .

كذلك لما كان كثير من القبائل العربية على صلة ، مباشرة أو غير مباشرة ، بالحضارات المجاورة ، فقد شاع لديها استخدام العملات الخاصة بهذه الحضارات . ومن الطبيعي والأمر كذلك أن تستخدم العملة الأجنبية ضمن مكونات المهر . ولهذا نجد المهر أحياناً يشتمل على مبلغ من النقود بالإضافة إلى عدد من الإبل .

من ذلك مثلاً أن الحارث بن سليل الأسدي تزوج الزبَاء ابنة حليفه علقمة بن حفصة على مئة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم^(٤) .

وفي المجتمعات العربية التي لا تمارس الرعي أو لا تقتني قطعاناً كبيرة من الإبل ، يتخذ المهر صورة قدرٍ من النقود أو كمية من معدن نفيس ، أو مساحة من الأرض .

ففي مكة — على سبيل المثال — حيث كانت التجارة منتشرة والنقود والمعادن النفيسة شائعة الاستعمال كان المهر يتمثل أحياناً في مبلغ من النقود ، أو قدر من معدن نفيس .

من ذلك مثلاً ما رُوي من أن المهر الذي قدمه النبي ﷺ للسيدة خديجة كان خمس مئة درهم . وقيل : إنه أصدقها اثنتي عشرة أوقية ذهب ونشاً^(٥) .

ثانياً - مقدار المهر :

ليس ثمة شك في أن مقدار المهر كان يختلف من قبيلة إلى أخرى . وهناك من الشواهد ما يدل على أن من القبائل العربية من اشتهر بالمغالة في المهور .

من ذلك مثلاً قبيلة كِنْدَةَ ، فقد عُرفت بالتغالي في المهور . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « اللهم أذهب مُلْكَ عَسَّانَ ، وضع مهور كندة » . وروي أنهم كانوا لا يُزْوجون بأقل من مئة من الإبل ، وربما مُهّرت الواحدة ألفاً^(٦) .

كذلك لم يكن للمهر - داخل القبيلة الواحدة - مقدار محدد ، بل كان مقداره يختلف تبعاً لطائفة من الظروف والاعتبارات .

فليس ثمة شك في أن مقدار المهر كان يتوقف ، أولاً ، على مدى ثراء الراغب في الزواج أو أسرته . فمن الطبيعي أن يدفع الرجل الثري مهراً يفوق في أهميته بكثير ما يدفعه الرجل الفقير .

وقد رأينا أن المهر في قبيلة كِنْدَةَ كان يتراوح بين مئة وألف من الإبل ، ولاشك أن هذا التفاوت في مقدار المهر يرجع إلى التفاوت بين رجال القبيلة في الثراء كذلك روي أن عبدالمطلب بن هاشم مهر فاطمة بنت عمرو مئة ناقة ومئة رطل من الذهب . وروي الجاحظ أن الأعرابي الفقير ربما صاد ضبعاً فاحتمله إلى كَفْتَيْهِ فكان مهرها^(٧) .

وليس ثمة شك في أن وضع المرأة الاجتماعي كان له أثره في تحديد مقدار المهر . فالمهور التي تدفع من أجل بنات شيوخ القبائل وساداتها كانت ولاشك تتجاوز بكثير المهور التي تدفع من أجل بنات عامة أفراد القبيلة .

كذلك لاشك أن صفات الفتاة أو المرأة كان لها تأثيرها في تحديد مقدار المهر . فجمال خلقتها من شأنه أن يزيد في مهرها . يدلنا على ذلك المثل العربي القديم : (ومن يطلب الحسنة لم يُغْلِها المهر) . كذلك لا بد أن حُسْنَ أخلاق المرأة وحמיד

خصالها كان له أثره في زيادة مهرها والعكس بالعكس^(٨) .

ومن العوامل التي لاشك كان لها أثرها في تحديد مقدار المهر كون المرأة تتزوج للمرة الأولى أم سبق لها الزواج وطلقت أو تزلت . وبعبارة أخرى لابد أن الأعراف القبيلة كانت تفرق - من حيث مقدار المهر - بين البكر والثيب . وهذه قاعدة تكاد عامة في المجتمعات القبلية . فالمهر يدفع - أساساً - من أجل إعطاء زوج المرأة حقاً في الأولاد الذين سوف تنجبهم . ومن البديهي أن الفتاة البكر التي لم يسبق لها الزواج تكون فرصتها في الإنجاب أكثر اتساعاً من فرصة امرأة سبق لها الزواج وطلقت أو تزلت .

ويُفرق كثير من القبائل البدوية المعاصرة بين مهر البكر ومهر المطلقة أو الأرملة .

ومن ذلك مثلاً أن مهر المرأة المطلقة لدى بدو مؤاب - طبقاً لما رواه جوسان في أوائل هذا القرن - كان على النصف من مهر البكر^(٩) .

ومن العوامل المؤثرة في مقدار المهر طبيعة العلاقة بين الراغب في الزواج والمرأة التي يريد الزواج منها . فلا شك أن المهر الذي يدفع من أجل امرأة قريبة أقل ، مع تساوي الظروف الأخرى ، من المهر الذي يدفع من أجل امرأة غريبة . وكلما قربت درجة القرابة قلَّ مقدار المهر . وقد يقتصر المهر بين الأقارب الأقربين على مهر رمزي .

فقد ذكر جوسان - في أوائل القرن الحالي - عن بعض قبائل مؤاب (فايز) أنهم لا يطلبون مهراً في الزواج الذي يتم داخل العشيرة ، إذ يعتبرون أنفسهم أسرة واحدة كبيرة ، لكنهم يحصلون على مهر ويدفعونه عند الزواج من قبيلة أخرى^(١٠) .

ويقول يوسف شلحد - في النصف الثاني من القرن الحالي - إن مقدار المهر يختلف تبعاً للقبائل ، وتبعاً لدرجة القرابة . فلدى بني صخر مثلاً من الممكن أن يصل مقدار المهر إلى ٨٠٠ دينار ، إذا كان الراغب في الزواج من جماعة غريبة .

أما إذا كان عضواً بالعشيرة أو جماعة القرابة فإن المهر يتدنى إلى ٢٠٠ دينار بل أقل^(١١) .

كذلك لاشك أن مقدار المهر كان يختلف عند العرب قبل الإسلام تبعاً لنوع الزواج . فلاشك أن مقدار المهر في الزواج العادي كان أكبر منه في الزواج الموقوت أو زواج المتعة ، حيث كان الأمر يقتصر في الزواج الأخير على تقديم هدية أو صداق إلى المرأة نفسها .

ثالثاً- كيفية دفع المهر :

لابد أن كانت للمهر قواعد تُبين كيفية دفعه ، لكننا لا نعرف عنها الشيء الكثير .

فلابد أن المهر كان يدفع علانية ، على مرأى ومسمع من عدد من الشهود . وشرط علانية دفع المهر يتحقق بصورة طبيعية إذا دفع في صورة عدد من رؤوس الحيوانات^(١٢) فسياقة هذه الحيوانات من بيت الراغب في الزواج أو أهله إلى بيت أهل المرأة تحقق العلانية المطلوبة . ومن المحتمل أن سياقة الإبل أو الحيوانات الأخرى التي يتكون منها المهر كانت تتخذ شكل احتفال أو موكب كما هو الحال بالنسبة لكثير من القبائل غير العربية والتي يتخذ المهر فيها صورة عدد من رؤوس الحيوانات .

كذلك لابد أن دفع المهر ، الذي يتمثل في مقدار من النقود أو كمية من معدن نفيس ، كان يتم أمام عدد من الشهود ، نظراً لما لهذه الواقعة من أهمية في تأسيس الرابطة الزوجية .

ولابد أن المهر كانت له عند العرب قبل الإسلام - أسوة بغيرهم من المجتمعات التي عرفت نظام المهر - قواعده من حيث الوقت الذي يدفع فيه . ذلك أننا إذا طالعنا تقاليد عدد من القبائل غير العربية ، بخصوص وقت دفع المهر ، وجدنا بينها تفاوتاً كبيراً . ففي بعض المجتمعات لابد من دفع المهر كاملاً قبل انتقال الزوجة إلى زوجها ، وفي البعض الآخر يدفع جزء من المهر قبل الزواج

والجزء الآخر أثناء قيام الرابطة الزوجية . بل إن من المجتمعات ما يجري العرف فيه بعدم دفع أي جزء من المهر إلا بعد أن تلد المرأة طفلها الأول . ومن المحتمل أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا يسيرون على نمط واحد من حيث وقت دفع المهر وذلك نظراً لما كان بينهم من تفاوت من حيث مقدار المهر . فإذا كان ثمة ما يدعو إلى توزيع دفع مهر كبير القيمة على دفعات ، فليس ثمة مقتضى لذلك إذا كان المهر قليل القيمة .

رابعاً-المسؤول عن دفع المهر:

كان الراغب في الزواج نفسه هو الذي يقوم بتوفير رءوس الحيوانات أو مقدار النقود أو غير ذلك من الأشياء التي كان من اللازم دفعها كمهر من أجل زوجته المقبلة . ويتحقق ذلك عندما تكون للراغب في الزواج ثروته الخاصة . غير أن الراغب في الزواج يكون في بعض الأحيان ، ان لم يكن معظمها ، مجرداً من الثروة الخاصة أو قليل الحظ منها بحيث لا يستطيع دفع المهر اللازم لزواجه . ويصدق ذلك - بصفة خاصة - على الابناء أثناء حياة أبيهم . فبسبب بكور سن الزواج قلما يكون الابن ذا ثروة خاصة تمكنه من دفع المهر المطلوب . . وفي مثل هذه الحالة يتولى الأب دفع المهر لحساب ابنه .

ولدى كثير من القبائل غير العربية - القبائل الافريقية على سبيل المثال - يسود عُرفٌ يقضي بمساهمة عدد من أقارب الراغب في الزواج في توفير المهر اللازم لزواجه . ويحدد العرف في كل قبيلة الأقارب الملزمين بالمساهمة في جمع المهر ، كما يحدد نصيب كل منهم فيه . والقاعدة في هذا الخصوص أن ما يسهم به كل قريب يتناسب طردياً مع درجة القرابة . فكلما قربت درجة القرابة كُبر النصيب الذي يسهم به في المهر ، ويقل إذا بعدت .

ورغم عدم انتقال معلومات إلينا عن عادة مماثلة لدى العرب قبل الإسلام ، فإننا نميل إلى القول باحتمال وجود هذه القاعدة لديهم ، تأسيساً على ضخامة مقدار المهر الذي كان العرف يجري بدفعه لدى بعض قبائلهم . وقياساً على العرف الذي كان متبعاً في شأن دفع الدية . حيث كان الأقارب يساهمون مع

القاتل في توفير القدر من الأموال اللازم دفعها على سبيل الدية . فمساهمة الأقراب في جمع كل من المهر والدية تمثل مظهراً من مظاهر التضامن بينهم ، ذلك التضامن الذي يشكل إحدى المرتكزات الأساسية للحياة القبلية .

خامساً- صاحب الحق في المهر:

هناك من الشواهد ما يدل على أن المهر كان في العصر الجاهلي يُعد على الأقل في المجتمعات البدوية - حقاً لولي المرأة وليس حقاً للمرأة نفسها .

ففي اللغة : النافجة هي البنت لأنها كانت تعظم مال أبيها بمهرها ، لذلك كانوا يُهتنون من ولدت له بنتٌ بقولهم : هَنِيئاً لك النافجة ، أي المنفجة لمالك ، لأنك تأخذ مهرها فتضمه إلى مالك فينتفج^(١٣) .

كذلك رُوي أن وليَّ المرأة إذا زوجها فإن كانت معه في العشرة لم يعطها من مهرها كثيراً أو قليلاً . وإن كانت غريبة حملها على بعير إلى زوجها ولم يعطها شيئاً غير ذلك البعير^(١٤) .

وكان العرب - قبل الإسلام - يمارسون زواج البدل أو زواج الشغار . وفيه يزوج الرجل موليته لآخر مقابل أن يزوجه الآخر موليته ، دون أن يدفع أحدهما للآخر مهراً . ومثل هذا الزواج لا يتصور إلا إذا كان المهر حقاً لولي المرأة دون المرأة نفسها . إذ للوليِّ عندئذٍ أن يتنازل عن طلب مهر من أجل تزويج موليته ، مقابل تنازل الآخر عن طلب مهر من أجل موليته . ولو كان المهر حقاً للمرأة لما جاز للولي أن يتنازل عنه .

يؤيد ذلك أن العرف لدى الكثير من المجتمعات البدوية المعاصرة ، يجري باعتبار المهر حقاً لولي المرأة دون المرأة نفسها . وهو ما يمكن النظر إليه باعتباره استمراراً للعرف السابق على الإسلام .

يقول جوسان مثلاً - في أوائل القرن الحالي - عن قبائل مؤاب في شرق الأردن أن الرجل عندما يزوج ابنته يحتفظ لنفسه بالمهر^(١٥) . ويقول رفعت الجوهري - في منتصف القرن الحالي - عن قبائل سيناء : إنه عند زواج البنت يأخذ أخوها

أو وليّ أمرها مهرها ويعطيها عنزة أو عنزتين ، ثم متى زارته في السنة التالية أعطاها عنزة أو عنزتين^(١٦) . كذلك يقول يوسف شلحد – في النصف الثاني من القرن الحالي – عن قبائل شرق الأردن وفلسطين : إن المهر يخص الأب بحكم العرف وهو يتصرف فيه كما يحلو له^(١٧) .

وفضلاً عن ذلك فإن كل المجتمعات القبلية غير العربية ، التي تعيش في ظل ظروفها الأصلية دون تأثر بحضارة معينة أو دين معين ، تجعل من المهر حقاً لوليّ المرأة أو أوليائها دون المرأة نفسها .

نخلص مما تقدم أنه ليس ثمة شك في أن العرف لدى المجتمعات القبلية العربية التي عاشت قبل ظهور الإسلام ، لاسيما تلك التي لم تخضع لمؤثرات خارجية ، كان يجري باعتبار المهر حقاً لأهل المرأة ، وبخاصة وليها ، دون المرأة نفسها .

واعتبار المهر حقاً لوليّ المرأة لا يمنع من أن المرأة كانت تحصل – بمناسبة زواجها – على هدية تستهدف خلق شعور بالمودة لديها نحو الراغب في الزواج منها . فتلك عادة شائعة لدى كثير من المجتمعات القبلية غير العربية . وهي مجتمعات تجعل من المهر – كما سبق القول – حقاً لأولياء الزوجة دون الزوجة نفسها ؛ ولعل في هذا مايفسر وجود اصطلاح المهر والصدّاق جنباً إلى جنب . فلعل كلمة (المهر) كانت تستخدم للدلالة على الأموال التي كانت تدفع لأولياء المرأة ، وكلمة (الصدّاق) تستخدم للدلالة على مايقدم من هدية إلى المرأة نفسها .

وإذا كان من المسلم أن المجتمعات البدوية العربية كانت – قبل الإسلام – تجعل من المهر حقاً لولي الزوجة ، فإن الوضع لدى المجتمعات القبلية التي كانت تقطن المدن ، مثل مكة ويثرب ، وتلك التي كانت رغم بداوتها واقعة ، على نحو أو آخر تحت تأثير حضارة أو حضارات مجاورة ، محل خلاف .

فقد ذهب بعض الباحثين – فلكن Wilkan مثلاً – إلى أن انتشار الزواج بين الأقارب الأقربين ، استتبع بالضرورة اختفاء الزواج بالشراء – يقصد زواج

المهر - وإلى أن المهر لم يعد ، منذ وقت سابق على عصر النبي ﷺ ثمناً يدفع للأب أو الولي ، وإنما أصبح هدية للزوجة^(١٨) . بينما ذهب البعض الآخر - روبرتسون سميث Robertson Smith - إلى أن الإسلام هو الذي جعل ، لأول مرة ، المهر حقاً للمرأة نفسها دون أبيها أو وليها^(١٩) .

وفي اعتقادنا أنه ليس من المستبعد ان يكون الاتجاه نحو الاعتراف للمرأة بالحق في المهر الذي يدفع بمناسبة زواجها ، قد ظهر في وقت سابق على ظهور الإسلام ، تحت تأثير الحضارات المجاورة . فشرائع البلاد المجاورة الأكثر تطوراً كانت تقر للمرأة ، ومنذ وقت بعيد ، بالحق في مهرها . ولهذا فإن حق المرأة في تملك الأموال التي يقدمها الراغب في الزواج ، كان قد أصبح قاعدة مستقرة في حضارات الشرق الأدنى القديمة .

ويظهر تأثير الحضارات المجاورة ، أول ما يظهر ، في المجتمعات القبلية التي تحضرت . فهي من ناحية أكثر انفتاحاً على هذه الحضارات بسبب العلاقات الوثيقة بينها . وهي من ناحية أخرى أكثر استعداداً لتقبل هذا التغيير ، إذ أن ظروف الحياة في مدينة هي في الواقع التي تؤدي إلى حدوث هذا التطور . وهناك من الشواهد ما يدل على أن بعض الآباء ، في مكة وغيرها ، جرت عاداتهم ، قبل ظهور الإسلام ، بإعطاء بناتهم المهور التي تدفع بمناسبة زواجهن . من ذلك مثلاً ما روي من أن قوماً قعدوا يذكرون الأغنياء من قريش ، فقال أحدهم : المغيرة بن عبد الرحمن فقال له القوم : وهل للمغيرة من مال ؟ . فقال الرجل : أليس له أربع بنات وأربع أخوات ؟ وكان المغيرة يقول : لا أزوج كفوًا إلا بألف دينار . فكان إذا خطب إليه الكفو ، قال له : قد علمت قولي ؟ فيقول له الخاطب قد علمت وقد أحضرت المال ، فيزوجه ويقبض المال منه ، ثم يقول له : اختم عليه بخاتمك . فإذا أدخل زوجته ، بعدما يجهزها بما يصلحها ، بخدمة خادمين ويدخل بيتها نفقة سنة ، دفع إليها صداقها مختوماً بخاتم زوجها . ثم يقول لها : هذا مالك . وما جهزناك به صلة منا لك^(٢٠) . ومن الواضح أن هذا الموقف من المهر يتفق وسلوك أهل الحضر ، دون أهل البادية .

كذلك روي أن لقيط بن زُرارة نزع شريداً إلى قيس بن خالد ذي الجَدَّين ، كريم العرب وأحد ملوكها ، فخطب إليه ابنته ، وتكلم بكلمات كشفن عن قلب زكي ، وأنف حمي ، ونسب سني ، فزوجه الملك ابنته لليلته ، وساق إليها المهر عنه (٢١) .

غير أن اعطاء المهر للزوجة لم يكن على ما يبدو قد أصبح - حتى بين أهل المدن - عرفاً شائعاً أو سنة متبعة . وإنما كان أمراً يتوقف على مكانة الأب الاجتماعية وثروته المادية .

وقد جعل الإسلام المهر حقاً خالصاً للمرأة . فلم يعد لأبي المرأة أو وليها حق في شيء منه . وبذلك لم يعد ثمة ما يدعو للتفرقة بين المهر والصداق . وأصبح اللفظان يستخدمان كمترادفين للدلالة على نفس الشيء .

سادساً - حالات استرداد المهر:

من أكثر قواعد المهر شيوعاً لدى المجتمعات القبلية غير العربية تلك القاعدة التي تسمح باسترداده في حالة طلاق الزوج لزوجته ، وفي حالة الخلع ، وفي حالة رفض الأرملة معاشره قريب زوجها في ظل النظام الخاص بوراثه النساء أو الخلافة عليهن .

فمن الشائع في الأعراف القبلية غير العربية إعطاء الزوج - إذا طلق زوجته - الحق في مطالبة أوليائها برد مادفع من مهر . وللزوج استعمال هذا الحق في حالات معينة منها مثلاً أن يقع الطلاق ولم تكن الزوجة قد أنجبت أولاداً بعد . فالهدف الرئيس من دفع المهر هو الحصول على أولاد المرأة فإذا لم تنجب الزوجة أولاداً ، لم يتحقق الهدف من المهر ، ومن ثم يكون للزوج المطالبة باسترداده ومن هذه الحالات أيضاً أن يقع الطلاق بسبب خطأ الزوجة . وفي الأعراف القبلية غير العربية لا تنتهي الرابطة الزوجية ، في حالة استحقاق الزوج مادفع من مهر أو جزء منه ، إلا بعد أن يسترد ما هو مستحق له .

وهناك من الشواهد ما يدل على أن العرف كان يجري عند العرب قبل الإسلام

بأن يطالب الزوج عند تطليقه زوجته بكل مادفع من مهر ، أو على الأقل بجزء منه .

يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ (البقرة ٢٢٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتَانَا وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَرْئِيًّا ﴾ (النساء ٢٠) .

وقد استمر العرف الذي يعطي الزوج الحق في المطالبة باسترداد المهر أو جزء منه عند الطلاق متبعاً لدى بعض القبائل البدوية المعاصرة .

فقد روى جوسان مثلاً - في أوائل القرن الحالي - في حديثه عن بدو مؤاب أن ثمة ظروفاً قد لا تتمكن المرأة معها من مواصلة العيش مع زوجها ، كما لو كانت عاقراً أو كانت غير موافقة لزوجها ، أو كان زوجها أو أهله يسيئون معاملتها ، أو لإصابتها بمرض لا يرجى شفاؤه . وفي كل هذه الحالات تترك المرأة خيمة زوجها وتعود إلى بيت والديها . لكنها تظل مرتبطة بزوجها حتى ينطق بعبارة (أنت طالق) . ويطالب الزوج دائماً باسترداد المهر . . . وإذا طلق الزوج زوجته إثر غضبة فليس له الحق في المطالبة بالمهر . ولدى بعض العرب يُرد للزوج في حالة تطليقه زوجته في سورة غضب جزءٌ من المهر ، وأحياناً المهر كله ، عندزواج المرأة المطلقة^(٢٢) . وذكر جوسان أن أحد رجال البدو من عرب مؤاب استخدم شاة واحدة في الزواج من ست نساء ، واحدة بعد أخرى^(٢٣) .

كذلك يجري العرف لدى كثير من القبائل غير العربية ، منها على سبيل المثال العديد من القبائل الافريقية المعاصرة ، بإعطاء أهل الزوجة الحق في فصم الرابطة الزوجية سواء لأسباب تخصهم أم استجابة لرغبة الزوجة وذلك بأن يردوا إلى الزوج ماسبق أن دفعه من مهر . وينحلُّ الزواج هنا دون توقف على إرادة الزوج بمجرد رد المهر إليه .

وهناك من الشواهد ما يدل على وجود هذا العرف لدى بعض القبائل العربية قبل الإسلام .

فقد رُوي مثلاً أن عامر بن الظَّرْبِ زوج ابنته من ابن أخيه . . . فلم تلبث إلا شهراً حتى جاءت مشجوجة فقال لابن أخيه : يا بني ارفع عصاك عن بكرتك ، فإن كانت نَفَرْتُ من غير أن تُنْفَرَّ فذلك الداء الذي ليس له دواء . وإن لم يكن بينكما وفاق ، ففراق الخلع أحسن من الطلاق ، ولن تترك مالك وأهلك . فرد عليه صداقه وخلعها^(٢٤) .

ومن حالات استرداد المهر ، لدى كثير من المجتمعات القبلية غير العربية ، رفض الأرملة قبول قريب الزوج عشيراً لها في ظل النظام المعروف بوراثه النساء أو الخلافة عليهن . فوراثة النساء أو الخلافة على الأرامل من أكثر العادات شيوعاً في المجتمعات القبلية بصفة خاصة . وفي كثير من هذه المجتمعات إذا رفضت الأرملة معاشره قريب زوجها وفضلت العودة إلى أهلها ، التزم أهلها برد جزء من المهر الذي حصلوا عليه بمناسبة زواجها ، أو رده كاملاً تبعاً لما إذا كانت أنجبت أولاداً لزوجها الميت أم لم تنجب .

وهناك من الشواهد ما يدل على أن العرب ، قبل الإسلام ، كانوا ينحون نفس المنحى ، فكانوا يعضلون الأرملة حتى تفتدي نفسها .

الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُنْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ﴾ (النساء ١٩) .

وقد روى ابن جرير الطبري ، بصدد تفسير هذه الآية الكريمة ، عن السُّدِّيِّ أن الرجل في الجاهلية كان يموت أو أخوه أو ابنه فإذا مات وترك امرأته فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبها ، أو ينكحها فيأخذ مهرها ، وإن سبقته إلى أهلها فهم أحق بنفسها^(٢٥) .

سابعاً - طبيعة المهر :

ذهب بعض الباحثين الذين تناولوا بدراستهم نظام الزواج عند العرب قبل الإسلام إلى أن الزواج المقترن بمهر لم يكن يخرج عن كونه عملية شراء وبيع : المشتري فيها هو الزوج ، والبائع وليُّ الزوجة ، والمبيع الزوجة نفسها والتمن هو المهر^(٢٦) .

واستند القائلون بهذا الرأي إلى عدد من الحجج نسوقُ أهمها فيما يلي :

١ - أن المهر كان ينطوي على قيمة مالية حقيقية . فلم يكن مجرد قيمة رمزية . وبدفع هذه القيمة كان الزوج يكتسب على الزوجة حقوقاً لم تكن له من قبل . فمن الواضح أن هذه الحقوق هي مقابل المهر .

٢ - أن المرأة لا تكون طرفاً في عقد زواجها . فوليتها هو الذي يعطيها للزوج . وهي لا تحصل على المهر الذي يدفع بمناسبة زواجها وإنما يحصل عليه وليها .

٣ - أن حق الزوج على زوجته حق مَالِيٌّ ، بدليل انتقال الزوجة - ضمن أموال الزوج الأخرى عند وفاته - إلى وارثه في ظل النظام المعروف بوراثة النساء أو الخلافة على الأرامل .

هذه الحجج هي في الواقع الحجج التقليدية لنظرية الزواج بالشراء التي سارت زمناً ، ثم تبين أنها لا تستند إلى أسس سليمة ، وإنما مردها إلى سوء فهم من قبل الباحثين الأوروبيين لنظم الشعوب الأخرى التي تختلف عن النظم التي ألفوها .

فعندما اختلط الأوروبيون الأوائل بالشعوب الأخرى وبخاصة المجتمعات القبلية ، ووقفوا على عاداتها في الزواج من حيث دفع الراغب في الزواج قدرأ من المال إلى أهل الزوجة المرتقبة ، خلصوا إلى أن هذا المال ليس شيئاً آخر سوى ثمن للزوجة . ومن ثم نظروا إلى هذا النوع من الزواج بوصفه شراءً للزوجة من وليها . وفسروا بعض أحكام الزواج من خلال هذا المفهوم . فدور المرأة السلبي في عقد الزواج مردهُ في رأيهم إلى أنها موضوع لعقد الزواج وليست طرفاً فيه .

وَحَقُّ الزَّوْجِ فِي تَطْلِيقِ زَوْجَتِهِ مَرْدُهُ إِلَى أَنَّهُ الْمَالِكُ لَهَا ، وَمِنْ حَقِّ الْمَالِكِ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْ مَلِكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ . وَحَقُّ قَرِيبِ الزَّوْجِ فِي مَعَاشِرَةِ أَرْمَلَتِهِ هُوَ حَقُّ مِيرَاثٍ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحِ .

وانتقلت فكرة الزواج بالشراء من الدارسين لأعراف المجتمعات القبلية المعاصرة إلى الباحثين في نظم الشعوب القديمة . فكلما قابل الباحث منهم مالدي شعب من الشعوب ، زواجاً يقترن بتقديم الراغب في الزواج قدرأ من المال إلى وليِّ المرأة ، رأى فيه زواجاً بالشراء .

وقد كشفت الدراسات الحديثة في مجال علم الإنسان (الانثروبولوجيا) عن أن نظرية الزواج بالشراء لا تستند إلى أساس سليم ، وأنها بعيدة عن الحقيقة والواقع . وعرض الباحثون المحدثون - في مؤلفاتهم - الكثير من الشواهد الدالة على عدم صحتها . وأخذت هذه النظرية تفقد الكثير من بريقها ، وشرع العلماء يتخلون عنها .

وفيما يلي نسوق بعضاً من الحجج التي يستند إليها المنكرون للنظرية القائلة بأن الزواج المقترن بدفع مهر هو عبارة عن شراء للزوجة :

١ - يَسْتَبِيعُ الزَّوْجُ وَاجِبَاتٍ مُتَبَادِلَةً بَيْنَ الزَّوْجِ وَأَقْرَابِ الزَّوْجَةِ . وَأَوَّلُ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ وَاجِبُ الْاحْتِرَامِ الْمُبَادِلِ ، ثُمَّ وَاجِبُ مَسَاعَدَةِ كُلِّ مِنَ الطَّرْفَيْنِ الْآخَرَ عِنْدَ الْحَاجَةِ .

٢ - لَا يَسْتَبِيعُ الزَّوْجُ انْقِطَاعَ الصَّلَةِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَأَقْرَابِهَا . فَأَقْرَابُ الْمَرْأَةِ لَا يَنْفَكُونَ يَهْتَمُونَ بِسَعَادَتِهَا فِي حَيَاتِهَا الزَّوْجِيَّةِ ، وَلَا يَتَوَانُونَ عَنِ التَّدْخُلِ لِصَالِحِهَا كُلِّمَا رَأَوْا إِهْمَالاً مِنَ الزَّوْجِ فِي آدَاءِ وَاجِبَاتِهِ نَحْوَهَا ، أَوْ مَيْلًا لَدَيْهِ نَحْوَ إِسَاءَةِ مَعَامَلَتِهَا .

٣ - تَتَمَتَّعُ الْفَتَاةُ أَوْ الْمَرْأَةُ ، لَدَى كَثِيرٍ مِنَ الشُّعُوبِ الَّتِي تَمَارَسُ زَوْاجَ الْمَهْرِ ، بِحُرِيَّةٍ كَبِيرَةٍ فِي الْمَوْافَقَةِ عَلَى الرَّاعِبِ فِي الزَّوْاجِ مِنْهَا ، وَمِنْ ثَمَّ يَتَوَقَّفُ إِتْمَامُ الزَّوْاجِ أَوْ الْعُدُولُ عَنْهُ عَلَى إِرَادَتِهَا .

٤ - ينطوي الزواج على حقوق والتزامات متبادلة بين الزوجين . فالزواج لا ينحول الزوج مجرد حقوق وإنما يرتب عليه التزامات أيضاً نحو زوجته . وهو لا يفرض على الزوجة مجرد التزامات وإنما يمنحها حقوقاً أيضاً نحو زوجها .

٥ - لا يستتبع الزواج فقدان الزوجة أهليتها المالية . فتظل مالكة لأموالها التي كانت لها قبل الزواج ، قادرة على اكتساب أموال جديدة ، وأهلاً للتصرف في أموالها^(٢٧) .

ومن الواضح أن هذه الآثار ، تتنافى تماماً وفكرة كون الزواج شراءاً للزوجة والمهر ثمناً لها .

والفكرة السائدة لدى الباحثين المحدثين هي أن المهر يمثل لدى المجتمعات التي تأخذ بالقرابة الأبوية ، مقابلاً لنقل طاقة المرأة التناسلية من جماعتها إلى جماعة الزوج . فبدلاً من أن تنجب المرأة أولاداً لجماعتها ، كما هو المفروض ، تنجب أولاداً لجماعة أخرى هي جماعة الزوج . فجماعة المرأة تتخلى عن الأولاد الذين قد تنجبهم لصالح جماعة الزوج .

ومن الطبيعي أن تحصل الجماعة الأولى على ما يمكنها من تعويض ما فقدته . ويتخذ هذا التعويض صورة قدر من المال يدفعه الزوج إلى جماعة الزوجة . والهدف من هذا القدر من المال هو تمكين جماعة الزوجة - بدورها - من الحصول على زوجة لأحد رجالها . فجماعة المرأة تتخلى عنها لجماعة أخرى كمصدر للأولاد مقابل ما يمكنها - فيما بعد - من الحصول على امرأة بديلة ، تعوض بنسلها ما أصابها من نقص في الطاقة التناسلية^(٢٨) .

وفي اعتقادنا أن طبيعة المهر لدى المجتمعات القبلية العربية - قبل الإسلام - لم تكن تختلف عنها في المجتمعات القبلية الأخرى . فالهدف من المهر عند المجتمعات البدوية القديمة كان في اعتقادنا ماثلاً للهدف منه في المجتمعات القبلية الإفريقية المعاصرة على سبيل المثال ؛ وهو نقل طاقة المرأة التناسلية من جماعتها إلى جماعة الزوج . وبعبارة أخرى : إعطاء الزوج الحق في نسبة أولاد الزوجة إليه ، وصيرورتهم بالتالي أعضاء في جماعته .

وليس أدل على ذلك من أن مقدار المهر – كما رأينا – ينظم في حالة زواج المرأة في عشيرة أو قبيلة غربية ، ويقل إذا تزوجت في جماعة قرابتها . بل قد يصبح المهر مجرد مهر رمزي إذا تزوجت من أحد أقاربها الأقربين .

نخلص من ذلك إلى أن المهر لا يتعلق بشخص المرأة بقدر ما يتعلق بأولادها . ومن ثم فإن الزواج المقترن بمهر لا ينطوي على بيع من أحد الطرفين وشراء من الطرف الآخر لشخص المرأة ، وإنما على إعادة للتوازن بين الأُسرتين أو الجماعتين ، وهو التوازن الذي اختل بحصول إحدى الأُسرتين أو الجماعتين على إحدى نساء الأسرة أو الجماعة الأخرى .

الرياض : دكتور محمود سلام زناقي

[الحواشي] :

- (١) أحمد الخوفي « المرأة في الشعر الجاهلي » ص ١٩٢ .
- (٢) خيرالدين الزركلي « أعلام النساء » ج ٢ ، ص ٦٩٠ .
- (٣) أبو الفرج الأصفهاني « الأغاني » ج ٢ ، ص ١٤ .
- (٤) عمود الألوسي « بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب » ج ٣ ص ٢١ .
- (٥) أحمد الخوفي ، المصدر المشار إليه ، ص ١٩٣ .
- (٦) المصدر السابق ، ص ١٩٢ و ١٩٣ .
- (٧) المصدر السابق ، ص ١٩٢ و ١٩٤ ،
- (٨) ويقول بوركاردت (في أوائل القرن الماضي) أن المهر لدى بدو سيناء يتراوح بين خمسة وعشرة دولارات . وقد يصل في بعض الأحيان إلى ثلاثين دولاراً إذا كانت الفتاة من أسرة ذات نسب وعلى قدر كبير من الجمال . انظر :

Burckhardt (J.L), Notes on the Bedouins and Wahabys, Val I, p.269

- (٩) Jausen, Coutumes des Arabes ou Pays de Moab, p.50 .
- ويقول بوركاردت إن مهر المطلقة أو الأرملة ، لدى بدو سيناء ، لا يتجاوز على الإطلاق نصف مهر البكر ، بل هو عادة لا يتجاوز ثلث هذا المهر . المصدر المشار إليه ، ص ٢٦٩ .
- (١٠) جوسان ، المصدر المشار إليه ، ص ٤٩ .
- (١١) Joseph Chelhod, Le Droit dans La Socie'te' B'edoVine, p. 105
- (١٢) لدى قبائل بدوية عديدة يستخدمون كلمة سياقة عوضاً عن كلمة مهر ، والمصدر ساق يعادل مهر : جوسان ، المصدر المشار إليه ، ص ٤٩ .
- (١٣) أحمد الخوفي ، المصدر المشار إليه ، ص ١٩٠ .
- (١٤) القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » ج ٥ .
- (١٥) جوسان ، المصدر المشار إليه ، ص ٤٩ .
- (١٦) رفعت الجوهري (اللواء) : « شريعة الصحراء » ص ١٣٧ .

←

التحري في شأن أبي العلاء المعري

تأليف العلامة الأديب

السيد يحيى بن مطهر بن إسماعيل المتوفى سنة ١٢٦٨

الحديث عن أبي العلاء المعري موضوع هام وطريف ، تَفَنَّن فيه الكاتبون بما شاءوا من مؤلفات تفخر بها المكتبة العربية ، ولسنا بصدد إضافة شيء إلى ما أبدعوا فيه ، ولم يتركوا لأحد من بعدهم شيئاً .

وإنما الجديد أن نجد شيئاً من التراث عنه لم ينشر ، وكان العلماء منذ القرن التاسع عشر الميلادي قد تتبعوا كل ماله صلة بأبي العلاء بالبحث والنشر والتتويه ، ولم يعد هناك ما يجده الباحث حتى ساقتنا الصدفة السعيدة ووجدنا في الزوايا خبايا فيها ذكر لأبي العلاء . وكانت هذه الرسالة الطريفة التي بين يديك .

الرسالة ومؤلفها : مؤلف الرسالة هو العلامة يحيى بن مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن حسين ، فهو حفيد المؤرخ يحيى بن الحسين صاحب « أنباء الزمن » وغيره ، وقد استقصينا مؤلفاته في بحث مستقل منشور بمجلة « العرب » (ج ٩ س ٦ ربيع الأول سنة ١٣٩٢ هـ) وولد مؤلفنا المذكور بمدينة صنعاء سنة ١١٩٠

-
- (١٧) يوسف شُلْحُدُ ، المصدر المشار إليه ، ص ١٠٥ .
- (١٨) Wilken, Das Matriarchat bei den Alten Arabern, p. 62 .
- (١٩) Smith (Robertson), Kinship and Marriage in Ancient Arabia, p. 79 .
- (٢٠) كتاب نسب قريش ص ٣٠٨ وما بعدها ، أورده دكتور جواد علي : « المفضل في تاريخ العرب » ج ٧ ، ص ٤٤٢ .
- (٢١) « جمهرة الأمثال » ص ٢٠١ ، أورده عبدالله عفيفي ، « المرأة العربية في جاهليتها و اسلامها » ص ١٥٩ .
- (٢٢) جوسان ، المصدر المشار إليه ، ص ٥٩ .
- (٢٣) « المصدر السابق » ص ٥٠ .
- (٢٤) الدينوري ، عيون الأخبار ، ص ٧٦ .
- (٢٥) ابن جرير الطبري : « تفسير الطبري » تحقيق محمود محمد شاکر ، ج ٨ .
- (٢٦) انظر مثلاً : سميث ، المصدر المشار إليه ، ص ٧٧ وما بعدها .
- (٢٧) انظر عرضاً مفصلاً للحجج التي قبل بها في تنفيذ نظرية الزواج بالشرء بالنسبة للقبائل الافريقية في كتابنا : النظم القانونية الافريقية وتطورها ، ص ١٦٩ وما بعدها .
- (٢٨) انظر عرضاً مفصلاً لطبيعة المهر لدى القبائل الافريقية في كتابنا المشار إليه ، ص ١٧٦ وما بعدها .

ونشأ بحجر أبيه ثم تدرج في طلب العلم فأخذ عن جماعة من علماء عصره منهم الفقيه سعيد بن إسماعيل الرشيدي ، والعلامة الكبير إبراهيم بن عبدالقادر بن أحمد ، والقاضي عبدالله بن محمد مشحم ، وكان على رأس شيوخه العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ، أخذ عنه في جل أمهات الكتب كـ « العُضد » في أصول الفقه وحواشيه ، وشرح الرضوي على « الكافية » و « المطول » و « الكشاف » وغيره ، ثم اشتغل بالتدريس ، وتبحر في العلوم ، ونظر واجتهد ، وحقق ودقق ، يقول المؤرخ زبارة – الذي نقل عنه هذه الترجمة – : كان لا يخرج من بيته غالباً إلا للصلاة أو الجمعة ، وبيته مأوى لأهل العلم ، وله وجاهة عظيمة ، وحج مرتين ، وأقام بحصن كوكبان ، ثم عاد إلى صنعاء .

ومن مؤلفاته « شرح سنن النسائي » ، و « عقد اللؤلؤ شرح منظومة الجلال » في المنطق و « الزبدة » حاشية على العمدة و « حلية النحور وشفاء الصدور » ، و « العطايا والمنن ذيل بهجة الزمن » لجدّة المؤرخ يحيى بن الحسين ، وله كتاب « بلغة المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام » وله « العنبر الهندي في سيرة الإمام المهدي » وله غير ذلك من الكتب والرسائل المفيدة ، وقد وصفه شيخه العلامة الشوكاني بقوله : له ساعات كثيرة ، وشغلة تامة بالعلم وتقيداً بالدليل ، ومحبة للإنصاف ، وهو على منهج سلفه في البعد عن أعمال الدولة ، والتكفي بما خلفوه له ، وفيه علو همة ، ومكارم وسيادة ، وفي كل وقت يزداد علماً وفضلاً ، وحسن سمت ووقار ، ويقول معاصره الشجني : لم يكن له شغل في غالب أوقاته بغير التحصيل والتدريس ، يأتيه الطلبة إلى مقامه المأهول بالعلم وأهله فلا يردُّ طالباً ولا مستفيداً في أيِّ وقت من أوقاته بإذلاً كتبه لمن طلبها منه للاستفادة مجبواً على مكارم الأخلاق ، قابلاً للحق ، ولو كان من أصغر الطلبة مع سعة صدر وانسراح خاطر .

توفي سنة ١٢٦٨ وقد توسع في ترجمته المؤرخ زبارة في « نيل الوطر » و شيخنا العلامة حمد الجاسر في مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٢٠١ .

وكتابه الذي بين أيدينا رسالة تتوسط مجلد كبير ، جميعه عبارة عن رسائل

للمؤلف ، في عدة موضوعات ، لعل أطرفها هذا الذي نبهته ، وهو موضوع أبي العلاء المعري ، والجدل الكبير حول معتقده ، وقد أسماه « التحري في شأن أبي العلاء المعري » أبان فيه عن تلك المناقشات والحيرة التي كانت تتردد في أذهان أدباء اليمن خلال تلك الفترة حول إيمان أبي العلاء وكفره ، وأهمية هذه الرسالة – في نظري – تأتي في عرض المؤلف رأيه في شأن أبي العلاء ، وتبويب النصوص المتعلقة بالمعري وجمعها ، وعلى الرغم من أن أكثر مراجعه المستقاة منها أبحاثه معروفة ومشهورة وبعضها لم يرجع إليها إلا بالواسطة ، فإن الكتاب ككل هو مرجع ثمين ، يُضَمُّ إلى قائمة مراجع أبي العلاء . وقد أفاد رأياً لمؤلف يمضي من أهل القرن الثالث عشر ، لم يتناوله أحد قبله من أهل هذا القطر باسثناء ذلك المؤلف المفقود الذي ألفه سلفه في القرن التاسع الهجري العلامة محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ وهو بعنوان « نصرة الأعيان من شر العميان » جعله في الرد على أبيات أبي العلاء المعري حول أئمة المذاهب الأربعة .

تقع المخطوطة في تسع ورقات هي عبارة عن المسودة الأولى للمؤلف ، وقد أُرْبِكَ الحواشي بالتعليق والزيادات الكثيرة حتى انه يختلط النص بتلك الإضافات المتعددة ، مما يدل على أن المؤلف كان أثناء التأليف سريع البادرة ، فيهجم على التقييد قبل أن تضيع الفكرة من رأسه ، ثم يأخذ في توسيع الموضوع فيضيف ما عن له بالهامش وهكذا .

ولذا فقد رأينا هذا التحقيق الذي قمنا به ماهو إلا استخراج من مسودة المؤلف وهو في ذاته عمل لا بأس به ، ثم بعد الفراغ من معركتنا مع أصل المؤلف ، استعدت الأنفاس ، وأخذت في مقارنة النقول مع أصول المؤلف وبعضها لم نقف عليها هنا في اليمن كما نبهنا على ذلك بالهامش . على أنها قد أفادتنا في كثير من الإشكالات التي وقفنا عندها طويلاً .

والآن إليك هذه الرسالة الطريفة كما اتضح لنا من مسودة المؤلف وبالله

التوفيق :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم الذي لا يُغلب ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تعالى عن كل مُشابهٍ ونظير ، وتنزه عن أن يكون في ملكه قصور أو تقصير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله ليأمر العباد بالتوحيد والإخلاص ، ويحضهم على ما يكون لهم فيه النجاة والخلاص ، فبالغ في إبلاغ ما أنزل ، وجدَّ في النصح للأمة ولم يهزل ، فجزاه الله أفضل ما جزا^(١) نبياً عن أمته ، وأثابه على ما صنع في بيان مِلَّتِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، صلاة تستغرق مراتب الأعداد ، وتدوم في كل وقت وحين إلى يوم التناد ، وعلى آله ومن جرى على منواله ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، والصحابة والتابعين ، وسلم تسليماً ، وله^(٢) بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فإن النَّاسَ في شأن أبي العلاء المعري على طبقات ، منهم المُعَدَّلُ ومستنده التَّشْيِيعُ ، ومنهم الجارح له ومستنده ذلك ، ومنهم المنسق له لكلمات رويت مقتضبة . ومنهم من قال : إنه كان فاسد العقيدة أو متحير ، غير حاكم عليه في ذلك ، ومنهم من يحسن الظن به ويعتقده من أهل الخير ، ولم يتبين حقيقة الحالة ، وطال بين بعض الناس من أجله الجدل . فعزمت مع الاشتغال بمطالعة بعض كتب الأدب على نقل بعض ما قيل فيه لننظر ما يتلخص في ذلك ، مما يثبت جرحاً أو ينفيه ، وقد صار الأصل إسلامه لثبوته ، ولا ننقل عنه إلا لنقل صحيح ، ولا شك في إسلامه إلا أن إسلامه له شروط وحدود ومعالم ، قلَّ من زاغ عنها يسيراً ورجع إلى دينه سالماً ، كيف وفي شعره ما يدلُّ على تشييع كقوله :

وعلى الأرض من دَمَا الشَّهِيدَيْنِ علي ونَجْلِهِ شاهدان
فهما في آخر الليل محراب^(٣) وفي أولياته شَفَقَانِ
ثبتا في قميصه ليجيء الدهر مستعدياً إلى الرحمن
وكقوله :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفْرِ
ومرأة النُّجْمِ وهي صغرى أرتم كل عامرة وقفر^(٤)

ذكرهما ابن خلكان^(٥) له من اللزوميات إلا أن التشيع لا ينبغي أن يكون سبباً للجرح ولا لتعديل ، فهو صفة كمال إذا كان على الحدّ المعبر من كونه ودّ آل رسول الله ﷺ ، فإن هذا من الأعمال المقبولة التي يتقرب بها إلى الله تعالى قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٦) . وفي السنة : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدأ كتاب الله وعترتي أهل بيتي » وأن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيها^(٧) وغير ذلك كثيراً جداً ، ولكن بشرط عدم السبب لخير القرون فإن ذلك قبيح عقلاً ، ولو لم يُروَ نهي فكيف بعد وروده^(٨) ، فكيف إذا انضمَّ إلى ذلك هجر سنة معلّم الشرائع ﷺ ، فإن هاتين الخلتين لا يلقان بعامل ، وإن كان في عامة الجرأة ، ومع كونه قد قيل في المعري ما قيل ، فهو يتنزه عن هذه الزلة ، وهكذا كل فاهم من أهل كل ملّة .

فإن قيل : إذا ثبت تشييعه ثبت إسلامه بالأولى .

قلت : لا تَلَازِمَ ، والشأن في صحة ذلك فقد يقع لأسباب ولترويج بواطن ، وقد ادّعا غير واحد للتسّتر به وذلك كعلي بن الفضل^(٩) فإنه ادّعا وآل أمره إلى ما آل [حتى أورد عنه الزّحيف^(١٠) قوله من كتاب : من باسط الأرض وداحيها ، وناصب الجبال ومُرسيتها إلى عبده أسعد بن أبي يعفر^(١١)] .

فإن قيل : قد يشكك في صحة دعواه التشيع فكيف لا تشكك في صحة ما نقل عنه ونُسب إليه ؟!

قلت : التشكيك حاصل في ذلك ، إلا أنها قد رُوِيَتْ عنه أمور منظومة ومنتورة تُفوت الحصر ، اتفق على نقل أكثرها المخالف والموافق من الشيعة وغيرهم ، حتى صارت مستفيضة والاستفاضة من طرق اليقين ، وكفى بثبوتها في كتب الشيعة ، وإن كانت أو أكثرها محكية على جهة التمريض ، أو مع الردّ عنها ، فكل ما قيل متكلّف ، والمحاميل المبداه^(١٢) مُتَعَسِّفَةٌ ، ومرجع كل ما قيل إلى أن تلك الأخواض (؟) مفتعلة عليه . وتلك الأشعار مقولة على لسانه من أعاديه ، ومنسوبة إليه ، وهذا قول مردود [١٥٨] فإن في الشيعة كثرة كلية ، وفيهم من له شهرة بذلك جليّة ، والأعداء في كل زمان مع كل انسان أو مع أكثر الناس ، ولم يقع مثل ذلك مع غيره ولا دونه .

وكل حال فالتشيع لا ينبغي أن يكون مُستند الجرح والتعديل ، إذ هما أمران لا يحصل أحدهما مُسمى الجرح إلا بدليل قطعي ، لأنه شهادة عند أهل المذهب لا عند المؤيد^(١٣) بالله ، فهو خبر لا شهادة فيكفي الظن في التعديل لأنه نفي أمور ، الأصل عدمها بخلاف الجرح فهو إثبات أمور الأصل عدمها فلا بد فيه من العلم .

ولا بد من استيفاء الكلام :

فأقول كما قاله بعض من ترجمه : هو الشيخ المشهور بأبي العلاء أحمد بن عبدالله ابن سليمان التَّنُوخِيُّ المعري ، من أهل مَعْرَةَ النُّعْمَان ، العالم صاحب التصانيف ، والذكاء والحفظ ، مولده يوم الجمعة عند مغيب الشمس ، لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاث مئة ، بالمعرة ، أصيب بالجدري وهو ابن أربع سنين وشهر ، سالت إحدى عينيه وانتصبت الأخرى ، ورُوي عنه أنه لم يُثبت من الألوان إلا الأحمر لأنه ألبس في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر فثبت .

وفي شعره ما يدل على إثبات بعض الألوان كقوله :

وَسُهَيْلٌ كَوْجَنَةُ الْحَبِّ فِي اللَّوْنِ وَقَلْبُ الْمُحِبِّ فِي الْخَفَقَانِ^(١٤)

وفي « المعاهد^(١٥) » عن المصيصي^(١٦) الشاعر أنه قال : لقيت بمَعْرَةَ النُّعْمَان عجباً من العجب رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ، ويدخل في كل فن من الجدِّ والهزل ، يكنى أبا العلاء ، وسمعته يقول : أني أحمد الله تعالى على العمى كما يحمده غيري على البصر .

قال في « النسمة^(١٧) » قلت : والشاهد قوله^(١٨) :

قَالُوا : الْعَمَى مَنظَرٌ قَبِيحٌ قُلْتُ : فَفَقَدَانُكُمْ يَهُونُ
وَاللَّهِ مَا فِي الْوُجُودِ شَيْءٌ تَأْسَى عَلَى فَقْدِهِ الْعُيُونُ^(١٩)

قال^(٢٠) ؛ وهو من بيت علم وفضل ورياسة^(٢١) : له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء ، قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، أو اثني عشرة ، ورحل إلى بغداد ثم رجع إلى المعرة .

ومعنى ما ذكر في تاريخ ابن خلكان^(٢٢) وغيره حتى قال الحافظ أبو عبدالله
الذَّهَبِيُّ في « التُّبَلَاءِ »^(٢٣) : أن المذكور مكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم
تَزَهُدًا فلسفيًا ، قال : وكان قنوعاً ، له وقفٌ يقوم بأمره ولا يقبل من أحد شيئاً
ولا يتكسب بالمديح .

وفيها وفي « الإسعاف »^(٢٤) : انه كان قد رحل أولاً إلى طرابلس^(٢٥) وكان بها
خزائن كتب موقوفة فاختار منها ما أخذ من العلم واجتاز باللاذقية^(٢٦) ونزل
ديراً ، كان بها راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع عليه فحصلت له شكوك .
قُلت : فلعل هنا منشأ اعتقاداته الفاسدة .

قالوا : ولقيه رجل فقال له : لم لا تأكل اللحم ؟ فقال : أرحم الحيوان فقال
له : فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان فان كان لذلك خالق فما
أنت بأرأف منه ، وإن كانت الطباع المحدثه لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن
فسكت^(٢٧) .

وإلى عدم أكله اللحم أشار علي بن همام حين رثاه بقوله من قصيدة^(٢٨) :

إِنْ كُنْتَ لَمْ تُرَقِ الدَّمَاءَ سَفَاهَةً فَلَقَدْ أَرَقْتَ اليَوْمَ مِنْ جَفْنِي دَمًا^(٢٩)
سَيَّرْتَ ذِكْرَكَ فِي البِلَادِ كَأَنَّهُ مِسْكٌ فَسَامِعُهُ يُضْمَخُ أَوْفَمَا
وَأَرَى الحَجِيجَ إِذَا أَرَادُوا لَيْلَةً ذَكَرَكَ أَوْجِبَ هَدْيُهُ مَنْ أَحْرَمًا^(٣٠)

قال الذَّهَبِيُّ^(٣١) وغيره وقد سارت الفضلاء إلى بابه وأخذوا عنه وكان أخذ
اللغة عن أبيه ، وعن محمد بن عبدالله بن سعد النحوي [وكان واسع الإطلاع
والحفظ ، روي أنه دخل على المرتضى أبي القاسم ، وعثر برجلٍ فقال : من هذا
الكلب ؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً ، وسمعه
المرتضى وأداناه واختبره ، فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالاً
كبيراً^(٣٢)] .

ويقال : إله كان يحفظ كلما سمع ، ذكر تلميذه أبو زكريا التَّبْرِيْزِي أنه كان
قاعداً في مسجد بعمرة النعمان ، بين يدي أبي العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه ،

قال : وكنتُ قد أقيمتُ عنده عدَّة سنين ولم أرَ أحداً من أهل بلدي فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة ، فرأيتُه وعرفته فتغيرتُ من الفرح ، فقال لي أبو العلاء : أي شيء أصابك ؟ فحكيتُ له أي رأيتُ جاراً لي بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي عدة سنين . فقال لي : قم فكلمه ، فقلت : حتى أتم السؤال (٣٣) ، فقال لي : قم وأنا انتظرُك فقمْتُ وكلمته بلسان الأذربيجية (٣٤) شيئاً كثيراً إلى أن سألت عن كل ما أردت ، فلما رجعتُ وقعدت بين يديه قال لي : أيُّ لسانٍ هذا ، قلتُ : هذا لسان أذربيجان فقال : ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أني حفظت ما قلتما ، ثم أعاد اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه بل جميع ما قلت وقال : فتعجبت غاية العجب كونه حفظ ما لم يفهمه .

وللناس حكايات يضعونها في عجائب ذكائه وهي مشهورة وغالبها مستحيل .

أما فطنته الخارقة فأمر مشهور ، ذكروا له شواهد [كلبه بالشطرنج ، مع كونه قد يعجز عنه بعض البصراء ، فإنه عجيب ، فقد روي ان المأمون على فحولته ، وحسن تدبيره في كل باب عجز عنه ، ومن فطنة المعريِّ المقبولة ماروي] أن الشعراء كانوا يعرضون عليه أشعارهم ، فوفد عليه مرةً أبو نصر أحمد بن يوسف المنازي (٣٥) ومعه جماعة ، فأنشده ، وأنشده المنازي أبياته في وصف وادي بزاعاً (٣٦) :

وَقَانَا لَفُحَّةَ الرَّمْضَاءِ وَاِدٍ (٣٧)

الآبيات [مشهورة إلى قوله البيت الذي ما قيل في معناه مثله :

يَرُوعُ حِصَاءُ حَالِيَةِ الْعِدَارَى فَتَلْمَسَ جَانِبَ الْعِقْدِ النَّظِيمِ (٣٨)

فلما فرغ قال له أبو العلاء : أنت أشعر من بالشام . ثم غاب المنازي بالعراق والجزيرة مدةً وأستوزره صاحب ميا فارقين (٣٩) أبو نصر الكردي ، وعاد إلى الشام بعد عشرين سنة ، فدخل على المعري مع جماعة من الشعراء فأنشده وأنشد المنازي :

لَقَدْ عَرَضَ الْحَمَامُ لَنَا بِسَلْعٍ

– البيتين – فقال أبو العلاء : ومن بالعراق أيضاً . فعجب الناس من عطفه
بعد هذه المدّة الطويلة ، وحفظه لما قاله أولاً .

وله في التلميح المعنى الحسن مع المرتضى .

إنّ أبا العلاء كان يتعصب للمتنبّي والمرتضى ينتقصه^(٤٢) ، فجاراه يوماً
وعندهما جماعة من أهل الأدب مختلفين فيه ، فقال أبو العلاء : لو لم يكن للمتنبّي
إلا القصيدة التي أولها^(٤١) :

لكِ يامنارِلُ في القُلُوبِ منارِلُ

فأمر المرتضى بإخراجه ، وقال : أتدرون ما أراد الأعمى ؟! إنما أراد قوله
فيها :

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَدْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فِيهِ الشَّهَادَةُ لِـي بَائِي فَاصِلُ^(٤٣)
وله في شعره معان حسنة جداً والحق يقال .

وقد ذكروا أنّه قرأ على محمد بن عبدالله بحلب . وله مصنفات كثيرة منها
« الهمزة والردف » ويسمى أيضاً « الأيك والغصون » يقارب مئة جزء . قال
القاضي أحمد بن خلكان^(٤٣) رحمه الله : وحكى لي من وقف على المجلد الأول بعد
المئة^(٤٤) منه ، وقال : لا أعلم ما كان يُعوّزُه بعد هذا المجلد ، وله ديوان سماه
« سقط الزند » ويسمى شرحه عليه « ضوؤ السقط » وسمّى شرحه لديوان المتنبّي
« معجز أحمد » ولما فرغ منه وقُرئ عليه فيه أخذ الجماعة في وصفه ، فقال لهم :
كأنما نظر إليّ المتنبّي بظهر الغيب إذ يقول :^(٤٥) .

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

ومن مؤلفاته « ذكرى حبيب » وهو مختصر ديوان أبي تمام^(٤٦) ، وشرح ديوان
البحثري ، وسماه « عبث الوليد » وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها وما أخذهم
من غيرهم ، وما أخذ عليهم والانتصار لهم ، والنقد في البعض عليهم ، والناس
مختلفون في أمره ، والأكثر على إكفاره وإلحاده ، وأورد له الرازي في الأربعين^(٤٧)
قوله :

قُلْتُمْ لَنَا صَانِعٌ قَدِيمٌ قُلْنَا: صدقتم كذا نَقُولُ
 ثم زَعَمْتُمْ بِلَا زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ أَلَا فَقُولُوا
 هذا كلام لكم خَبِيءٌ معناه لَيْسَتْ لَنَا عُقُولُ
 قال الرازي : وقد هَذَا في شعره .

وقال ياقوت^(٤٨) : كان مُتَهَمًا في دينه ، يرى رأي البراهمة ولا يرى إفساد
 الصورة ، ولا يأكل لحمًا ، ولا يؤمن بالرسل ، ولا بالبعث ولا بالنشور انتهى .
 [ومن شعره يسخر^(٤٩) :

عقول^(٥٠) تستخفُّ بها السُّطور^(٥١) ولا يدري الفَتَى لِمَن الثُّبور
 كِتَابُ مُحَمَّدٍ وَكِتَابُ مُوسَى وَإِنْجِيلُ ابْنِ مَرْيَمَ وَالزُّبُورُ^(٥٢)]
 ومن شعره في نفي النبوة ما ذكره الذهبي في « النبلاء » :

فَلَا تُحْسَبُ مَقَالَ الرَّسْلِ حَقًّا وَلَكِنْ قَوْلُ زُورٍ صَدْرُوهُ
 وَكَانَ النَّاسُ فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ فَجَاؤُوا بِالْمَحَالِ فَكَدَّرُوهُ^(٥٣)
 وفي « المعاهد^(٥٤) » : وقال أبو يوسف عبد السلام القزويني : قال لي المعري :
 لم أهُجُ أَحَدًا قط ، فقلت له : صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام ، فتغير وجهه أو
 قال : لونه .

ودخل عليه القاضي المنازي فذكر له ما سمعه عن الناس من الطعن عليه
 فقال : مالي وللناس وقد تركت دنياهم؟! فقال القاضي : وأخراهم؟! فقال :
 ياقاضي وأخراهم!! وجعل يكرر أخراهم .

وعن أبي زكريا الرازي قال : قال لي المعري : ما الذي تعتقد؟ فقلت في
 نفسي : اليوم يتبين لي اعتقاده ، فقلت له : ما أنا إِلَّا شَاكٌ . فقال : وهكذا
 شَيْخُكَ !!

وحكي عن الشيخ كمال الدين الزملكاني^(٥٥) أنه قال في حقه : هو جوهرة
 جاءت إلى الوجود وذهبت .

[قال في « المعاهد^(٥٦) » : وقد تلاعب الشعراء بهجائه ومن هجاه أبو جعفر اليامي^(٥٧) الزوزني بقصيدة أولها :

كَلْبٌ عَوَى بِمَعْرَةَ النُّعْمَانِ لَمَّا خَلَا عَنْ رَبَقَةِ الْإِيمَانِ
أَمِعْرَةَ النُّعْمَانِ مَا أَنْجَبَتْ إِذْ أَخْرَجَتْ مِنْكَ مَعْرَةَ الْعُمَيَّانِ]

قلت : وقد رأيت كلمات غير واحد من الشيعة قد أجابوا عن بعض ما هو منسوب إليه إلا التي في نفي النبوات والتي قبلها فلم تُرد إلا بقول كلى (؟) [ذكره في « المعاهد^(٥٨) » وغيرها عن أبي اليسر^(٥٩) المعري : أن أبا العلاء] كان يرمي من أهل الحسد له بالتعطيل وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه ، وإيثاراً لإتلاف نفسه ، وفي ذلك يقول :

حاول^(٦٠) إهواني قومٌ فَمَا وَاجَهْتُهُمْ إِلَّا بِإِهْوَانِي
يُحْرَسُنِي^(٦١) مِنْهُمْ سِعَايَاتُهُمْ فَغَيَّرُوا نِيَّةَ إِخْوَانِي
لَوْ اسْتَطَاعُوا لَوْشُوا بِي^(٦٢) (م) إِلَى الْمُرِيخِ فِي الشَّهْبِ وَكَيَّوَانِ

وفي البيت الثاني في « المعاهد » حقاً وجدته^(٦٣) صاحب « النسمة » وقد ظنيت^(٦٤) عليه [وتأمل قوله لو استطاعوا لوشوا بي إلى المريخ الخ ، تجد فيه مايدلك على إعراضه عن الله وعدم خوفه منه نسأل السلامة من الخذلان]^(٦٥) .

قال الصلاح الصفدي^(٦٦) : أما الموضوع على لسانه فلعله لا يخفى على ذي لُبٍّ وأما الأشياء التي دَوَّنَهَا ، وقالها في « لزوم مالايلزم » وفي « استغفر استغفري^(٦٧) » [قيل وسبب تسميته به أنه يقول خشية هذه [. . .] استغفر واستغفري^(٦٨)] فما فيه حيلة ، وهو كثير من القول بالتعطيل والاستخفاف بالنبوات . ويجتمل أنه ارعوى وتاب بعد ذلك كله انتهى .

قلت : ومن شعره في القدح في النبوات ولعل من الله^(٦٩) في « النبلاء » :

دِينٌ وَكُفْرٌ وَأَنْبَاءٌ تُقَالُ وَفُرٌّ قَانَ يُنْصُ وَتَوْرَاةٌ وَإِنْجِيلٌ
فِي كُلِّ جَيْلٍ أَبَاطِيلٌ يُدَانُ بِهَا فَهَلْ تَفَرَّدَ يَوْمًا بِالْهُدَى جَيْلٌ^(٧٠)

فأجابه الحافظ الذهبي :

نَعَمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَهَادِي وَأُمَّتُهُ فَرَادَكَ اللَّهُ ذُلًّا يَأْدُجِيْجِيْلُ^(٧١)

ومن شعره في إنكار المعاد ، وهو من الأسباب الباعثة على هذا التحري فرقمه حين الانتهاء [في القراءة] إلى بحث تقديم المسند^(٧٢) إليه من الشرح لفظه :

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ^(٧٣)

وقد اعتذر له وأدعي وضوح المعنى : أن المراد بالحيوان والمتحير فيه كونه خلق من جماد ، وهو التراب ، ويرده عَدَمَ تحير فرد نقل عنه فضلاً عن أفراد فكيف بالبرية بأسرها ، وهل ذلك إلا من إنكار القدرة ، والله على كل شيء قدير ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(٧٤) ﴾ وفي الكتاب : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ^(٧٥) ﴾ ، وكَم يَعُدُّ الْعَادُّ ، وانظر في مباديء الخلق ، ولا يسع إلا الإيمان . وما أحسن قول ابن الفارض^(٧٦) .

وَلَاتَكُ بِمَنْ طَيَّشْتُهُ دَرُوسُهُ بِحَيْثُ اسْتَقَلَّتْ عَقْلُهُ وَاسْتَقَرَّتْ
فَتَمَّ وَرَاءَ النَّقْلِ عِلْمٌ يَدُقُّ عَنْ مَدَارِكِ غَايَاتِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ

والذي في « المعاهد^(٧٧) » بعد ايراد بعض القصيدة ما لفظه : في معنى البيت يقول تحيرت البرية في المعاد الجسماني والنشور الذي ليس يتفانى ، وفي أن أبدان الأموات كيف تحيى من الرفات ، وبعضهم يقول وبعضهم ينكر ، وبهذا يتبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجهاد ليس آدم عليه السلام ، ولا ناقة صالح ، ولا ثعبان موسى ، إذ لا يناسب السِّياق ، وقال أبو محمد بن السيد البطلبوسي^(٧٨) حين شرح « سقط الزند^(٧٩) » في هذا البيت : يريد أن الجسم مَوَاتٌ بطبعه ، وإنما يصير حيواناً حساساً متحركاً باتصال النفس به ، فإذا فارقت عند الموت عاد إلى طبعه . فالحياة للنفس جوهرية وللجسم عرضية ، فلذلك يعدم الجسم الحياة إذا فارقت النفس ، ولا تعدمها النفس . انتهى .

ومن شعره في المعنى :

صَحِكْنَا وَكَانَ الصَّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً وَحَقَّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا

تُحَطَّمْنَا أَيَّامٌ حَتَّى كَانْنَا زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكٌ

هكذا في أصل « المعاهد^(٨٠) » : لا يعادلنا وفي الهامش مسح بـ (؟) .

وقد قيل في الاعتذار له : بأن المراد : وأما نحن فَيُعَادُ لِنَاسِبِكَ بإعادة الأرواح والأجسام وذلك إقرار بالبعث والنُّشور ، ولا صحة لما ذكر خصوصاً على ماهو المصدر ، وعلى الثانية فيلزم أن يكون لا معنى لذلك العجز ، إذ يصير كـ (السماء فوقنا) وقد قيل : إن الزُّجاج يُدْقُ ويعاد سَبْكُهُ فبطل ما قيل .

وعن الشيخ فتح الدين ابن سيّد الناس^(٨١) أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد^(٨٢) كان يقول في حقه : هو في حيرة^(٨٣) .

قال الصلاح الصفدي^(٨٤) : وهذا أحسن ما يقال في أمره لأنه قال من

الدالية^(٨٥) :

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لٍ إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ
[بأن أمر الإله واختلف الناس سُ فِدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادٍ^(٨٦)]
قلت : وكذا قوله منها :

قَدْ أَقْرَّ الطَّيِّبُ مِنْكَ^(٨٧) بِعَجْزٍ وَتَقَصَّى تَرَدُّدُ الْعُودِ
وَأَنْتَهَى الْيَأْسُ مِنْكَ وَاسْتَشَعَرَ النَّاسُ مِنْكَ بَانَ لَا مَعَادَ حَتَّى الْمَعَادِ^(٨٨)

قيل : الداعي إلى ضلال عبده ، ومن يقول بالمعاد والهادي الذي يقول بعدمه ، وهذا بيت الاستشهاد وبعده :

وَاللَّيْبُ اللَّيْبُ مِنَ لَيْسَ يَغْ (م) تَرُّ بِكَوْنِ مَصِيرُهُ لِفَسَادِ^(٨٩)

وهذا مناقض لقوله : خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فالمصير إلى فساد زيادة على النفاذ به :

ومن كلام الصفدي^(٩٠) ما لفظه : وقال - يعني المعري - : في خراب العالم :

ومحل أشرف الكواكب^(٩١) دَارًا مِنْ لِقَاءِ الرَّدَى عَلَى مِيعَادِ
وَالثَّرِيًّا رَهِينَةً بِأَفْتِرَاقِ الِ شَمَلٍ حَتَّى تُعَدُّ فِي الْأَفْرَادِ

قال : وهذا قول بفناء هذا العالم وخرابه ، ثم إنه خالف هذا الرأي فقال :

رَاحَ مِنْ رَاحٍ وَالثَّرِيًّا الثَّرِيًّا وَالسِّمَّاءُ السِّمَّاءُ وَالغَفْرُ غَفْرُ
وَنُجُومُ السَّمَاءِ تَعْجَبُ مِنَّا كَيْفَ تَبْقَى مِنْ بَعْدِنَا وَنَمْرُ

وبعد كلام ما نصُّه : ذهب الحكماء إلى القول بعدم أربعة أشياء وهي الزمان والمكان والهيولى والصورة ، وقال أفلاطون بقدوم النفس حتى جاء أرسطاطاليس بفرض^(٩٢) حدوثها ، وخالف أفلاطون ، وقال : هو صديقي والحق أصدق لي منه ، ورتبوا على هذه المقالة : أن العالم باقٍ ببقاء واجب الوجود ، لا يتغير نظامه ، ولا يبلى ولا يحول ولا يزول منه ، وهي من المسائل التي كُفِّروا بها . والصحيح ما ذهب إليه المتكلمون فإنهم استدلوا على حدوث العالم بمجموعه ، وبرهنوا على دعواهم ، وقرروا الأبحاث في ذلك مع خصومهم ، وليس هذا مكان شيء من تلك البراهين لما فيها من تقرير المقدمات التي تنتج المطلوب على ذلك ، فليؤخذ ذلك من كتب الكلام ، والنَّاطِمُ جارٍ على طريقة الحكماء ، والقول بقدوم ما ذكر وإنكار المعاد ، وقد يناقض كلامه في مواضع ويعارض في مواضع . وما عورض به ، ماروى عنه من إنكار المعاد قوله من مرثية^(٩٣) :

جَازَاكَ رَبُّكَ بِالْجَنَانِ فَهَيْدِهِ دَارٌ وَإِنْ حَسَنْتَ تَغْرُ بِسَمِيَّتِهَا
ضَلَّ الَّذِي قَالَ الْبِلَادُ قَدِيمَةً بِالطَّبَعِ كَأَنْتَ . وَالْأَنَامُ كَنَبْتِهَا

قال شارحه البطليوسي^(٩٤) : هذا ردُّ على الدهريين الذين قالوا إن العالم قديم بالطبع ، والناس كالنبات ينبتون ويعودون بالموت هشيماً ، وهذا كفر صريح وضلال بعيد ، بل الحق أن العالم مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ أحدثه الله الواحد القادر بقدرته ، انتهى .

ولو صح تأخر قوله لما ذكر ، لكان بعدم قوله لما يخالف ذلك موحياً للتوقف في حقه ، إذ يحتمل قصد التعمية كما هو الغالب على أكثر الزنادقة ، ولذا يقع الاختلاف فيهم ، ولو تبينت الحقيقة لوقع الحكم عليهم بشيء [. . . .] جَزْماً فكيف مع عدم علم التاريخ وما الذي أُلْجَأُ إلى إثارة ما يخالف الصواب بعد النهي

الشرعي عن تجنب مواضع التُّهم ، هو مما يحدش في العدالة فما ظنك بما يحدش في الدين .

ومن شعره في إثبات المعاد من مَرثيته لوالده التي طالعها^(٩٥) :

وَأَمَامَنَا يَوْمٌ يَقُومُ هُجُودُهُ مِنْ بَعْدِ إِبْلَاءِ الْعِظَامِ وَرَفْتِهَا
والجواب عنه كغيره . .

ومن شعره الدال على التباس أمره قوله من إحدى لامياته :

فَيَا وَطَنِي إِنْ فَاتَنِي بِكَ سَابِقُ مِنَ الدَّهْرِ فَلْيَنْعَمْ بِسَاكِنِكَ الْبَالُ
فَبِأَنَّ أُسْتَطِعَ فِي الحُشْرِ آتِكَ زَائِرًا وَهِيَهَاتَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْغَالُ!

قال شارحه^(٩٦) : أي إذا حال الدهر بيني وبين وطني وأمكنتني يوم القيامة زيارته زرتة قضاء لحقه ولكن بعد ذلك جدًّا لكثرة الأشغال بها ، إذ لكل امرئ يومئذ شأن يُغنيهِ ، انتهى .

وقد جعل حجة له ، ومن كان راجياً في الله الخير كيف يقع منه التمني للعود إلى وطنه من الدنيا التي هي جملتها أحقر عند الله وعند الصالحين من عباده من كل شيء ، فكيف في حالة يحق فيها الفوز بدار القرار ، وكأنه من تمني الرجعة للإصلاح ﴿ ولو ردوا لعادوا^(٩٧) ﴾ كما قال الله سبحانه .

وقوله : (وهيهات لي يوم القيامة أشغال) كأنه يشير إلى ما عليه من التبعات من مثل هذه الهنات ، وأنَّ فيما دونها أعظم شُغل عند من يوقن بالحساب ، ويصدق بالسؤال نَسأل الله تعالى التثبيت لما يزلفُ ونعوذ به من سخطه خصوصاً يوم الوقوف بين يديه آمين .

ومن شعره في نفي الحكمة^(٩٨) :

تَنَاقُضُ مَالَنَا إِلَّا السُّكُوتُ لَهُ وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ
يَدُّ بِخَمْسِ مِثْنِ عَسَجِدٍ وَوَدَيْتِ مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ؟

وفي نسخة بتأخير : مالنا إلا السكوت له ، قيل في الجواب عليه : كانت أمينة ثمينة ، فلما خانت هانت .

وأجابه علم الدين السخاوي^(٩٩) بقوله :

صِيَانَةُ الْعِرْضِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا خِيَانَةُ أَمَلِ قَائِمِهِمْ حِكْمَةُ الْبَارِي^(١٠٠)

وقد سأله القاريُّ لها عليه : ما معناهما فقال : هذا مثل قول الفقهاء عبادة لا يعقل معناها^(١٠١) .

وقد ذهل عن خزّي المعصية وموجب المخالفة وغفل عن كل ذا إبليس ولعنه ، ونسي إخراج آدم من الجنة حين نسي ، بذلك السَّبب اليسير عُوقِبَ ، ولا يزال عار الذنب عليه حتى القيامة حين يطلبُ منه الشفاعة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾^(١٠٢)

ومن شعره المنسوب إليه قوله :

بِالْقَادِسِيَّةِ فَتْنَةٌ مَابِينَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحِ^(١٠٣)
هَذَا بِنَاقُوسٍ يَدُقُّ وَذَا عَلَى جَبَلٍ يَصِيحُ
كُلُّ يُقْوِي قَوْلُهُ يَالَيْتَ شِعْرِي مَا الصَّحِيحُ !؟

قال الذهبي^(١٠٤) : وله أبيات تدل على أنه كان دهرياً ملحداً مُفحشا في قوله ، موحشاً في اعتقاده وهن قوله :

صَرَفُ الزَّمَانِ مُفَرِّقُ الْإِلْفَيْنِ فَاحْكُمْ إلهِي بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنِي
أَهَيْتَ عَن قَتْلِ النُّفُوسِ تَعَمُّدًا وَبَعَثْتَ أَنْتَ لِقَتْلِهَا مَلَكَينَ^(١٠٥)
وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهَا مَعَادًا ثَانِيًا مَا كَانَ أَغْنَاهَا عَنِ الْحَالِينِ

انتهى الزعم ، وأكثر ما يستعمل في الباطل . ومنه قوله ﷺ : « زَعَمُوا مطية الكذب^(١٠٦) » . وقال شريح^(١٠٧) لكل شيء كُنْيَةٌ ، وكُنْيَةُ الكذب زعموا ، وقد استعمله في خطاب القدوس الأزلي المتعالي عما يقول الملحدون ، ونستغفر الله من إيتاء مثل هذه الأباطيل النادرة من مكان قريب (؟) .

وقد عارض القرآن بكتاب سماه « الفصول والغايات في عراض السور والآيات » وقيل له : أين هذا من القرآن ، فقال : إن هذا لم تصقله المحارِبُ منذُ أربع مئة سنة ، يعني على زعمه

أنه لو كان لكلامه هذه المدة لأَبَسَ الناس إليه ولم تمجّه الأسباع ، وهذا خيال باطل ، فله
ولشعره إلى الآن نحو ألف سنة إلاّ مئتين أو نحو ذلك ما لحق بشعر البلغاء من العرب ونحوهم
كأبي تمام والبحري والمنيبي ، ونحوهم الذين عُني بنظر عمره في خدمة كلامهم كما عُني غيره
بالقرآن (١٠٨) .

ولابد من استيفاء الكلام له وعليه ، في « المعاهد (١٠٩) » وغيرها ما لفظه : وقال السلفي :
مما يدل على صحة عقيدته ماسمعت الخطيب حامد بن بختيار النُميري يحدث بالسمر مه (؟)
مدينة الخابور قال : سمعت القاضي أبا المهلب عبد المنعم بن [أحمد] السروجي يقول :
سمعت أخي القاضي أبا الفتح يقول : دخلت على أبي العلاء التنوخي بالمعرة ذات يوم في وقت
صلاة بغير علم منه ، وكنت أتردد إليه وأقرأ عليه فسمعتة ينشد قوله :

كَمْ غُودِرَتْ غَادَةٌ كَعَابٌ وَعُمِّرَتْ أُمُّهَا الْعَجُوزُ
أَحْرَزَهَا الْوَالِدَانُ خَوْفًا وَالْقَبْرُ جِرْزُهَا حَرِيْزُ
يُجُوزُ أَنْ تُبْطِئَ الْمَنَايَا وَالْحُلْدُ فِي الدَّهْرِ لَا يُجُوزُ

ثم تأوّه مرّات وتلا في ذلك الآية ﴿ لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ
وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ
وَسَعِيدٌ ﴾ ثم صاح وبكى بكاء شديداً ، وطرح وجهه على الأرض زماماً ، ثم رفع رأسه ومسح
وجهه وقال : سُبْحَانَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا فِي الْقَدَمِ .

قلت : ياسيدي أرى في وجهك أثر غيظ فقال : لا يا أبا الفتح ، بل أنشدت شيئاً من كلام
[المخلوق . وتلوت شيئاً من كلام (١١٠)] الخالق فلحقني ماترى ، فتحققت صحة دينه وقوة
نفسه . انتهى .

أقول : هذه الحسنة الجليلة المغمورة بين السباب المهيلة يرجع فيها إلى التاريخ فهل كان
ذلك عند الموت ، وقد أجابه في البيت [الأخير السيد محمد بن إسماعيل الأمير (١١١)] رحمه الله
بقوله (١١٢) :

وَاللَّهِ مَا أَحْطَبَتِ الْمَنَايَا وَلَا عَلِيَّهَا الْخَطَا يُجُوزُ (١١٣)
وَأَمَّا خَالِقُ الْبَرَايَا الْوَاحِدُ الْقَاهِرُ الْعَزِيزُ

الطفل والكهل والعجوز
أق لنيل الهدى يجوز؟

فَدَرَ آجَاهُمْ كَمَا شَا
فَمَنْ تَعَامَى وَكَانَ أَعْمَى

ومن شعره قوله :

وَرُغْتُمْ فِي الْجَوِّ ذَاتَ الْجَنَاحِ
فَكَيْفَ لَوْ خُلِدْتُمْ بِأَقْبَاحِ

أَخْفْتُمْ السَّابِحَ فِي جُجِّهِ
هَذَا وَأَنْتُمْ عَرَضُ لِرُدَى

وأجاب عليه السيد العلامة البدر محمد بن إسماعيل الأمير بقوله :

لِصَيْدِ بَرٍّ وَلِبَحْرِ أَبَاحِ
غَرَاءَ مَا قُلْتَ لَهُمْ يَا قَبَاحِ
ذَاتَ جَنَاحٍ مَا عَلَيْهِ جُنَاحِ

يَا بَرِّهِمِي الشَّرْعَ رَبِّي الَّذِي
لَوْ كُنْتَ تَقْرَأُ الذِّكْرَ وَالسُّنَّةَ الْ
فَمَا عَلَى مَنْ صَادَ حُوتًا وَلَا

وأجابه أيضاً بقوله (١١٤) :

وَلْتِ مِنْ جَهْلِكَ أَهْلَ الصَّلَاحِ
نَصِيدُ مِنْ حُوتٍ وَذَاتِ الْجَنَاحِ
فَمَا عَلَيْنَا فِي مُبَاحِ حُنَاحِ
نَتَّبِعُ آيَاتِ الْكِتَابِ الصَّحَاحِ

حَرَمْتَ أَكَلَ اللَّحْمِ يَا جَاهِلًا
وَرَبُّنَا أَمْتَنَ عَلَيْنَا بِمَا
تَفَضَّلًا يَا مُنْكَرًا فَضْلُهُ
قَلَدْتَ أَهْلَ الْكُفْرِ لَكِنَّا

[١٦٣] والثابت عند أهل الموت (؟) ما سيأتي نقله عن الثبت الذي لا يدافع [في

قول] (١١٥) :

ومن شعره المنسوب إليه فيما رأيت قوله :

كَسَبُ الْفَوَائِدِ لِأَحْبِ التَّلَاوَاتِ
لِلْعُرْبِ إِلَّا بِأَحْكَامِ النُّبُوتِ (١١٦)

وَأَمَّا حَمَلُ التَّوْرَةِ قَارِنَهَا
وَهَلْ أُبِيحَتْ نِسَاءُ [الروم] عَنْ عَرَضِ

ومن التزاماته في إثبات تأثير النجوم ، وهو يكفر معتقد استقلالها بالتأثير :

لِإِقْطَاطِ النَّوَاطِرِ مِنْ كَرَاهَا
وَوَخَلْفَتِ النُّجُومِ كَمَا تَرَاهَا
وَأَوْقَعَ بِالْخَسَارِ مَنْ افْتَرَاهَا

قِرَانُ الْمُشْتَرِي زَحَلًا يُرَجَّى
تَقَضَى النَّاسُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ
تَقَدَّمَ صَاحِبُ التَّوْرَةِ مُوسَى

فَقَالَ رَجَالُهُ وَحْيِي آتَاهُ وَقَالَ الْآخَرُونَ^(١١٧) بَلِ افْتَرَاهَا
وَمَا حَجَّيْ إِلَى أَحْجَارٍ بَيَّتِ كَوْوُسُ الْخَمْرِ تُشْرَبُ فِي ذُرَاهَا
إِذَا رَجَعَ الْحَكِيمُ^(١١٨) إِلَى حَجَّاهُ تَهَاوَنَ بِالْمَذَاهِبِ وَأَزْدَرَاهَا
فصرح بتأثير النجوم ، وبأن التوراة مُفْتَرَاةٌ [في قول] .

وأخبر بأن الخمر تشرب في ذروة تلك الأحجار ، وذروة الشيء أعلاه ، وبأن الرجوع إلى العلمية^(١١٩) من الحكيم يوجب التهاون والإزدراء ، وليس على زيادة .

[وما أحسن قوله : إذا رجع الحكيم . الخ . لا بالمعنى الذي أراده ، بل الحكيم بمعنى اليقظ ، والمذاهب تُزْدَرَى باعتبار مايقع فيها من التعصبات ، وليس الحكم المتبع حقاً إلا بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية^(١٢٠)] .

وفي الرد على الدهريين من الحكماء قوله :

مَنْ قَالَ إِنَّ النَّيِّرَاتِ عَوَامِلٌ فَبِضْدِ ذَلِكَ فِي عُلَاكَ يَقُولُ
يَعْمَلْنَ فِيهَا دُونَهُنَّ بِزَعْمِهِ وَهَنَّ دُونَكَ مَطْلَعُ وَأَفْوَلُ

ومن شعره المعتذر له يدل على إنكاره تأثير النجوم من النونية مُحَاطَباً للمكتوب إليه وهو الشريف المرتضى العلوي^(١٢١) :

يَا ابْنَ مُسْتَعْرِضِ الصُّفُوفِ بَبْدِرٍ وَمُبِيدِ الْجُمُوعِ مِنْ غَطْفَانِ
أَحَدِ الْخُمْسَةِ^(١٢٢) الَّذِينَ هُمْ الْأَعْرَاءُ ضُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ^(١٢٣) وَالْمَعَانِي
وَالشُّخُوصُ الَّتِي خُلِقْنَ ضِيَاءً قَبْلَ خَلْقِ الْمَرِيخِ وَالْمِيزَانِ
قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ السَّمَوَاتُ أَوْ تُؤْمَرِ أَفْلَاكُهُنَّ بِالدُّورَانِ

قوله : أَوْ تُؤْمَرِ أَفْلَاكُهُنَّ بِالدُّورَانِ . قال شارحه : فيه تكذيب ، من قال بأنه يعتقد مذهب الحكماء القائلين بأن لها تأثيراً .

أقول : لكنه قد أثبتته في أبيات عديدة غير هذه ، ونحن لا ننكر أن للنجوم تأثير بقدرة الله تعالى ، وخواصات أودعها الله سبحانه فيها ، كيف ولنجوم الأرض آثاراً وخواصات لا تجحد وهذه أجل ، إنما النزاع في اعتقاد استقلالها

بالتأثير ، أو جعل الآثار العظيمة على فرض الاقتدار في أمور محرمة ، من إنزال الضرر ، والجمع أو التفريق عصياناً لله أو نحو ذلك .

وله الخبر الشهير في قصة الوزير ، ذكرها من ذكر أولاً^(١٢٤) . . وابن الوزير ، وهو السيد العلامة الهادي بن إبراهيم^(١٢٥) في كتابه المسمى بـ « الأجوبة المذهبة على المسائل المذهبة » - بعد أن ذكر المعري على تعصبه للتشيع بما لفظه : وفي شعره ما يدل على الإسلام ، لولا نزغات منه تدل على مخالفة موضوع الشريعة المطهرة ، وإلا ففي شعره ما يدل على تشيعه فضلاً عن إسلامه ، وذلك قوله : وعلى الدهر - الأبيات .

ثم استوفى قصة الوزير كما هي في « النبلاء » . وهو ما حكاه أبو حامد الغزالي في كتابه « سر العالمين وكشف ما في الدارين^(١٢٦) » وحكاه أيضاً ابن أبي أصيبعة في كتابه « الإنباء في تاريخ الأطباء^(١٢٧) » . أن وزير محمود بن صالح الكلابي صاحب « حلب » كذا قيل ، وصرح الغزالي بأن القصة وقعت لرسل السلطان محمود بن سبكتكين قال في « النسمة » والظاهر أن كلام ابن أبي أصيبعة أصح لأن المعرفة من عمل حلب : **وُشِيَ إِلَيْهِ أَنَّ الْمَعْرِيَّ زَنْدِيقٌ لَا يَرَى إِفْسَادَ الصُّورِ ، وَيَزْعَمُ أَنَّ الرِّسَالَةَ تَحْصُلُ بِصَفَاءِ الْعَقْلِ ، فَبَعَثَ مَحْمُودٌ عَلَى طَلْبِهِ خَمْسِينَ فَارِسًا لِيَحْمِلُوهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ أَنْزَلَهُمْ بَدَارَ الضِّيَافَةِ وَأَكْرَمَهُمْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمَةٌ مُسْلِمٌ بِنِ سَلِيمَانَ ، وَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي قَدْ نَزَلَتْ بِنَا هَذِهِ الْحَادِثَةُ ، الْمَلِكُ مَحْمُودٌ يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ مَنَعْنَاكَ عَجْزَنَا ، وَإِنْ أَسْلَمْنَاكَ كَانَ عَارًا عَلَيْنَا عِنْدَ ذَوِي الدِّمَامِ ، فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ عَلَيْكَ عَمِّي ، فَلَا بَأْسَ عَلَيْنَا ، وَلِي سُلْطَانٌ ثُمَّ قَالَ لِعِغْلَامِهِ قَنْبِرٌ^(١٢٨) : قَدِمِ الْمَاءَ فَاعْتَسِلْ [. . .] وَصَلِي إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ قَالَ لِعِغْلَامِهِ : أَيْنَ الْمَرِيخُ ؟ قَالَ : هُوَ فِي مَنْزِلَةِ كَذَا فَقَالَ : زَنْهُ وَاضْرِبْ وَتَدًّا تَحْتَهُ . وَاعْقُدْ يَدَيَّ - وَفِي رِوَايَةٍ - رَجُلِي فِي خَيْطٍ مُتَّصِلٍ بِالْوَتْدِ ، فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ : يَا قَدِيمَ الْأَزْلِ ، يَا عِلَّةَ الْعِلَلِ ، يَا صَانِعَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَمَوْجِدَ الْمَوْجُودَاتِ ، أَنَا فِي عِزِّكَ الَّذِي لَا يَرَامُ ، وَكَنْفِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : الضُّيُوفُ الضُّيُوفُ ، الْوَزِيرُ ، الْوَزِيرُ ، ثُمَّ ذَكَرَ كَلِمَاتٍ لَا تَفْهَمُ ، وَإِذَا بَهْدَةً عَظِيمَةً ، فَسَأَلْنَا عَنْهَا ، فَقِيلَ : هِيَ دَارُ الضِّيَافَةِ وَقَعَتْ عَلَى ثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ مِنَ الضُّيُوفِ ، وَفِي « النَّسْمَةِ » عَلَى الْخَمْسِينَ ،**

وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر : لا تزعجوا الشيخ فإن الوزير قد وقع عليه الحمام ، قال في « النسمة » وحكى الغزالي أن الحمام هو الواقع على الفرسان قال : وهو الأنسب بحال المريخ انتهى ، وفيه توضيح - قال يوسف بن علي فدخلت عليه فقال لي من أين أنت ؟ قلت : من أرض الله ! فقال : أنت من أرض الهركان (١٢٩) أنت يوسف بن علي . مملوك على ملى (؟) ، وزعموا أني زنديق ، ثم قال لي : اكتب على صفة الحالة :

بَاتُوا وَحْتَفِي أَمَانِيهِمْ تَصَوَّرَهُ	وَبِتُّ لَمْ يُحْطَرُوا مِنِّي عَلَى بَالِ
وَفَوْقُوا لِي سَهَامًا مِنْ سِهَامِهِمْ	فَأَصْبَحُوا وَقَعًا مِنِّي بِأَنْبَالِ
فَمَا ظُنُونُكَ إِذْ جُنْدِي مَلَائِكَةٌ	وَجُنْدُهُمْ بَيْنَ طَوَافٍ وَيَقَالِ
لَقَيْتُهُمْ بَعْصًا مُوسَى الَّتِي مَنَعَتْ	فِرْعَوْنَ مَلَكًا وَنَجَّتْ آلَ إِسْرَائِلِ
أَقَوْمٍ خَسِيٍّ وَصَوْمِي الدَّهْرَ أَلْفُهُ	وَأُدْمِنُ الذِّكْرَ أَبْكَارًا بِأَصَالِ
عَيْدِينَ أَفْطَرُ فِي عَامِي إِذَا حَضَرَ	عَيْدِ الْأَصْحَى . . يَقْفُو عَيْدِ شَوَالِ
إِذَا تَنَافَسَتِ الْجُلَاسُ فِي حُلَلِ	رَأَيْتَنِي فِي عَسِيسِ (١٣٠) الْقَطَنِ سِرْبَالِي
لَا أَكُلُ الْحَيَوَانَ الدَّهْرَ مَائِرَةً	أَخَافُ مِنْ سُوءِ أَعْمَالِ وَأَمَالِ
وَكَيْفَ أَقْرَبُ طَعْمِ الشَّهْدِ وَهُوَ كَذَا	غَضِبُ لِمَكْسَبِ نَحْلِ ذَاتِ أَطْفَالِ (١٣١)
نَهَيْتُهُمْ عَنْ حَرَامِ الشَّرْعِ أَجْمَعِهِ	وَيَأْمُرُونِي بِتَرْكِ الْمَنْزِلِ الْعَالِي
وَأَعْبُدُ اللَّهَ لَا أَرْجُو مَثْوِيَّتَهُ	لَكِنْ تَعْبُدُ إِكْرَامًا وَإِجْلَالِ
أَصُونَ دِينِي عَنْ جُعَلٍ أَوْمَلُهُ	إِذَا تَعَبَّدُ أَقْوَامٌ بِأَجْعَالِ

قال السيد العلامة الهادي : هذه الرواية كما سترى . والمقصود منها إخبار المعري ليوسف بن علي باسمه وصفته وإخباره بأنهم حملوه على قتله ، وزعموا أنه زنديق ، كل ذلك وهو غير مُحَرَّرٍ بيوسف هذا ، ولا ماحاله ، وفي فعله ونظمه ونثره ما يخالف الشريعة النبوية ، منها ارتباطه بحب المريخ ومناجاته ، والاستغاثة به ، ونفي ماعداه ، وفيها مايشكل لتضمنها فعل الطاعة والذكر ، وأخطأ في شيء منها : أنه جعل الملائكة جنده ، وهم أعظم من أن يطلق عليهم ذلك أحد إلا الله تعالى ، ومنها قوله : لا يأكل اللحم ، وهو عين رأي البراهمة ، لأنهم يقولون به ، ومنها قوله : إنه لا يأكل العسل ، لأنه كسب النحل لأطفالها ، وقد

نقل هذا عنه [ولا نقول بتجزئة غيره فيما أحسب] .

قال السيد المذكور : وهو يمكن التأول ، لكن من تعمد أقواله وأخباره ،
وصرح به فالتأويل سمج في حقه ، اللهم إلا أن موجهه موجب ، ولا موجب
هنا .

ومنها قوله : إنه يعبد الله إجلالاً وإعظاماً لا مثوبة من خوف وخطر . . هذا
قليل لكن المشروع أن يأتي المكلف بالعبادة على الوجه الذي كلف به ، وعلى
الجملة فهذه الأبيات وأمثالها من النزغات الشيطانية . وأشنع منها وأنكر قوله :

أذَا مَاذَكْرْنَا آدَمَا وَفَعَالَهُ وَتَزْوِيحُهُ بِنْتِيهِ بِأَبْنِيهِ فِي الدُّنَا
عَلِمْنَا بِأَنَّ النَّاسَ (١٣٢) مِنْ نَسْلِ فَاجِرٍ وَأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ عُنْصُرِ الرَّنَا

قال عمارة اليميني في كتابه المسمى بـ « المفيد في أخبار زبيد (١٣٣) » : ومنهم من
شعراء اليمن القاضي أبو محمد الحسن بن أبي عقامة ، وهو كبير فيهم (١٣٤) ،
وكان فقيهاً شاعراً إماماً في العربية واللغة ، وقتله الملك جياش بن نجاح صاحب
زبيد ، وأورد شيئاً من أشعاره . ثم قال : لما بلغ القاضي بيتاً المعري المذكوران :
إذا ما ذكرنا آدمًا - إلى آخرهما - [١٦٤] أجابه بقوله :

لَعَمْرُكَ أَمَا الْقَوْلُ فِيكَ فَصَادِقٌ وَتَكْذِيبٌ فِي الْبَاقِيْنَ مَنْ شَطَطَ أُوْدُنَا
كَذَالِكَ إِفْرَارُ الْفَتَى لِأَزْمٍ لَهُ وَلَا يَلْزَمُ الْبَاقِيْنَ فِي الشُّرْعِ عِنْدَنَا (١٣٥)

وأقول : هذا لا يكفي في الجواب ، فقد سمعت الهجاء والقذف في طريقه ،
ولم أر كهذا التجاري على الأمم في ألوف من السنين .

[ورأيت في « تاريخ ابن واضح (١٣٦) » : أحمد بن يعقوب العباسي بعد أن ذكر
تزوج هابيل بأخت قابيل ، وقابيل بأخت هابيل ، وأن قابيل حسده أن يتزوج
بأخته التي ولدت معه ثم قال وروى بعضهم أن الله عز وجل أنزل لهابيل حوراء
من الجنة فزوجه بها ، وأخرج لقابيل جنيّة فزوجه بها فحسد قابيل أخاه على
الحوراء فقال لها آدم : قَرَّبَا قَرَبَانَا فَقَرَّبَ قَابِيلُ مِنْ تَبْنِ زَرْعِهِ ، وَقَرَّبَ هَابِيلُ
أَفْضَلَ كَبَشٍ فِي غَنَمِهِ ، لَهِ ، فَقَبِلَ اللَّهُ قَرَبَانَ هَابِيلِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ قَرَبَانَ قَابِيلِ ،

فازداد نَعَاسَةً وحسداً وزين له الشيطان قتل أخيه فشدخه بالحجارة حتى قتله فسخط الله على قبايل ، وأنزله من الجبل المقدس إلى أرض يقال لها : [نُود - إلى آخر هذه الرواية - إنْ صَحَّتْ - رَدُّ عَلَى النَاطِمِ بِمَنْعِ الوَاقِعِ مِنْ أَصْلِهِ] .

... فيهم الأنبياء والأتقياء والأصفياء بعد الأبدال ذي الزلفى ومقاله مندفع بأن ذلك ليس بحرام في تلك الشريعة . وما أظنه سبقه إلى مثل مقاله أحد ، ولأمر مقال :

فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ لَاتِ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

قال ضياء الآل يوسف بن يحيى في « نسمة السحر » ما لفظ : وذكر الزمخشري عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ بيت أبي العلاء في صفة نار القرى من القصيدة الفائية التي رثى بها النقيب أحمد الموسوي ، والد الرضي والمرضى^(١٣٧) وهو :

هَمَاءٌ سَاطِعَةٌ الذَّوَائِبِ فِي الدُّجَى تَرْمِي بِكُلِّ شَرَارَةٍ كَطِرَافِ

وحمى عليه وقال : إنه أراد الزيادة على ما في القرآن من تشبيهها بالقصر ، ولا أدري من أين له أنه أراد الزيادة على تشبيه القرآن ، فمن المعلوم أن القصر أعظم من الطراف وهي الخيمة من الأدم الأحمر ، يتخذها الأتراك البادون ، ومياسر العرب ، ولكن الزمخشري مع فضله كان حديد المزاج كثيراً ، انتهى .

وهو كلام متين إلا أنه كان على الضياء ذكر مأخذ جَارِ الله ، ولفظه : وكأنه قصد بِخُبَيْثِهِ أَنْ يَزِيدَ عَلَى تَشْبِيهِ الْقُرْآنِ وَلِتَبْجِجْهُ بِمَا سَوَّلَ لَهُ مِنْ تَوْهَمِ الزِّيَادَةِ جَاءَ فِي صَدْرِ بَيْتِهِ بِقَوْلِهِ : (هَمَاءٌ) تَوَطُّةٌ لَهَا وَمَنَادَاةٌ عَلَيْهَا ، وَتَنْبِيهٌ لِلْسَامِعِينَ عَلَى مَكَانِهَا ، وَلَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ عَمَى الدَّارَيْنِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ كَبَيْتِ أَحْمَرَ ، أَنْتَهَى .

فهذه التوطئة هي الحاملة ولا توجب وإليه يجب الانصاف ، وما أظن الحامل إلا إساءة الظن بالرجل إذ قد صار محل تهمهم [] لا سيما بعد المعارضة للقرآن :

ومن نظمه في تتبع الرُّخصِ قوله المشهور عنه :

الشافِعِيُّ مِنَ الْأَيْمَةِ وَاحِدٌ وَلَدَيْهِمُ الشُّطْرُنْجُ غَيْرُ حَرَامِ
وَأَبُو حَنِيفَةَ قَالَ وَهُوَ مُصَدِّقٌ فِيمَا يُفَسِّرُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ
شُرْبُ الْمُثَلَّثِ وَالْمُنْصَفِ جَائِزٌ فَاشْرَبَ عَلَى أَمْنٍ مِنَ الْأَثَامِ
وَأَجَازَ مَالِكُ اللَّوَاطِ تَطْرُفًا وَهُمْ دَعَائِمُ قُبَّةِ الْإِسْلَامِ
وَأَجَازَ دَاوُدُ السَّمَاعِ لِأَنَّهُ طَرَبَ النُّفُوسِ وَصِحَّةَ الْأَجْسَامِ
وَأَرَى أَنَسًا قَدْ أَجَازُوا مُتَعَةً بِالْقَوْلِ لَا بِالْعَقْدِ وَالْإِبْرَامِ
فَأَفْسُقُ وَلَطُّ وَاشْرَبَ عَلَى أَمْنٍ وَخُذْ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِقَوْلِ إِمَامِ

فتأمل فيما تراه ، وانظر إلى هذه الروايات المفتراة أو المحكيّة عن الأئمة على خلاف ماهي عليه ، ولو فرضنا صحتها أو شيء منها لكان ذلك من المأمور برده وعدم العمل عليه ، إذ يكون من شعر (؟) الرُّخص ، فما من عالم إلا وله زلة فلا يتبع بل يجذر ، وقد قيل : من يتبع أقوال الرجال مالت به من حال إلى حال ، وكان من دين الله على أعظم زوال ، وإيضاح ماتصمته هذه الآيات يحتاج فضل فراغ ، وإطالة ، ومن نظر جميع ماسلف - لم يجد للمنسوبة إليه مخلصاً مجدياً فانتفى (؟) ما قيل [من] الاعتذار له بأن ذلك من أهل الحسد ومن عمل تلامذته ، وأقول : أخبرني أيها المعتذر له بما ذكر ، ما الحامل على ذلك ؟ وعلام حسد ؟! ثم هات نظراء بل نظير واحد من الشيعة أو غيرهم وقع عليه مثل هذا التماي ، وإتباع الأفكار في الافتراء عليه [بنظم هذه القوافي التي تنفر عنها قلوب أولى الأحلام ، وترجف عند قراءتها وكتبتها الأفتدة والأقلام ، اللهم إني استغفرك (١٣٨) به اللسان ، ويجنح به القلم في هذا الميدان ، والعجب من تخصيصه بذلك كون غيره اشتهر بالتشيع ممن لهم القصائد العديدة المستكملة في مدح الآل أو بعضهم ، كعبد الحميد بن أبي الحديد الذي فعل السبع العلويات ، كالسبع المعلقة وغيره قبله وبعده] والحسد داء قديم ولم يكن قبل زمانه عديم ، ثم كيف كان ذلك من تلامذته الأحقا بيرة والدّب عنه ، وأن لا يكون أحد منهم كما قيل « فلما جل ساعده رماني » وكما في الأمثال العامية (أول ماتولى شتى أمه) إلا أن يكون لفساد العقيدة كالطلحة تثمر الشوك .

وهل هذا العذر إلا اعتراف بصحة ذلك ، حتى لم يطلب الصحة أو دعوى على الغير فيحتاج البينة ، نعم تنبه لما أشار إليه القاضي اسحاق العبدى (١٣٩) حين قال بعد كلام تقدم معناه : وكانوا يزعمون [أن له يداً في علم النجوم ، وتأثيراً في إتقانها ، وكان من أهل الرياضة والمتصرفين بخواص الأسماء ، وسمعت له بنوادر ولم أصدقها ، ثم رأيت بعض العلماء من المالكية قال في بعض مؤلفاته في أصول الدين . إن الغزالي كان يتصرف بالثلاثي أعني الوفق الثلاثي ويعظمه ، هذا وأنا أعرف أن الغزالي قد ذكر في بعض مؤلفاته أن المعري كان من أهل هذه الطريقة فكفى بشهادته إن صح النقل كله . انتهى .

ولا يخفى أن الاكتفاء بشهادته لا تتوقف على صحة ذلك كله بل لا يقع إلا بعد الصحة وإلا فالبعض من هذه الفواقير يكفى ، وقد قتل غير واحد من الزنادقة ما قبل على واحد منهم بعض ما نقل عن هذا وذلك كالحلاج ، قتل أسوأ قتلة بعد الضرب الشديد والتقطيع لكل طرف تعبد (؟) وحرق بعد الصلب على كلمات قالها في مجلس بعض الكبراء ، وتعصب له أصحابه ووعدوا أنفسهم برجوعه ، وقالوا : لما زادت دجلة إذ ذاك أنه بسبب وضع رفاده (١٤٠) فيها إلى خرافات كثيرة ، والحال أنه ليس من التشيع في شيء أمّا من كان كذلك فلا يكاد يضره عند أهل طريقته ما فعل ، ولو كفر هذا ما يقتضي به الأستقراء والتتبع ، والذي قاله ابن خلكان : ثبت المؤرخين (١٤١) اللسان أن المعري كان يرى رأي الطباعية من أن موجد الولد أبوه ، وذكر أنه أنشد في مرضه الذي مات منه :

هذا جناه أبي عليٍّ وما جنيتُ على أحد

يعني أنه لم يتزوج ولم يولد ، قال : وأوصى أن يكتب على قبره هذا البيت ، وليس وراء هذه الحالة شيء وهي الحقيقة بحسن الخاتمة أحسن الله خاتمتنا في الأمور كلها ، وحرر في شهر ربيع سنة ١٢١٤ بقلم كاتبه الفقير إلى الله سبحانه يحيى بن مطهر سألح الله تعالى .

صنعاء : عبدالله بن محمد الحبشي

- (١) كذا في الأصل .
- (٢) لعله . (وتابعهم بإحسان) .
- (٣) كذا في الأصل ولعله (فجران) - «العرب» .
- (٤) اللزوميات ٣٩٧/١ .
- (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٤٠/٣ ط احسان عباس .
- (٦) الآية ٢٣ سورة الشورى . . على أن للمحققين من العلماء ما يخالف رأي الشيعة في تفسير هذه الآية الكريمة - ينظر «مناهج السنة» لابن تيمية - «العرب»
- (٧) إذا صح هذا ولكن للعلماء فيه مقال وإن أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم مرفوعاً «الفتح الكبير ج ١ ص ٤٥١» «العرب» .
- (٨) كقوله ﷺ : «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدأ أحدكم» أخرجه مسلم عن أبي هريرة .
- (٩) نائر من أهل اليمس مشهور خبره في كتب التاريخ .
- (١٠) هو المؤرخ البيهقي محمد بن علي بن يونس الزحيف ، من العلماء المؤرخين له «مآثر الأبرار في تفصيل محملات جواهر الأخبار» فرغ من تأليفه سنة ٩١٦ .
- (١١) زيادة بخط المؤلف بالهامش .
- (١٢) كذا في الأصل .
- (١٣) هو الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون ، من أئمة طبرستان ولد سنة ٣٣٣ وتولى الإمامة سنة ٣٨٠هـ ومن مؤلفاته «التجريد» وغيره توفي سنة ٤١١ «تحف المهتدين ص ٤٨» ط صنعاء .
- (١٤) سقط الزند ص ٩٥ ط دار صادر .
- (١٥) «معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص» ج ١ ص ٤٩ ط المطبعة البهية سنة ١٣١٦ .
- (١٦) في معجم الأدباء ١٧٢/١ أبو الحسن الدلفي المصيصي . . قلت هو محمد بن عبدالله بن حمدان عالم بالأدب شاعر له «شرح ديوان المتنبي» توفي سنة ٤٦٠ «الأعلام ٦/٢٢٨» .
- (١٧) يعني كتاب «سمة السحر في ذكر من تشيع وشعر» للأديب يوسف بن يحيى بن الحسين بن محمد بن القاسم ولد بمدينة صنعاء سنة ١٠٧٨ وتوفي سنة ١١٢١هـ .
- (١٨) لم نجدهما في ديوانه .
- (١٩) زيادة من الهامش .
- (٢٠) يعني صاحب معاهد التنصيص ص ٤٩ .
- (٢١) في الأصل ورفاته والإصلاح من شرح شواهد التلخيص .
- (٢٢) «وفيات الأعيان» ج ٣ ص ١١٣ .
- (٢٣) «سير أعلام النبلاء» ج ١٨ ص ٢٣ إلى ٣٩ ترجمة حافلة .
- (٢٤) يعني كتاب «الإسعاف شرح شواهد الكشاف» تأليف خضر بن عطاء الله الموصل المتوفى ١٠٠٧ .
- (٢٥) طرابلس : بفتح أوله بلدة بالشام على شاطئ البحر بين اللاذقية وعكا «مراصد الاطلاع ٩١» .
- (٢٦) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام تعدد من أعمال حمص ، وهي غربي جبلة وهي الآن من أعمال حلب مدينة عتيقة . . «مراصد الاطلاع ص ١١٩٤» .
- (٢٧) «معاهد التنصيص ج ١ ص ٤٩» .
- (٢٨) في «المعاهد» ص ٤٩ و«الوافي» للصفدي ١٠١/٧ .
- (٢٩) «الوفيات» : زهادة «وسير النبلاء» وكذا في «الوافي» للصفدي - بدل (سفاهة) و(عبي) بدل (جفني) و(زهادة) نسب للمقام فالرأثي تلميذه وكل الرثاء ثناء .

- (٣٠) « الوفيات » و « سير النبلاء » . اخرج فدية .
- (٣١) « سير أعلام النبلاء » ٢٦/١٨ .
- (٣٢) زيادة من هامش المحظوظة .
- (٣٣) كذا في الأصل و « المعاهد » : النسق و « الوافي بالوفيات » : السبق وكذا « معجم الأدباء »
- (٣٤) كذا وفي « المعاهد » : الأذربيجانية وأذربيجان صقع حده من بردعة مشرقا إلى رنحان معربا ويتصل حده من جهة الشمال ببلاد الديلم والجليل والفرد من أشهر مدنه تبريز وهي اليوم قصبية وكانت قديما المراجعة ومن مدينة حوي وسلماس وأرمية واربيل وغير ذلك وفيه قلاع كثيرة وخبرات واسعة « مرصد الإطلاع ص ٤٧ » .
- (٣٥) هو من الأدباء استوزره أحمد بن مروان صاحب ميّا فارقين ، له ديوان عزيز الوجود توفي سنة ٤٣٧ « وفيات الأعيان ١٤٣/١ » .
- (٣٦) في الأصل بالراء والغين والأصلح من « الوفيات » وفي « المرصد » ١٩٢ بزاعة بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب فيها عيون جارية وأسواق حسنة .
- (٣٧) من أشهر النظم يقول فيها :
وقانا لطفة الرمضا واد
نزلنا دوحه فحنا علينا
وأرشفنا على ظميا زلالا
وقاه مُضاعف النَّبت العميم
حنوَ المرضعات على الفطيم
ألدُ من المدامة للنديم
- (٣٨) « الوفيات » مروع حصاه حالية العذارى .
- (٣٩) ميّا فارقين : نفتح أوله وتشديد ثانية ثم فاء أشهر مدن ديار بكر « المرصد ١٣٤١ » .
- (٤٠) « الوفيات » للصفدي ٩٧/٧ يفضه .
- (٤١) « ديوان المتنبي » ص ١٧٩ ط اليازجي .
- (٤٢) كذا والديوان : كامل .
- (٤٣) « وفيات الأعيان » ج ١ ص ١١٣ .
- (٤٤) الوفيات المئة جزء .
- (٤٥) ديوان المتنبي ص ٣٤٣ من القصيدة التي أولها :
وَاحِرَّ قَلْبَاهُ مَن قَلْبِهِ شَيْمٌ وَمَنْ يَجْسِمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ
لعله مختصر شرح ديوان أبي تمام ، على غلط « عبث الوليد » الذي هو مختصر شرح ديوان الحصري « العرب » .
- (٤٧) الرازي هو العلامة فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي ، من العلماء المفسرين المتكلمين من أشهر كتبه « مفاتيح الغيب » في التفسير ، توفي سنة ٦٠٦ هـ وكتاب « الأربعين في أصول الدين » ص ٩٥ والنقل عن « الوافي بوفيات الأعيان » للصفدي ج ٧ ص ٩٨ ، وأصل الأربعين من معجم الأدباء لياقوت ج ١ ص ١٩٣ ط مارغليوث .
- (٤٨) ورد في الأصل : (فقولوا) و(حيي) و(خفي) وصوابها من « الوافي » .
- (٤٩) ياقوت : معجم الأدباء ١٩٤/١ والنقل هنا من الوافي للصفدي .
- (٥٠) « اللزوميات » ٣١٩/١ وما بين المربعين [...] من الهامش .
- (٥١) اللزوميات أمور .
- (٥٢) قلت : ببقية المقطوعة تنسف ما أراده المؤلف يقول :
نهت أمّا فما قبلت وبارت نصيحتها فكل القوم بور
- (٥٣) البتآن في « معجم الأدباء » لياقوت الحوي ١٩٣/١ ط مارغليوث .

- (٥٤) « معاهد التنصيص » ٤٩/١ ومصدره ياقوت في « معجم الأدباء » ٣٧١/١ .
- (٥٥) عن « الوافي » ١٠/٧ والزملكاني هو كمال الدين محمد بن علي بن عبدالواحد فقيه انتهت إليه رئاسة الشافعية ولد سنة ٦٦٧ بدمشق وولي نظر ديوان الأفرم ونظر خزانة بيت المال ثم ولي قضاء حلب . . من مؤلفاته « عجمالة الراكب في ذكر أشرف المناقب » توفي سنة ٧٢٧ « الأعلام » ٢٨٤/٤ .
- (٥٦) المعاهد ٥١/١ .
- (٥٧) كذا في الأصل صوانه مافي المعاهد البحائي وكذا في « الوافي » وهو الأديب الشاعر أبو جعفر محمد بن اسحق بن علي الزوزني البحائي من مؤلفاته « شرح ديوان البحريري » وكتاب « نحو القلوب » وهو من أهل زوزون بين هراة ونيسابور توفي سنة ٤٦٣ « الأعلام » ٢٩/٦ .
- (٥٨) عن ياقوت ١٧٩/١ .
- (٥٩) في الأصل : ببشر والاصلاح من ياقوت .
- (٦٠) في الأصل حاولوا هواني والاصلاح من ياقوت .
- (٦١) ياقوت يخرسوني بسعاياتهم .
- (٦٢) الأصل وشواني بالنون .
- (٦٣) كذا في الأصل ولعل هنا سقط .
- (٦٤) كذا في الأصل .
- (٦٥) من زيادات المؤلف بهامش المخطوطة .
- (٦٦) « الوافي بالوفيات » ج ٧ ص ١٠٠ و « معاهد التنصيص » ٥٠/١ .
- (٦٧) أنظر « الوافي بالوفيات » .
- (٦٨) زيادة من المؤلف ولم أجد لها في الوافي والمعاهد .
- (٦٩) كذا في المخطوطة وكتاب النبلاء من تأليف الذهبي سبق ذكره .
- (٧٠) البيتان في معجم الأدباء لياقوت ١٩٣/١ وأصلحناهما منه .
- (٧١) كلمة لم نتيبها في المخطوطة فصحت من « سير أعلام النبلاء » للذهبي ٣٠/١٨ .
- (٧٢) كذا في عبارة المؤلف وفيها غموض لم يتبين لنا .
- (٧٣) « سقط الزند » ص ١٢ .
- (٧٤) الآية ٨٢ سورة يس .
- (٧٥) الآية ٥٩ سورة آل عمران .
- (٧٦) « ديوان ابن الفارض » ص ٦٣ ط المكتبة الثقافية ببيروت .
- (٧٧) عوض لنا . . لم أجد في المعاهد المطبوعة .
- (٧٨) هو عبدالله بن محمد بن السيد من العلماء باللغة والأدب ولد ببطليوس سنة ٤٤٤ ومن مؤلفاته « شرح أدب الكاتب » و « المثلث » في اللغة وتوفي سنة ٥٢١ « الأعلام » ١٢٣/٤ .
- (٧٩) شرح سقط الزند ج ٣ ص ١٠٠٤ .
- (٨٠) معاهد التنصيص ٥٠/١ .
- (٨١) هو أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري مؤرخ له « عيون الأثر » توفي سنة ٧٣٤ .
- (٨٢) هو محمد بن علي ابن دقيق العيد القشيري فقيه ولي قضاء مصر له « الإلمام في الحديث » توفي سنة ٧٠٢ .
- (٨٣) في الأصل : وفي حيرة ، والإصلاح من « الوافي » ١٠٠/٧ .
- (٨٤) « الوافي » ١٠٠/٧ .
- (٨٥) أنظرها في « سقط الزند » ص ٨ .
- (٨٦) زيادة عن الصفدي والبيت في السقط ص ١٢ .

- (٨٧) الديوان ص ١١ « عنك » .
- (٨٨) كذا وفي السقط .
- وانتهى اليأس منك واستشعر الوجد (م) بأن لا معاد حتى المعاد .
- (٨٩) آخر الدالية « السقط ص ١٢ » .
- (٩٠) لم أجدّه في « الوافي » .
- (٩١) الديوان : زحل أشرف الكواكب دارا .
- (٩٢) الكلمة مبهمّة في الأصل :
- (٩٣) من قصيدة أولها :
- ياراعي الود الذي أفعاله تنغي بظاهر أمرها عن نعتها
- (٩٤) شرح سقط الزند ص ١٠٣٤ ولم أجد هذا الكلام في المطبوعة .
- (٩٥) سقط الزند ص ٣٠ .
- (٩٦) شرح سقط الزند ١٢٥٨ .
- (٩٧) من الآية ٢٨ سورة الأنعام .
- (٩٨) اللزوميات ٣١٨/١ .
- (٩٩) هو علم الدين علي بن محمد بن عبدالصمد الهمداني السخاوي المصري ولد سنة ٥٥٨ عالم بالقراءات سكن دمشق من مؤلفاته « المفضل شرح المفضل » و « هداية المرتاب » منظومة في القراءات ، وسمر السعادة وغيره توفي سنة ٦٤٣ « دار الأعلام ٣٣٢/٤ » .
- (١٠٠) البيت في « الوافي بالوفيات » ج ٧ ص ١١٠ .
- (١٠١) « سير أعلام النبلاء » ٣١/١٨ .
- (١٠٢) الآية ٣٧ سورة ق .
- (١٠٣) المعروف (بالأذقية) .
- (١٠٤) نَصُّ كلام الذهبي في « سير أعلام النبلاء » : ٢٨/٨ - : وقال غرَسُ النعمة محمد بن هلال بن المحسن : له شعر كثير ، وأدب غزير ، ويرمى بالإلحاد وأشعاره دالة على ما يُزَنُّ به . . . ونحن نذكر مارمي به ، فمته :
- قران المشتري زحلا يُرجى لإيقاظ النواظر من كراها
سنة أبيات ، وبعدها : صرف الزمان . . فهل نقل المؤلف كلام الذهبي من غير كتاب « سير أعلام النبلاء » أم نسب إليه ما لم يقل .
- (١٠٥) في « سير أعلام النبلاء » : لقبضها ملكين .
- (١٠٦) إشارة إلى قوله صل الله عليه وآله وسلم « بس مطية الرجل زعموا » أخرجه أحمد بن حنبل وأبو داود وعس خديفة بن الياني .
- (١٠٧) هو القاضي شريح بن الحارث بن الجهم الكندي من أشهر القضاة في الإسلام أصله من اليمن ، وولي قضاء الكوفة في زمن عمر ومعاوية توفي سنة ٧٨ هـ « الأعلام ١٦١/٣ » .
- (١٠٨) زيادة بالهامش بخط المؤلف لا تكاد تقرأ .
- (١٠٩) « معاهد التنصيص » ج ١ ص ٤٩ .
- (١١٠) إكمال العبارة من « سير أعلام النبلاء » ٣٣/١٨ .
- (١١١) هو علامة اليمن صاحب المؤلفات الكثيرة من أشهرها « سبل السلام » وغيره وفاته سنة ١١٨٢ وانظر « العرب » س ٧ ص ٦٨٠ .
- (١١٢) ديوان ابن الأمير ص ٢٤٨ ط المدينة .

- (١١٣) ديوان ابن الأمير ص ١٣٢ وكلمة (أخطاة) .
- (١١٤) ديوان ابن الأمير ص ١٣٢ .
- (١١٥) كذا في أصل المؤلف وقد بدأ على الصفحة قبل هذا الكلام كلام مضروب عليه بقلم المؤلف فلعل سياق العبارة في ذلك المضروب عليه والله أعلم .
- (١١٦) هذا البيت ورد في «معجم الأدباء» ج ١/١٩١ ط مرغليوث ولزوم مالا يلزم ص «سير أعلام النبلاء» ٣٠/٨ .
- (١١٧) معجم الأدباء الناظرون .
- (١١٨) معجم الأدباء : الحلیم .
- (١١٩) كلمة غامضة في الأصل .
- (١٢٠) زيادة من هامش الأصل بقلم المؤلف .
- (١٢١) سقط الزند ص ٩٦ .
- (١٢٢) الخمسة هم : النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين .
- (١٢٣) في الديوان منطوق .
- (١٢٤) أوردتها الصفدي في «الوافي بوفيات الأعيان» ج ٧ ص ١٠٧ .
- (١٢٥) هو العلامة الشهير صاحب المؤلفات الجليلة منها «نهاية التنويه في ازهاق الترمويه» وغيره توفي سنة ٨٢٢ . انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ١١٧ .
- (١٢٦) هذا الكتاب مما نسب إلى حجة الإسلام الغزالي وليس من تأليفه يقول شاه عبدالعزيز الدهلوي : (إن الكتاب منقول وليس للغزالي) وقد طبع في بومباي سنة ١٣١٤هـ والقاهرة سنة ١٣٢٤هـ وسنة ١٣٢٧ . انظر «مؤلفات الغزالي» لعبدالرحمن بدوي ص ٢٢٥ وص ٢٧١ .
- (١٢٧) قلت : لم أجد هذه الحكاية في طبقات الأطباء لابن أصيبعة فيهم [وليست في ترجمة المعري من كتاب «النبلاء»] .
- (١٢٨) كذا في الأصل وفي «الوافي» : ثم قال لعلامة : انظر إلى المريح .
- (١٢٩) في «الوافي» : المركار بالراء وفي «مراصد الاطلاع» ١٤٥٧ الهركام بالميم قال : ناحية من نواحي الطرم بين قزوين وبلاد الديلم .
- (١٣٠) «الوافي» خسيس .
- (١٣١) هذا البيت والذي يليه ساقط من «الوافي» .
- (١٣٢) «الوافي» : الخلق وفي «معجم الأدباء» عَلِمْنَا بأن الخلق من أصل ربية .
- (١٣٣) «المفيد» لعبارة ص ٢٨٨ .
- (١٣٤) «المفيد» كبير في بيتهم يعني بني عقامة .
- (١٣٥) كذا في الأصل وفي «الوافي» و«المفيد» وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا وقد أورد المؤلف هذه الرواية في الهامش .
- (١٣٦) «تاريخ اليعقوبي» ج ١ ص ٦ ومنه صحح ما في النقل من أخطاء .
- (١٣٧) «سقط الزند» ٣٦ .
- (١٣٨) بياض ويتم الكلام (عما ينطق) أو ما بمعناها .
- (١٣٩) هو عالم من أهل اليمن ، وفاته سنة ١١١٥ . انظر ترجمته في «نشر العرف» ج ١ ص ٣١٨ .
- (١٤٠) يعني رفاته بالثناء .
- (١٤١) كذا في الأصل .

فصيح العامي في شمال نجد

تجمع ندوة الرفاعي نخبة من رجال الفكر من العلماء والأدباء والشعراء وبعض راغبي الاستفادة مما يدور في الندوة من مناقشات علمية ، وأحاديث أدبية ، ومساجلات شعرية في جَوْ أَحْوَيٍّ وُدِّيٍّ يغمره عميدُ الندوة معالي الشيخ الأستاذ الكبير عبدالعزيز أحمد الرفاعي بدمائه خُلِقَهُ ، ورجاحة عقله ، وكرم سجاياه . وقد جمعتني الندوة يوم الخميس الماضي لأول مرة بالأخ الأستاذ عبدالرحمن بن زيد السويّداء وكنت في شوق إلى لقائه مُدِّ قرأتُ في الصحف ، وسمعت في الإذاعة مقتطفاتٍ من كتابه : « فصيح العامي في شمال نجد » وكانت فرصة طيبة للقاء ، وإن كان التعارف بيننا قائماً على صفحات الصحف وعبر أمواج الأثير . وقد لمستُ في الأخ الكريم علماً وافرأً وعقلاً راجحاً ، ورحابة صدرٍ ، واتزانَ منطقيّ ، فزاد إعجابي به .

وقد شرفني فأهدى إليّ على الفور نسخة من كتابه الذي كنت أتطلع إلى قراءته ، وما إن خرجت من الندوة ، ووصلت إلى داري حتى بدأت في قراءته ، فقرأت المقدمة والتمهيد كله ، ويبلغ عدد صفحاتها ثمانياً وعشرين صفحة وتصفحت الكتاب لأرى طريقة المؤلف في إعداده .

وقد أُعجبتُ بروح البحث والاستقصاء والتمحيص التي رأيتها في ثنايا الكتاب ، وبرغبة المؤلف العارمة في تأصيل الكلمات العامية .

وفي الحقيقة أنّي أخالف من يسعون إلى إثبات أن كلمة عامية أصلها عربيّ ، فالكلمات العامية في البلدان العربية معظمها – إن لم أقل كلها – تعود إلى أصول عربية ، وبخاصة في وسط الجزيرة الذي ظل قروناً لم تطأه قدمُ مستعمر – حتى الآن والله الحمد – ولم تختلط بسكانه عناصرٌ أجنبية ، مثلما حصل في أجزاء أخرى من الوطن العربي على درجات متفاوتة . وإنما ينبغي أن نبحث عن الكلمات ذات الأصول العربية في اللغات الأجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية أو التركية أو الفارسية أو الأردية ونحو ذلك .

والأجدر بنا أن لا نسعى إلى البحث عن أصول الكلمات المستعملة في الحديث بين الناس لنؤكد عروبته ، فذلك أمر يطول ، ولا يكاد يحيط به جهد ، وإنما ينبغي - في نظري - أن يُبَدَّل الجهدُ في تنقية اللغة - وبخاصة لغة الكتابة والإذاعة - من الكلمات الأجنبية الدخيلة الوافدة من اللغات الأجنبية ، وإحلال كلمات عربية فصيحة بدلاً منها .

ولكن هذا لا يقللُ أبداً من قيمة الجهود الكبير الذي بذله الأخ الكريم الأستاذ السويدي ، فهو قد بذل أقصى جهده ، وأصدر كتاباً في مجلدين ضخمين ، يزيد عدد صفحاتها عن ألف ومئة صفحة ، وبلغ عدد الكلمات التي اشتمل عليها ما يزيد على ثلاثة آلاف كلمة ، يشتق منها ما يزيد على عشرين ألف لفظ إضافة إلى ما يزيد على مئة وخمسين كلمة مختزلة ، وقد رتب في الكلمات ترتيباً هجائياً ، واستشهد المؤلف في شرح أكثر الكلمات بأبيات من الشعر ، وبمقولات من الزجل العامي وإن كان في أكثر الأحوال لم يذكر أسماء الشعراء أو الزجالين الذين استشهد بشعرهم وزجلهم ، ولم يذكر مطلقاً المراجع التي رجع إليها عند كل معلومة رجع فيها إلى مرجع ، وإنما اكتفى بسرد المراجع في نهاية الكتاب ، بدون ترتيب على حسب أسماء المؤلفين أو أسماء الكتب كما لم يذكر الأسماء الكاملة للمؤلفين ولا تواريخ ولادتهم ووفاتهم - لمن كان ذلك معلوماً عنهم - ولم يذكر حتى أسماء الكتب كاملة ولم يذكر سنة طبع أي كتاب ولا مكان الطبع ولا اسم ناشره .

وهذه المعلومات مما يرى أساتذة الجامعات وجوب إيضاحه وإثباته ، وبخاصة في الكتب التي تعد من الكتب الموثقة التي تصلح لأن تكون مرجعاً للباحثين اللاحقين .

وهذا الكتاب « فصيح العامي في شمال نجد » يعد من الكتب التي ستصبح مرجعاً للباحثين ، وهو على ضخامته وكثرة ما اشتمل عليه من كلمات ومشتقاتها يدل على صحة ما ذهبنا إليه من صعوبة استقصاء الكلمات المستعملة في الأحاديث العامة وإرجاعها إلى أصولها العربية ، مع أنه قد اقتصر على ما هو مستعمل في

لهجة سكان شمال نجد ، واكتفى بالألفاظ دون الإعراب والاشتقاق ، وقال :
(إنني فضلت البحث في منطقة محدودة خشية أن أخوض في أرجاء لا أئمُّ بالألفاظ
التي تنطق بها فأقع في شيء من الحرج ، مثلما حصل لي في كتابي « نجد بالأمس
القريب » . . . على أمل أن يقوم في كل جزء من نجد أحد أبنائه بعمل مماثل ،
تكون حصيلة هذا العمل مجتمعاً حصيلة جيدة تضم معجماً لغوياً للألفاظ
الفصيحة من اللهجة العامية . . وربما تبع ذلك جهود مماثلة في أرجاء الوطن
العربي الكبير) .

وأعود فأقول : إن الجُرِّي وراء تأصيل الكلمات المستعملة لدى العامة جهد
كبير ، لهدف مشكوك في فائدته ، وإنما الأولى أن نستخرج الكلمات التي ليس لها
أصل عربي فصيح ، فننبه إليه ، للتحذير من استعمالها ، ولاستنباط كلمات أو
تعبيرات عربية فصيحة بدلاً عنها .

هذا من حيث الأساس الذي بُني عليه الكتاب .

أما عن الكتاب نفسه فقد اكتفيت بمراجعة مقدمته والتمهيد الذي قدمه المؤلف
بين يدي كتابه فوجدت فيهما بعض الملاحظات التي أوضحتها في سطور أضعها بين
يدي المؤلف الكريم وقراء كتابه ، ليقبلوا قولي فيما أصبت فيه ، ويردُّوا عليَّ
خطيائي إن أخطأت .

أولاً - لقد لاحظتُ في المقدمة بعض الأخطاء التي يمكن أن تُعزى إلى
المطبعة - أو إلى صفائي الحروف منها - .

١ - كتابة كلمة (مواراة) بالتاء المفتوحة ، والصواب ان تكون بتاء مربوطة .

٢ - كتابة كلمة (حظيرة) بالضاد والصواب ان تكون بالطاء .

٣ - كتابة كلمة (كيلا مربعاً) بعد العدد مئة وخمسين الف . . . والصواب
(. . كيل مربع) بالجرِّ .

٤ - كتابة كلمة (عدلت) بالذال المعجمة والصواب انها بالذال المهملة .

٥- كتابة كلمة (أصبو) بألف بعد الواو والصواب أن تكتب بدون ألف ، لأنها فعل مضارع للمفرد المتكلم وليست فعل أمر للجمع .

ثانياً- جاء في المقدمة كلمات داخلني الشك في صحتها وهي :

١- قال المؤلف : (. . . بقيت على ترها . . .) ولعله يقصد انها بقيت على أصلها ، والترُّ بضم التاء وتشديد الراء معناه الأصل ، ولكن الكلمة التي أوردتها المؤلف مضبوطة بكسر التاء ولعل ذلك خطأ طباعي .

٢- قال المؤلف : (. . . فهذا من واجب المدارس التي ستنوء بهذه المهمة . . .) ، والنَّوؤُ بالحمل النهوض به بجهد ومشقة وثقل ، أو الإثقال والسقوط والميل . فهل قصد المؤلف هذه المعاني معبراً عن صعوبة حمل المدارس لمهمة تقويم ألسنة الطلاب عن اللحن ؟

إني أظن أن المدارس لن تنوء بهذه المهمة وإنما ستقوم بها بجهد ونشاط ، ولن تتقلها هذه المهمة أو تميلها أو تسقطها إذا صحت عزيمة القائمين عليها .

٣- قال المؤلف : (. . . في تقديم مساهمة بسيطة . . .) وكلمتا (مساهمة بسيطة) من الأخطاء الشائعة المشهورة وإنما يسهم الواحد ولا يساهم إلا إذا اشترك معه غيره ، والبسيط لا يعني القليل أو اليسير وإنما يعني المنبسط .

ثالثاً- جاء في التمهيد شرح لبعض الكلمات والأصوات بدأ لي عليها ملحوظات :

١- قال المؤلف : (ان كلمة (وش) من قول القائل : (ويَشْ نَوْحَكْ ؟) أصلها أي شيء وأخذت الهمزة من أي والشين من شيء فأصبحت (إش) أو (أيش) ثم أبدلت الهمزة إلى واو ، فأصبحت (وش) .

وأقول : إن (وش) أصلها (وأيُّ شيءٍ) أخذت واو العطف وهمزة أي موصولة ، والشين من شيء فأصبحت (وإش) ثم صارت تكتب (وش) باسقاط الهمزة التي عُدَّتْ همزة وصلٍ ، وهي همزة قطع .

٢ - قال المؤلف : إن العامة (. . .) يختصرون جملة (أي شيء هو) إلى (إيش هو) ويقلبون الهمزة إلى واو . . . فيقولون : (وش هو) ثم يدمجون الواو مع الكلمة بعد حذف الهمزة فتكون كلمة واحدة على هيئة (وشو)
وأقول : سبق الكلام عن أصل (وش) وأوضحنا أن الواو ليست منقلبة عن همزة ، وإنما هي واو العطف ، ولكن المؤلف غفل عن حذف الهاء من (هو) وقال : إن المحذوف هو الهمزة والحقيقة في - نظري - أن المحذوف هو الهاء من (هو) .

٣ - قال المؤلف عن كلمة (أرى) : (:) : أساس هذه الكلمة : (انا) فقلبوا (في الأصل فقلبوا وهو خطأ طباعي) النون إلى راء رقيقة (في الأصل رقيقة وهو خطأ طباعي أيضاً) جدا شبيهة بالراء الحجازية) . .

وأقول : إني لا أعرف ما يسمى بالراء الحجازية فليس الحجازيون وحدهم هم الذين يرققون الراء بل إن ترقيق الراء من أحكام التجويد الواجب اتباعها في ترتيل القرآن إذا جاءت مكسورة أو ساكنة بعد كسر ، ثم إنه ليس كل أهل الحجاز يرققون الراء دائماً وإنما يفعل ذلك بعض المستعربين في مكة وجدة فقط ، أما غيرهم ، من أبناء المدينة المنورة والطائف وغيرهما من سكان أنحاء الحجاز فهم يفخمون الراء إلا إذا كانت مكسورة أو ساكنة بعد كسر حسبما تقتضيه أحكام التجويد .

٤ - قال المؤلف : إن (فتح الحرف الأخير من كلمة بقى ورضا ونعى . . . لغة طائية) وقد ضبطت هذه الكلمات بضممة على الباء وفتحة على القاف وفتحة على الألف اللينة في كلمة (بقى) وبضممة على الراء وفتحة على الضاد والألف الممدودة في كلمة (رضا) وبضممة على النون وفتحة على العين والألف المقصورة في كلمة (نعى) .

وفي الضبط خطأ مشترك في الكلمات الثلاث ، وهو وضع فتحة على الألف سواء كانت ممدودة أو مقصورة ، فالمعروف أن الفتحة يتعذر ظهورها على الألف . ثم إن المقصود هو فتح الحرف الذي هو قبل الأخير من هذه الكلمات ، وليس

الحرف الأخير إذنً فوضع فتحة على الحرف الأخير لا وجه له ، كما أن كلمة بقي الواردة في شعر زيد الخيل مفتوحة الباء كما ضبطها المؤلف أما كلمتا (رضا) و (نعى) فقد ضبطها المؤلف بضم الراء والنون ولعلها مفتوحتان في شعر زيد الخيل .

٥ - عد المؤلف من لهجة بعض سكان شمال نجد المد الزائد لحرف الألف في ضمير الغائب وأحسب أن المد الذي يرد في هاء ضمير الغائبة لا (الغائب) مد طبيعي لا زائد وان غير الطبيعي هو عدم إشباع فتحة الهاء في كثير من اللهجات .

٦ - وعد المؤلف من لهجات سكان شمال نجد تضخيم الراء وتثقله في كلمة (حبارى) وبصرف النظر عن كون (تفخيم) الراء (لا تضخيمها) هو الصحيح فإن كلمة (حبارى) قد ضبطت بالشكل بوضع فتحة على الألف اللينة في آخرها والألف لا تظهر عليه الفتحة بل يتعذر ذلك .

٧ - عد المؤلف من لهجة سكان شمال نجد تنوين بعض الأسماء عند الوقف إذا جاء بعده حرف معرف بأل التعريف .

وأقول : إن الحرف لا يعرف بأل التعريف أو غيرها ، وإن التنوين الذي يوضع في آخر الاسم المتبوع باسم (لا حرف) معرف بأل هو الوضع الطبيعي الصحيح مالم يكن الاسم السابق ممنوعاً من الصرف وإن ذلك يتم عند الوصل لا عند الوقف .

٨ - عد المؤلف من لهجة سكان شمال نجد استعمال كلمة (ضنا) بمعنى الطفل واطلاقها على الذرية .

والمعروف أن كلمة ضنء - بفتح الضاد وكسرها وسكون النون وبهمزة في آخره - معنا كثرة النسل والولد ، وهو اسم جمع لا مفرد له من لفظه ، وهو بكسر الضاد بمعنى الأصل .

٩ - عد المؤلف من لهجة سكان شمال نجد حذف الألف من كلمة (أو فاض) فيقولون (فاض) بمعنى الخشب التي يقطع عليها اللحم والخشب .

وأقول : بل إنهم - حسبما رواه المؤلف - قد حذفوا الهمزة (وليس الألف)
والواو أيضاً .

١٠ - عد المؤلف من لهجتهم أيضاً إبدال حرف التاء (إلى) هاء في جمع
المؤنث السالم : البناء والنخلاه بمعنى البنات والنخلات .

وأقول : إن الأصل انهم يعدون هذه التاء تاء مربوطة فيقفون عليها هاء
ولا يبدلون التاء هاء وهي لهجة عربية شاذة ، ولكن المسموع ان سكان شمالي
نجد يقلبون التاء ياء لا هاء فهم يقولون : (البناي) و (النخلاي) بمعنى البنات
والنخلات .

١١ - عد المؤلف من لهجاتهم استعمال كلمة (ابك) للاستنجد والاستنهاض
ولم يبحث المؤلف أصل هذه الكلمة .

وأقول : إنها اختصار لجملة (رحم الله أباك) أو (رُجِم أبوك) أو (لعن الله
أباك) أو (لعن أبوك) أي إنها دعاء للمخاطب أو دعاء عليه ، ونحن نسمع
بعض العامة عندما يريد أن يستنهض أو يستنجد يصرخ بلعن أبي المخاطب ،
وأحياناً بلعن أبي المخاطب وجده أيضاً . ولعل بعضهم يختصر العبارة فيذكر كلمة
(أبوك) أو (أباك) ويترك بقية العبارة استهجاناً لها أو اختصاراً للكلام .

١٢ - عد المؤلف من لهجتهم نطق القاف بين التاء والسين (تس) مثل قول
(عاشتس) أو (فريستس) بمعنى عاشق أو فريق .

وأقول : إن القاف لا تنطق بين التاء والسين وإنما تنطق بين الدال والزاي ، أو
بين التاء والزاي ، أما ماينطق بين التاء والسين فهو حرف الكاف لا القاف .

١٣ - عد المؤلف من لهجاتهم أيضاً اختزال كلمة صادق وصدق بحذف الدال
منها لتصبح (صاق) و (صق) وأنَّ القاف تنطق بين التاء والسين .

وقد تقدم بيان ان القاف تنطق بين الدال والزاي وليس بين التاء والسين
ونضيف إلى ذلك أنَّ الدال لم تحذف من كلمة (صادق) و (صدق) وإنما
أُدغمت في الدال (أو التاء على رأي المؤلف) التي بعدها ، والدليل على الادغام

هو تشديد الحرف الأخير من الكلمة .

١٤ - أورد المؤلف كلمة (فَيَدَّت) ثلاث مرات بالتاء المفتوحة وإنما هي بالتاء المربوطة التي تظهر في درج الكلام وتبدل هاء عند الوقف وإن كان بعض العامة يقفون على التاء المربوطة بالسكون ولا يبدلونها هاء .

١٥ - أورد المؤلف كلمة (يامل) وقال انها تستخدم للدعاء للانسان أو عليه مثل قولهم : (يامل الغنيمة) أو (يامل العافية) أو (يامل المرض) أو (يامل الجنة) .

وأقول : إن الكلمة أصلها (يامال) وقد قال المؤلف : (انظر هامش الكتاب) وقد نظرنا فلم نجد في الهامش شيئاً يوضح ما أراد المؤلف أن يقوله تعليقاً على هذه الكلمة .

١٦ - أورد المؤلف كلمة (دَوَى) بكسر الدال وفتح الواو وفتحة على الألف اللينة . .

وقد سبق أن أوضحنا انه يتعذر ظهور الفتحة على الألف .

١٧ - ذكر المؤلف أن من لهجتهم اختزال اسم الإشارة (ذاك) بإبدال الذال (إلى) هاء فيقولون (هكا الرجل) و (هكالشيء) و (هكا الجبل) و (هكالمرءة) أي ذاك الرجل وذاك الجبل . . . الخ .

وأقول : إن الاختزال وارد فعلاً ولكن ما اختزل هو اسم الإشارة (ذا) فقط ، ولم تختزل الكاف ولم يبدل اسم الإشارة بالحرف (ها) وإنما اختزل اسم الإشارة (هذاك) و (هذيك) فبقيت الهاء التي هي للثنائية ، وحذف اسم الإشارة (ذا) وبقيت الكاف التي هي للدلالة على البعد .

١٨ - عد المؤلف من لهجاتهم استخدام كلمة (ماش) بمعنى أثاث البيت ومتاعه واستشهد بالمثل العامي : (ماشن خير من لاشن) وقال : إن معناه : بيت فيه متاع خير من بيت فارغ .

وأقول : ان كلمة (ماشن) لا تعني أثاث البيت ومتاعه وإنما هي (ماشيء) بمعنى (شيء قليل لا يذكر وكأنه لاشيء) .

وعل ذلك فالمثل : (ماشن خير من لاشن) معناه (شيء قليل خير من لاشيء) .

١٩ – ذكر المؤلف أن من لهجاتهم استخدام كلمة (أيي) و (إياك) للمفاضلة والتحذير واستشهد بقول (سيبويه) [هكذا] :

ولقد علمت إذا الرجال تناهروا أيي وايكم أعز وأمنع
وأقول : إن وضع نقطتين فوق الهاء من كلمة (سيبويه) خطأ طباعي ثم إن سيبويه لم يعرف عنه أنه شاعر وربما كان البيت مما استشهد به في كتابه .
ثم إن كلمتي (أيي وايكم) في البيت لا تفيد المفاضلة ولا التحذير وإنما هي أداة استفهام .

٢٠ – أورد المؤلف كلمة (ترك) وقال انها بمعنى (إذا) الشرطية في قولهم :
(ترك إن جئت تجدي) ونحو ذلك وأنها تستخدم للتحذير في مثل قولهم : (ترك مهزوب تفعل كذا) ..

وأقول إن ترك ليست بمعنى إذا الشرطية وإنما هي (تراك) .

٢١ – قال المؤلف : إن من لهجاتهم استعمال كلمة (دوك) بمعنى خذ أو أنظر .

وأقول : إن الكلمة أصلها (دونك) .

٢٢ – أورد المؤلف كلمة (يبي) وقال : إنها بمعنى (يريد) .

وأقول : إن أصلها (يبغي) وحذفت منها الغين .

٢٣ – وأورد المؤلف أن من لهجاتهم نطق كلمة (يا أخي) بابدال الألف المهموز (إلى) واو فيقولون : ياوخي (وقد ضبط المؤلف الواو بالسكون) .

وأقول : إن أصل الكلمة : (أُخَيَّ) تصغي للكلمة (أُخ) ، وقد أبدل العوام الهمزة وأوًا لوجود الضمة عليها .

٢٤ - أورد المؤلف من لهجاتهم استعمال كلمة (يودع) بمعنى (جعل) .

والصواب أنها بمعنى (يجعل) وأصل الكلمة (يدع) مضارع (ودَّع) .

٢٥ - أورد المؤلف أن من لهجتهم استخدام كلمة (ذُوي) (بضم الذال وكسر الواو) بمعنى (ذو) فيقولون : هذا الرجل من (ذُوي) فلان .

وأقول : ان (ذُوي) بضم الذال عند العوام أصلها (ذُوي) بفتح الذال ، وهي ليست بمعنى (ذو) المفردة وإنما بمعنى (ذُوي) الدالة على الجمع .

٢٦ - أورد المؤلف أن من لهجاتهم نطق حرف (فيَّ) بلفظ (فيَّة) وعلِّيَّ (عليَّة) (بتشديد الياء) وإضافة هاء .

وأقول : إن كلمة (فيَّ) ليست حرفاً وإنما هي كلمتان (في) حرف الجر والياء الدال على المتكلم ضمير في محل جر . وكذلك الأمر في (عليه) أما الهاء التي لحقت (لا أضيفت) لكلمتي (فيَّ) و (عليَّ) فهي هاء السكت وقد وردت في القرآن وفي أشعار العرب .

٢٧ - قال المؤلف إن من لهجاتهم : (استخدام كلمة (ذلان) و (وذلان) أو (الياذلان) بمكان (همزة الاستفهام ولم) ، فيقولون : (ذلان ماجاء الرجل) أي ألم يأت بعد ... الخ .

وأقول : إن كلمة (ذلان) و (وذلان) و (الياذلان) ليست بمكان (همزة الاستفهام ولم) وإنما هي بمعنى (هذا الآن) أو (إلى هذا الآن) وقد قال المؤلف إنها قد تكون اختزالاً لجملة (هذا الآن) ونقول : بل هي حقاً اختزال لكلمة (لا لجملة) (هذا الآن) .

٢٨ - أورد المؤلف من لهجاتهم استخدام كلمة (إيزي) و (يزِّي) بمعنى كفي ويكفي .

وأقول ان الكلمتين : (أصلهما (أجزأ) و (يجزئ)) أبدلت الجيم ياء وسهلت الهمزة ثم إن (ايزي) لا يصح ان توضع فتحة على الألف اللينة في آخرها لأن الفتحة يتعذر ظهورها على الألف .

٢٩- قال المؤلف إن من لهجاتهم استعمال كلمتي (استخ) و (انتخ) وأن أساس كلمة انتخ هو انتح (بالحاء المهملة) وان الحاء (المهملة) أبدلت (إلى) خاء (معجمة) تجنباً للثقل .

وأقول : إن (انتخ) بقاء معجمة وليست الحاء فيها بديلاً عن حاءٍ مهملة ، وهي من الافتخار والتعظيم وعبارة (استخ وانتخ) معناها (استخ وعظم نفسك عن الفعل الذي يستحق منه) .

٣٠- أورد المؤلف من لهجاتهم استخدام جملة (إي والنبص) للاستهزاء والتهكم فيقولون : (إي والنبص رجل لولا كذا ...) .

وأقول : إن كلمة والنبص قد تكون محرفة عن القسم بالنبي ﷺ فإذا كان الأمر كذلك فإن القسم بالنبي محرم شرعاً كما أن تحريف اسمه أو صفته ﷺ قد يدخل في باب الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام فهو محرم شرعاً أيضاً .

٣١- أورد المؤلف أن من لهجاتهم استعمال كلمة (سكة) بمعنى قيمة أو هدف ، فيقولون (وش سكة وقفك هنا ؟) الخ .

وأقول ان كلمة (سكة) هنا بمعنى طريق أو طريقة وليست بمعنى هدف أو قيمة .

٣٢- أورد المؤلف استعمال كلمة (وراك) وقال : إنها بمعنى لماذا ؟

وأقول إن أصل الكلمة : ما وراءك ؟ ثم حذفت ما الاستفهامية وسهلت الهمزة .

٣٣- أورد المؤلف استخدام كلمتي (وش عاد) و (وشعاد) وقال إنها بمعنى لا بأس .

وأقول : إن أصل الكلمتين (وأيُّ شيءٍ عاد) .

٣٤ - أورد المؤلف أن من لهجاتهم إبدال السين والقاف بزاي مضعفة في مثل قولهم (فلان يزِّي غنمه) أي يسقيها (وليس يسقها) .

وأقول ان السين والقاف لم تبدلا بزاي مضعفة وإنما أبدلت القاف وحدها بتاء وزاي ، أو دال وزاي ، وادغمت فيها السين ولتقارب مخرجي السين والزاء أصبحتا كأنما هما حرف الزاء مضعفاً .

وبعد :

فهذه أربع وثلاثون ملحوظة على أكثر من مئة وسبعين فقرة أوردتها المؤلف في المقدمة والتمهيد اللذين استهل بهما كتابه ، وهي نسبة ضئيلة وتدل على دقة المؤلف وتحريه للصواب .

أما مادة الكتاب نفسه فلم أتعرض لها لسببين :

الأول : ما أوردته في بداية هذه الكلمة وهو أني أرى من الأجدى والأفضل تتبع الكلمات الدخيلة في اللغة بدلاً من محاولة تأصيل الكلمات العامية التي هي أصيلة في الواقع ومستمدة بتحريف قليل أو كثير عن اللغة الفصيحة .

الثاني : أني لا أستطيع مجارة المؤلف في سعة اطلاعه واستيعابه لل لهجة سكان شمال نجد ، فهو منهم وال لهجة لهجته التي انفتق لسانه عليها منذ الطفولة ، وهو بلا شك أعرف بها مني .

ولا يفوتني في ختام هذا التعليق أن أشيد بجهد المؤلف في وصف الأصوات الغريبة التي يحدثها بعض الناس بأفواههم ، تعبيراً عن الرفض أو القبول ، أو الاستحسان أو التعجب ، أو مخاطبة الحيوان ، ولعلي أقول : إنه كان سابقاً في حكاية هذه الأصوات ووصفها بالألفاظ ، وإن كنت لا أتفق معه تماماً في كل ما حكى به الأصوات من ألفاظ ، ولكني لا أغمط جهده في محاولة حكايتها بأقرب الحروف إلى أصواتها .

القوم لا يقرأون !!

ومتى كان طريق الفيل مجهولاً؟!

انتابني الدهشة والاستغراب حين قرأت عنواناً كبيراً نصه : (العثور على طريق أصحاب الفيل) في جريدتنا الكريمة «البلاد» ع ٩٠١٥ في ١٤٠٩/٤/٥ قد استُهلَّ بجملة : (تم العثور مؤخراً على الطريق الذي سلكته جيوش وقبيلة ابرهة الحبشي) . وبعدها : (والتي يقال انه سلكها أسعد أبوكرب ملك اليمن قبل ابرهة) إلى آخر الخبر الذي ينتهي بجملة : (إن هذا الطريق موضع اهتمام المؤرخين وفي مقدمتهم الشيخ والمؤرخ هاشم بن سعيد النعمي الذي يعد بحثاً خاصاً بهذا الموضوع) .

ووجه الاستغراب أن طريق الفيل لم يكن يوماً ما مجهولاً ، لدى سكان تلك النواحي التي مر بها الطريق من صعدة حتى قرب الطائف ، وهو الطريق الذي وصفه الهمداني صاحب «صفة جزيرة العرب» لحجاج اليمن القادمين بطريق صعدة قبل نحو عشرة قرون .

ومعروف – لغوياً – أن كلمة (عثر) قد يعبر بها عن الاطلاع على أمرٍ ليس معروفاً .

ومما يثير الدهشة والأسى أيضاً: أن الطبقة المثقفة ممن يُعنى بدراسة تحديد

→ وهي محاولة عبقرية جديدة جديرة بالبحث والتأمل والدراسة ، وينبغي أن يرفق بالوصف اللفظي حكاية صوتية لهذه الأصوات .

وأختم تعليقي بالشكر الجزيل للمؤلف على ما بذله من جهد ، وما قدمه للمكتبة العربية من أثر سيكون – في نظري – مرجعاً للأجيال القادمة في التعرف على لهجات سكان شمال نجد .

والله الموفق

الفريق : يحيى عبدالله المعلمي

المواقع الأثرية في بلادنا لا يتتبعون ما ينشر عنها في الكتب أو الصحف ، فضلاً عن التوغل في المصادر التاريخية القديمة للبحث والتنقيب عما يراد تحقيقه ، وهم أيضاً لا يكلفون أنفسهم عناء زيارة تلك المواقع ليتلقوا من سكانها ما يتناقلونه من أخبار فيها لمحات من الحقيقة ، وإن شابها كثير من الخيال كما هو الحال في ذلك الطريق حيث لا يزال كثير من سكان القرى التي يمر بها من جنوب شرق المملكة حتى بلدة تُرَبَّة ، لا يزال يتناقل السكان هناك كثيراً من أخبار هذا الطريق ، وينسبون ما يشاهد فيه من آثار اصلاح إلى العهود القديمة التي حدثت فيها واقعة أصحاب الفيل ، ويسمون الطريق نفسه (طريق الفيل) و(طريق أسعد الكامل) كما أشار إلى ذلك فليبي في كتابه «مرتفعات بلاد العرب» (Arabian Highlands) في الصفحات ٤١ ، ٧١ ، ١١٩ - ١٢٢ ، ١٨٣ ، ٢٥٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٥٨٥ . وما ورد في هذا الكتاب ما هذا تعريبه ص ١١٩ : (عندما كنا في طريقنا إلى بئر ابن سُرَّار ، حيث عزمنا على المبيت هناك ، وإلى هنا كنا قد قطعنا ٣٦ ميلاً ابتداءً من الروشن ، وارتفعنا بشكل بطيء جداً حوالي ٨٠٠ قدمٍ ونحن هنا أيضاً على ارتفاع يزيد عن ٤٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر ويوجد هنا بئران ، الأولى جافةً تماماً رغم أن قطر فوهتها العظيمة يبلغ ١٥ قدماً وأنها مبطنة بالحجارة ، والثانية أقل اتساعاً من الأولى ، ويصل قطر فوهتها إلى أربعة أقدام ، وهي مدعمة بالحجارة ، والماء فيها على ارتفاع أربع قامات ، وهذا المورد المائي لعشيرة بني مُنَّبِه من قبيلة شهران وهذا أمر - كما أخبرني مرشدي الرجل الشهراني من بيشة من عشيرة واهب - معلوم منذ العصور السحيقة ، فلقد أنشئت هذه البئر - كما أخبرني ببساطة - في عام الفيل .

فلو أنه قال: إن الذي أنشأ هذه البئر هم بنو هلال لكان كلامه يعني أنه لا يوجد أحدٌ يعرف مَنْ بَنَى هذه البئر ومتى ، لكنه حدد ذلك بعام الفيل ، لقد كنا حقاً في طريق الفيل المشهور - درب الفيل - التي سلكها ابرهة وأتباعه الأحباش في الاتجاه المعاكس سنة ٥٧٠م وهو العام الذي ولد فيه النبي بقصد مهاجمة مكة ، وكما أعلم فقد كانت تلك هي الحدث الأخير الذي كانت فيه الفيلة

في المرتفعات العربية ، ولهذا يبلغ عمر البئر ١٣٦٦ سنة على الأقل ، حتى هذا الوقت ، ومن الممكن أن يعود تاريخها إلى أيام مملكة سبأ الأولى التي استخدمت الفيلة حين ذهبت إلى سليمان قبل ٣٠٠٠ سنة ، وكثيراً ما يشير العرب إلى طريق الفيل هذه أو إلى الشخص الذي افتتحها إلى أسعد الكامل وهو رجل تبع المشهور الذي كان يحكم اليمن حوالي ٤٠٠ م ، وقد أشاروا لي على أجزاء من هذه الطريق سميت باسمه وذلك سنة ١٩٣٢ خلال رحلتي إلى الشمال من بيشة ، وفي رحلتي هذه نحو الجنوب ، كنا حتماً في طريق الفيل القديمة التي توصل وحدها إلى هذا المكان ، حيث انه لا يوجد مسلك آخر يلائم مرور العربات الكبيرة بين هرجاب وبيشة إلا هي ، وتنحرف طريق الفيل ابتداء من هذا المكان أكثر نحو الجنوب الشرقي لتقطع وادي هرجاب عند بئر تدعى بئر عليان ، ومن ثم تمتد عبر الصحراء بعيداً عن هذه البلاد النجدية الوعرة) . انتهى .

وأقرب من هذا أن مجلة «الحرس الوطني» نشرت (شهر صفر ١٤٠٩ عدد ٧٢ ص ١٠ ، ١١) و«العرب» س ٢٣ ص ٧٢١ ، وما بعدها بحثاً لي حول هذا الموضوع حاولت فيه أن أحدد ذلك الطريق ، وما قلته محاولاً إيضاح التقاء قبيلة خثعم بأصحاب الفيل بما هذه نصه : (وتدل الآثار البارزة والأخبار المتناقلة بين السكان المحليين في جنوب البلاد أن طريق الحج اليمني القديم الممتد من صنعاء إلى صعدة مخترقاً السراة إلى طلحة الملك ، فسروم الفيض فكتنة فالجسداء فيبيشة فتبالة ، فحرّة بني هلال ، فوادي تربة إلى اسافل الطائف ، فقرن المنازل إلى مكة ، هذا الطريق هو الذي سلكه أصحاب الفيل ، كما سلكه قبلهم تبان أسعد أبوكرب الملك الحميري ، الذي تروى كتب التاريخ القديمة خبر وصوله المدينتين الكريميتين ، المدينة ومكة ، فلا يزال يحمل اسم (درب الفيل) و(درب أسعد الكامل) ولا تزال آثار الإصلاح القديمة بادية فيه كتذليل عقباته ، وتبليط الخشن من أرضه ، ورصف بعض مجاري الأودية التي تعترضه ، وكثيراً ما ينسب السكان تلك الآثار إلى أصحاب الفيل .

بل إن من نصوص متقدمي المؤرخين مايوحي بذلك ، فالهمداني لما ذكر ذات عُش الواقعة بقرب كُتنة قال : ذات عُش من أداني القاعة ، وهناك مات

أبرهة ، منصرفاً من غزوة الفيل ، وذات عش من أرض كتنة ، والقاعة – وتدعى القاعة الشهباء – من ذات عش إلى بنات حرب ، ولانزال القاعة معروفة وهي قاع فسيح ، تتخلله أودية وشعاب ، فيما بين واديي طَربِيبٍ وَيَعْرَا ، في بلاد شهران ، ومادام أبرهة مات في هذا الطريق فينبغي أن يكون الطريق الذي أتى منه هو وقومه ، إذ يطبق المؤرخون على أنهم حين نزل عليهم البلاء (خرجوا هاربين ، يتدرون الطريق الذي جاءوا منه ، يسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق) .

فأين التقوا بنفيل بن حبيب الخثعمي وقومه حين مجيئهم ؟

لقد أوضح الهمداني في «صفة جزيرة العرب» منازل هذا الطريق ومناحله ، وحدد المسافات بينها وبين صنعاء إلى مكة المكرمة ، بل أضاف إلى ذلك ما يوضح موقع كل منزلة ومنهل مما يليها بدرجات العرض ، كما ذكر أصحاب تلك المنازل والمناهل من بطون القبائل ، التي يخترق الطريق بلادها ، فذكر – فيما ذكر – أن المحجة من صنعاء إلى مكة على طريق نجد اثنتان وعشرون مرحلة ومن البرد خمسة وثلاثون بريداً – تكون أميالاً أربع مئة وعشرين ميلاً – وذكر أن الاتجاه من صنعاء إلى صعدة على سمت ما بين مطلع بنات نعش ومغييها ، ومن صعدة إلى كُتنة على سمت مغيب الأول منها ، ومن كُتنة إلى بيشة على سمت مغيب الأوسط منها الذي إلى جنبه السُّهّا ، ومن بيشة إلى المناقب (الرَّيْعَان) على سمت مغيب الآخر منها ، الذي يطلع آخرها ويغيب آخرها . وكان مما ذكر عن القبائل التي تقع المنازل في بلادها مما تدعو المناسبة لمعرفة سكانه من القبائل :

خولان فيما بين صعدة والعرقه .

ثم وادعة من همدان ، فيما بين العرقه وأرينب .

وبعد هذا المنزل يقع منزل سَرُوم الفيض ، المعروف باسمه الآن الواقع في بلاد جنب من مذحج قديماً ، وفي عهدنا يعد من بلاد قحطان الاسم الذي حل محل مَذْحِج في العصور الأخيرة .

أما منزلا الثجة وكتنة ، فالأول في بلاد نَهْد إخوة جنب ، والثاني في بلاد شهران من خثعم . ثم تمتد المسافة التي يقطعها هذا الطريق عند الهمداني أربعة وتسعين ميلاً في بلاد خثعم من كتنة إلى مابعد تبالة على هذا النحو :

من كتنة إلى بينيم ٢٠ ميلاً .

ومن بينيم إلى بنات حرب ٢٠ ميلاً .

ومن بنات حرب إلى الجُسداء ٢٢ ميلاً .

ومن الجُسداء إلى بيشة بُعْطان ٢١ ميلاً .

ومن بيشة إلى تبالة ١١ ميلاً .

وتبالة لِأَكْلَب من خثعم ، ثم تنتهي بلاد خثعم ، فالمنزلة التي تلي تبالة كانت تدعى القريحا ، قرية على وادي رَنْبِيَة وقد خربت ، وكانت لبني هلال - من بني عامر من قيس عيلان ، وتمتد بلاد هاؤلاء القيسيين إلى قرب مكة ، ومنهم ثقيف بمنطقة الطائف ، ولكن الطريق يدع بلدة الطائف جنوبه حيث يمر بالفتق ، قرية كانت تقع شرق الطائف قال عنها الهمداني : والفتق والطائف ومكة على خط الطول من المشرق إلى المغرب ، إذا صليت في الفتق استقبلت المغرب ، فوقعت الطائف بينك وبين مكة ، ومنها إلى رأس المناقب ، وهي تنتهي الطريق إلى وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب والجنوب .

وبعد أن اتضحت المنازل الواقعة في ذلك الطريق ، ومنها ما لا يزال معروفاً باسمه القديم ، ومنها ما يمكن الاهتداء إلى موقعه بالاهتداء بالدرجات التي تشير إلى الاتجاه وتقدير المسافات فقد أصبح من الممكن الجزم بأن التقاء جيش أبرهة بالخثعميين كان في أحد المنازل المذكورة في بلادهم أو بقربها ، فالنص الذي ورد فيه ذكرهم ، وتكرر في أكثر كتب التاريخ الموثوق بها لا يسمى الموضع ، بل لا يزيد على تسمية فرعي خثعم وقائدها) . انتهى .

ثم تحدثت عن فروع خثعم التي هي شهران وناهس واكلب بما يجده القاري مفصلاً في تلك المجلة س ٢٣ ص ٧٢١ .

←

أودية هذيل والجحادة وبني فهم

يوم الخميس الموافق ١٤٠٨/٦/٩ هـ . قمت برحلة بناء على طلب الشيخ حمد الجاسر للكتابة عن أودية هذيل والجحادة وبني فهم التي تقع جنوب مكة المكرمة . . ومعرفة أين تنبع؟ وأين تنتهي؟ واستعنت بالله ثم بالأخ سحيم بن محمد الصماني لأنه من أهل تلك الناحية وكان صاحب سيارة نقل عام ويعرف هذه الديار معرفة تامة .

(١) فبدأنا بشعب الصمان قديماً شعب أم دوحة وهي بئر قديمة في هذا الشعب ، وكانت تحتها أو قريباً منها دوحة كبيرة ، أما الآن فيسمى بشعب الصمان ، وطوله من الغرب إلى الشرق ثلاثة أكيال تقريباً ، وينبع من الشرق ويتجه غرباً ويصب في الطرف الجنوبي من وادي نَعْمَان عند مزرعة الشيخ محمد النويصر . ويحيط بهذا الشعب جبال الشبكة شرقاً وريزناً جنوباً ، والعجوز

→ لعل كثيراً من الإخوة الذين يتولون مراسلة الصحف في بلادنا لا يعنون كثيراً بالمباحث الجغرافية أو التاريخية ، ولهذا يدفعهم استغراب أي موضوع يتعلق بها ، فيعتبرون ما يدور حوله من قبيل (اكتشاف المجهول) ، وما أرى التبعة تقع على أبنائنا من الشُّدَاة الذين يرسلون الصحف ، ولكنها تقع على الصحف نفسها ، وعلى القائمين بشؤونها ، فأنا أرى من أولى ما ينبغي أن يعنى به هاؤلاء أن يكون من بين المشرفين على تحرير تلك الصحف من ذوي الاختصاص بتلك المباحث من تسند إليه مهمة الاطلاع على ما يراد نشره في الصحيفة ، ليبيدي رأيه حياله . وأرى هذا من الأمور التي ينبغي أن تسير عليه كل صحيفة تحرص على أن يكون ماتقدمه لقرائها على درجة من الصحة ، تحمل على الثقة بهذه الصحيفة ، وبما ينشر فيها ، ولاشك أن هذا من الأسس التي تنبني عليها ثقة القراء بالصحيفة واهتمامهم بما ينشر فيها .

[جريدة «البلاد» ع ٩٠١٨ في ١٤٠٩/٤/٨ هـ]

شمالاً . وبه مزارع وآبار قديمة وحديثة للصمان ، وبه مدرسة ابتدائية وفيه آثار تاريخية قديمة وبه أربع قرى للصمان وهم : الجرايدة وآل ردة وآل أحمد ، وآل حسين .

٢) ومنه جنوباً يقع شعب الروينة ويصب جنوباً في أرض يقال لها الأضاة ، ثم يتجه إلى وادي ملكان جنوباً . ويسكن هذا الوادي الزمكان من دعد ، وقد حفر الشيخ سلطان بن كنيديش القرشي عام ١٤٠٣هـ بئراً سبيلاً لله .

٣) وهناك جنوب الروينة وادي ملكان المشهور، وينبع من الشرق مُتَّجهاً غرباً إلى البحر الأحمر . وفي أعلاه بئر قديمة تسمى عنبجة ، ويتناول في هذا الوادي جبال دَعْدِ المسماة بالحوية . ويحيط بهذا الشعب من الشمال والشرق والجنوب جبال الشبكة ، وهي سلسلة جبال السوالمة والقُرْح والطلحات ، وبني سفيان . وبوادي ملكان قبيلة العرمان وهم آل محمد والبقران والمعاصية وآل منسي والنخلة ، وكذلك الذيبة والفهدة من دعد ، وبوادي ملكان مدرسة ابتدائية تسمى الحميدية وفي أعلا هذا الوادي آثار عين تسمى عراق زيد ، وبه مزارع لدعد والعرمان وخزاعة جنوب كُساب .

٤) ومنه جنوباً وادي ضِيم ، وهو وادٍ ينبع من ديار السوالمة شرقاً ويتجه إلى الغرب ، ثم يتجه إلى الشمال في شبه قوس ، ويصب في وادي ملكان من الطرف الجنوبي ، وهو وادٍ واسع جدّاً وبه آبار نحو أربعين على مزارع هناك للندويين من هذيل ، وبه عين تسمى عين باشا الكريمي ، وبه عين أم الراكة للأشراف العبادلة وباخظمة . ويسكن وادي ضِيم الندويون وهم القيسة جماعة الشيخ حجلي الندوي والشيخ زغيب الندوي وهم من ذرية قيس بن مخلد بن العزيزية ، ويقال : إنهم من بقايا جرهم ومن الندويين المزاريق والجُمَّلة . وهناك جبل يفصل بين الندويين وبين دَعْد ، اسمه مكا ، شماله دَعْد وجنوبه الندويون . وهناك جبل للندويين في الجنوب اسمه بلم . وبوادي ضِيم مدرسة ابتدائية وإمارة ومركز صحي ، ومدرسة للبنات .

٥) ويقع جنوب وادي ضِيم وادٍ يسمى دُفاق قديماً وأم الزَّلَّة في الوقت

الحاضر . والزَّلَّةُ بئرٌ قديمة في ذلك الوادي . ويسكن هذا الوادي القُرْح ، وهم من بني صاهلة بن كاهل بن تميم بن سعد بن هذيل . وينبع هذا الوادي من مُّمار جنوباً ، ويتجه شمالاً ، ويصب في الطرف الجنوبي من وادي ملكان عند آبار قديمة تسمى الصَّقِيْعَات . وأفخاذ القُرْح : آل كامل ، وآل ساري ، وآل محسن ، والدُّعْجَان ، والكَدوة ، والعلويون ، وآل عُرَيْف بمكة . ويفصل بين قبائل الجحادلة وهذيل جبال يقال لها رَايَة ، والمراخ ، والسَّلْم ، شرقها هذيل وغربها الجحادلة بني شعب ، وفي هذا الوادي مدرسة ابتدائية ومتوسطة ، وإمارة ومركز صحي .

٦) وهناك جبل مشهور قديم وهو جبل كُسَاب يقع جنوبي مكة وشمال وادي ملكان ، وهو يشرف على الحُسَيْنِيَّة والمعابدِيَّة من الجنوب . وبه الخوص (؟) التي تغني بها شعراء الهذليين قديماً . ويقع في الطرف الشمالي الغربي منه ، ويصب هذا الشعب في وادي نَعْمَان من الجنوب ، جنوب غرب مكة .

٧) ويقع جنوب وادي ملكان وغرب وادي دُفَاق وإِيقال له البيضاء ، وبه آثار وبناء قديم ، واسطوانات دائرية إشارة إلى الطريق السلطاني من اليمن إلى مكة المكرمة ، وتبعد الواحدة عن الأخرى بحوالي خمسة أكيال إلى جهة اليمن ، بنيت في عهد الدولة العثمانية ، وبه عدة صهاريج لتخزين المياه من الآبار الموجودة في بطن هذا الوادي . وقد قام الشيخ عبدالله أحمد كعكي بتجديد تلك الآبار على أحسن بناء .

وهذا الوادي ينبع من جبال راية ، ويتجه غرباً ويلتقي بوادي إدام (يدام) عند آبار الخَرْقَة غرب جنوب . وغرب هذا الوادي شمالاً يقع خبت عبدالله (؟) وبه بئر قديمة أثرية يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر الهجري . وعبدالله^(١) هذا هو الشريف عبد الله بن حمود بن عبدالله بن الحسن بن محمد أبي نُجَيّ الثاني ، وهو وجد معظم الأشراف العبادلة . وبهذا الخبت مزارع هناك لهم . وبوادي البيضاء مدرسة ابتدائية ، ومركز صحي ، وإمارة .

٨) وجنوب هذا الوادي يقع وادي يدام (إدام) وهو وادٍ طويل ، ينبع من

الشرق من جبل راية والمراخ ، ويتجه غرباً ويلتقي مع وادي البيضاء شمال جبل سطاق ، ويصب في البحر الأحمر شمال الشُّعْبِيَّة . وبهذا الوادي آبار وعيون قديمة ، وفي الطرف الشمالي منه مياه مجنَّة وبه آثار عين عبارة عن (دبل) كبير يمتد من الشرق إلى الغرب بطول خمس مئة متر في عرض ستين ستمتراً . ويتفرع منه شمالاً (دبل) آخر ومساحة المنطقة التي فيها سوق مجنة تقارب الكيل والنصف طولاً من الشرق إلى الغرب وعرضها يقارب الكيل الواحد ، وهذه المنطقة تقع شمال هذا الوادي . وشمالها حرة العليان إذا طلعت في أعلاها يبدو لك شامة وطفيل اللذان ذكرهما الصحابي الجليل بلال بن رباح قال :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنَنَّ لَيْلَةً بِفَخٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرُّ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أُرَدِّنُ يَوْمًا مِيَاهَ مَجْنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

وإذا علوت هذه الحرة التي هي حرة العليان - شمال شرق مجنة - تبدو لك شامة وطفيل ، وطفيل يبعد عن سوق مجنة تسعة وعشرين كيلاً . وعن مكة بما يقارب خمسة وستين كيلاً . ويسكن وادي إدام (يدام) وجبل راية والمراخ والسلم قبائل من الجحادلة وهم السُّلَمُ والهَرشَا والجملة والعليان والحسنان وآل فاضل والرشد وآل شين وهذه القبائل يقال لها بني شعب من بقايا كنانة بن خزيمه . وفي بطن وادي إدام (يدام) فتحت مدرسة ابتدائية ثم أقفلت ، والسبب في ذلك الفقر ، لأن أهل تلك الناحية ليست لديهم أراضٍ زراعية . ولا يوجد لديهم حرفة سوى رعي الأغنام والاحتطاب ، ولهذا احتاجوا لأبنائهم ليعملوا في رعي الأغنام والاحتطاب ليقتاتوا من ذلك . وباحبذا لو قامت الدولة السنية بجعل مكافأة لكل طالب يدخل هذه المدرسة في تلك الناحية لأنهم والله بحق في حاجة لا يعلمها إلا الله ، لأن الجهل مخيم عليهم وأكثرهم لا يعرف قراءة الفاتحة إلا سجعا .

وفي أسفل وادي إدام (يدام) آبار الخرقه هدمها الشيخ عبدالله كعكي ، وأقام بناءها من جديد جزاه الله خيراً - وهناك أودية وروافد لوادي إدام (يدام) تأتيه من الشرق والجنوب ، وتصب فيه عند آبار الخرقه ، عند ملتقى وادي البيضاء ويتجه هذان الواديان إلى شمال الشُّعْبِيَّة .

٩) وادي يللم، وهو وادٍ يمتد من جبال هذيل القرح، وبني فهم شرقاً وينحدر سبله غرباً متجهاً إلى السُّعديّة ، ويصب جنوب طفيل في البحر الأحمر . وهذا الوادي من السُّعديّة شرقاً إلى آخره نحو مئة وعشرين كيلاً أعلاه من الشمال منطقة تسمى نيات لبني صاهلة من هذيل ، وأعلاه من الشرق والجنوب إلى حوالي ستين كيلاً غرباً ، ويسكنه بنو فهم ، وبه منطقة يقال لها وديان وهي عبارة عن قرية يسكنها بنو فهم بن قيس عيلان بن مضر . وبهذه القرية مدرسة ابتدائية ومتوسطة وإمارة ومركز صحي ، ومدرسة للبنات ، ومسجد كبير واسع ، بنته الدولة . وهذا الوادي يتراوح بين سبع مئة وخمسين إلى ألف متر عرضاً ، وبه غابات كبيرة من المرخ وأشجار الأراك ، ويوجد في بطن هذا الوادي بئر اسمها الشبيرة قديمة ، والماء يجري على وجه الأرض في هذا الوادي وهي مياه حلوة . ويسكن هذا الوادي من بعد عواه غرباً قبيلة الجحدلة وهم آل فاضل والعليان والحسنان ، وبأسفل هذا الوادي منطقة السعدية ، وعلى بعد سبعة أكيال شرق جنوب الوادي بستان كبير للشريف فيصل بن هزاع العبدلي وكيل إمارة الباحة سابقاً ، ومساحة هذا البستان أربعة أكيال في أربعة ، وبه أربع آبار ، وقصر محاط بحديقة جميلة . وبهذا البستان أنواع من التمور والأشجار المثمرة والخضار . وبعده شرقاً بستان مساحته ثلاثة أكيال في أربعة للشيخ محمد سعيد بن حمود الراشدي ، وهو شيخ شمل الجحدلة ، وبهذا البستان قصر تحيط به حديقة وأربع آبار وأنواع من النخيل والخضار والأشجار المثمرة .

١٠) السُّعديّة : وهي منطقة أثرية قديمة ، وبها بئر قديمة، وصهاريج ممتدة إلى وادي يدام (إدام) والبيضاء مع الطريق السلطاني القديم ، وبها مدرسة ابتدائية ومتوسطة وإمارة ومركز صحي . وهي أول مدرسة في ديار الجحدلة وجميع هذه الإمارات تابعة للشريف شاکر بن هزاع العبدلي قائم مقام العاصمة المقدسة ، وهذه المدارس جميعها فتحت في عام ١٣٩٣هـ . عندما قام سمو الأمير أحمد بن عبدالعزيز آل سعود - عندما كان نائب أمير منطقة مكة - وبدوره كتب للمقام السامي وفتحت هذه المدارس .

ويقع غرب السعدية وعلى طريق الليث منطقة طفيل ، وهي منطقة تجارية ←

دجنا (تجنا)

[انظر س ٢٣ ص ٨٠٠ وس ٢٤ ص ١٠١]

وسنحت لي الفرصة لزيارة أم القرى للتحدث في ناديها الثقافي الأدبي ،
فعرضت لرئيسه الشهم الفضال الدكتور راشد الراجح مدير جامعة أم القرى
رغبتي في معرفة طريق الثنية ، أحد طرق الطائف المعروفة إلى عهد قريب ، وكان
أصحاب الإبل المحملة يسلكونه ، فهياً لي في صبيحة يوم الأربعاء العاشر من
شهر صفر ١٤٠٩هـ الساعة التاسعة والنصف ماتطلبه تلك الرحلة ، واتفق مع
الشهم الكريم الشريف شاكر بن هزاع ، قائم مقام مكة المكرمة ليختار المرشد ،
فأكرمني بأن كان هو هو ، وسرنا الثلاثة مع صحب كرام ، اختيروا لمعرفة الطريق
ولتهيئة ماقد يُحتاج إليه أثناء الرحلة ، فكانت ممتعة حقاً ، فالشريفان الجليلان لما
يتصفان به من سعة اطلاع ، ومعرفة بهذه البلاد وبأهلها ، وبما يتمتعان به من
أخلاق نبيلة أضفيا على جو الرحلة ما ملأه إمتاعاً وأنساً وراحة ، بحيث مر الوقت
فلم نشعر إلا ونحن تحت الثنية التي عُرف الطريق بها أخيراً ، وهو ثنية (تُجْنَا)
قديمًا .

وكنت ذاكرت الرفيقين الجليلين بما ورد في كتب المتقدمين عن (دَحْنَا)
و(دُجْنَا) و(تُجْنَا) فكان مما اطرفني به الأستاذ الدكتور الشريف راشد بن راجح
أن من أسماء بلده (تُرْبَة) : (دِجْنَة) - بالهاء مع كسر الدال - ويظهر أن هذا

→ أسسها خضر المناعي الشهير بالأبرص . وهذه المنطقة مدرسة ابتدائية عند العليان
والحسنان من الجحادة . والفضل لله ثم للأخ سحيم بن محمد الصماني في معرفة
مجنة وسوقها لأنها توجد في غابة كثيفة من أشجار السمر ولأن الجحادة لا يدلون
على الآثار التي في ديارهم .

مكة المكرمة: محمد بن جابر الحسني .

[الحواشي] :

(١) عبدالله يلفظ بكسر الدال وترقيق اللام ويكتب خطأ : (عبدإله) - «العرب» - .

الاسم كان محبوباً عند أهل هذه البلدة ، ولهذا قال شاعرهم من قبيلة البقوم أثناء الاختلاف بينهم وبين قبيلة بلحارث (بني الحارث) قبل أن ينعم الله على هذه البلاد بنعمة الأمن والاستقرار ، وزوال الإحن من النفوس ، والتعاون والتآخي بين جميع السكان قال الشاعر البَقَمِيُّ :

عَرَسَ دِجْنَهُ فِي ذَرَانَا يَرْسِي مِثْلَ مَاتَرْسِي جِبَالِ الصُّورِ
مُحْمِيئِنَهُ بِأُمَّهَاتِ الْكِرْسِيِّ يَأْمُودِيَّ وَدَهَا مَنصُورِ

فدجنة هنا من أسماء تربة ، والصور اسم موضع وتسمى به قرية معروفة في ديار بني الحارث ، ومنصور اسم فارس وشيخ من شيوخ تلك القبيلة . والمعنى اننا نحمي غرس (دِجْنَةُ) حتى يستقر كاستقرار جبال الصور .

كان الحديث أثناء الرحلة ذَا شُجُونٍ ، يدور حول معرفة السكان والأودية التي نمرُّ بها والجبال التي نشاهدها .

وقد قطعنا ساعتين في الذهاب ، على سيارتين من نوع (الجيب) إذ لا يستطيع السير في ذلك الطريق إلا هذا النوع من السيارات ، وخاصة بعد اجتياز الطريق المعبد فيما بين مكة وبلدة الشرائع ، وهو يقارب ٢٧ كيلاً ثم المسافة من الشرائع إلى الجبل الذي تقع الثنية في أعلاه تقارب هذه المسافة .

وكان أكثر سيرنا في منخفض بين الجبال ، فبعد أن قطعنا المسافة بين الشرائع وبين مكة اتجهنا شرقاً مع منخفض من الأرض تحيط به الجبال شمالاً وجنوباً ، ويعرف باسم وادي الصُّدْر ، وسيوله تفضي إلى وادي عُرْنَةَ ، ويسكن هذا الوادي لفيف من القبائل ، ففيه من قبيلة هُذَيْل الكباكية والحِثَارِشَةَ ، وفيه من الأشراف ذوو جازان ، منهم فرع صغير يعرف بذوي عِنَان ، رافقنا أحدهم بطلب من الشريف شاكر يدعى شَلَّاح ، وهو خبير بالطريق سلكه مراراً على الإبل ، وآخر ما مررنا به من القرى في أعلى وادي الصدر وهو أعلى فروع عرنة قرية للحِثَارِشَةَ في أعلى الوادي ، وتركنا جبل كِنَيْثِيل على بعد على اليسار بحيث نشاهده ، كما تركنا جبل كِبْكَب ثم جبل الشرا ثم جبل طاد على أيمننا ، وكان جبل طاد اقصاها إلى الشرق ، وسيل طاد ينحدر أيضاً في الصدر فرع وادي عُرْنَةَ ، ماراً بوادي

خُرُوب - بضم الخاء والراء بدون تشديد - ومنه طريق يسلك إلى الطائف أيضاً في القديم ، ولكنه أصعب من طريق الثنية ، على ما قال لنا رفيقنا الشريف شلاح العناني .

ومن جبل طاد هذا تمتد فَرَعَةٌ تدعى طادة ، وهي شرق الثنية يدعها الطريق من الثنية يساره ، وسيلها يفيض نحو سيل جبل الكُفُو الذي يفيض في وادي نخلة اليمانية ، وتلك الأرض من بلاد الثُبَّةِ جماعة ابن هُلَيْل - صاحب قرية السيل الكبير (قرن المنازل) .

أما الثنية فانها تحترق آكاماً مرتفعة واقعة بين جبل طاد من جنوبها وجبل الكفو من شمالها ، وهذه الآكام تدعى شُوَيْحَطَات - واحدها شُوَيْحِط - .

وبعد أن بلغنا شويحطات بحيث لم نَرْ طريقاً يمكن ان تسلكه السيارة انتهى سيرنا ونحن نشاهد الثنية شرقنا ، وقال لنا الشريف شلاح العناني الجازاني : إن الطريق يمتد من الثنية شرقاً حتى وادي الشَّرْقَة الذي يفيض سيله نحو سيل جبل الكفو ، ثم يجتمع بوادي نخلة اليمانية ، وأن المسافة من الثنية إلى الطائف هي مرحلة طويلة أو مرحلتان قصيرتان أحدهما في الحوية والثانية في الطائف .

كان مجموع المسافة التي قطعناها في الذهاب والإياب ، خلال الرحلة التي استمرت نحو ثلاث ساعات مئة وسبعة أكيال ، نصفها فيما بين الشرائع ومكة والنصف الثاني فيما بين الشرائع وسفوح آكام شويحطات .

والواقع أن هذا الطريق لو أمكن تعبيده واصلاحه لكان من أخصر الطرق وأقربها فيما بين مكة والطائف .

والظاهر أن اختيار الطريق المار بجبل (كِرَا) لُوَحِظ فيه أن لا يتعرض غير المسلمين لدخول الحرم ، فاختر ذلك الطريق الذي يدع جميع أرض الحرم على يسار المتجه إلى الطائف .

وكانت العودة إلى مكة المكرمة الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً ، بعد أن استرحنا قليلاً في ظل شجرة من الطلح في سفح جبال شويحطات .

وقد سبقت الإشارة إلى أن صاحب « البحر العميق » ذكر أن الثنية بطرف جبل طاد ، ولم استطع العثور على نص كلامه لطول الكتاب وعدم ترتيب مباحثه بدقة .

والواقع ان سلسلة آكام جبال شويحطات ماهي سوى امتداد للطرف الشمالي الشرقي من جبل طاد ، بحيث تكون معه امتداداً لجبال تتصل بالسلسلة الواقعة بين الطائف وبين عرفات من جبال السراة (الحجاز) .

أما ما أشار إليه الشريف محمد بن منصور من أن الثنية تقع في طادة ، فطادة ظهر مرتفع تفضي الثنية إلى جانبه الجنوبي .

وجبل طاد له شهرة عند مؤرخي مكة ، فقد ذكر قطب الدين المكي في كتابه « الاعلام »^(١) ان المرأة العاملة المحسنة السيدة أمة العزيز (زبيدة) بنت جعفر زوج الخليفة هارون الرشيد قامت حين انقطعت المياه عن مكة باجراء عين حنين إليها وصرفت عليها أموالاً بلغ مجموعها ألف ألف وسبع مئة ألف مثقال من الذهب^(٢) ، وكانت العين قبل ذلك تنبع من ذيل جبل طاد من جبال الثنية^(٣) من طريق الطائف مجرى الماء إلى أرض يقال لها حنين يسقي نخيلاً ومزارع مملوكة للناس وإلى هذه الأرض ينتهي جريان هذا الماء ، والموقع يسمى حائط حنين . قال : وهو موضع غزوة النبي ﷺ المعروفة ، فاشترت زبيدة الحائط وابتطت تلك المزارع والنخيل وشقت لها القناة في الجبال ، وجعلت (الشحايد) في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند نزول الأمطار ، وجعلت في قناة متصلة إلى مجرى هذه العين ليحصل منه المدد لها ، فصار كل (شحاذ) عيناً يساعد حنين منها عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين البارود^(٤) وعين الطارقي وعين ثقبه والجرينات وكل مياه هذه العيون ينصب في دبل عين حنين ، ويزيد وينقص بحسب الأمطار الواقعة على احدى هذه العيون ، أو على جميعها إلى ان وصلت إلى مكة المكرمة .

وكان مما أخبرنا به رفيقنا الشريف صلاح العناني الجازاني ان منبع العين القديم ←

مواضع أثرية في بلاد غامد :

يبوس ، تولع ، لغبة

طلب مني الشيخ حمد الجاسر في زيارته الأخيرة لمنطقة الباحة بتاريخ
١٤٠٨/١١/٢٠هـ تحقيق الأماكن التالية :

يبوس ، تولع ، معدن العقيق (لغبة) .

ومن المعلوم ان تولع ويبوس وردتا في قصيدة للشاعر عبدالله بن سلمة
الغامدي :

لَمَنْ الدِّيَارُ بِتَوَلَعٍ فَيُبُوسُ؟ فَبِيَاضِ رَيْطَةٍ غَيْرِ ذَاتِ أُنَيْسِ

أما معدن العقيق فقد ورد في كتب معادن العرب - في حواشي كتاب
« الجوهرتين » .

لكن شيخنا الفاضل يرغب تحقيق أماكنها على خريطة منطقة الباحة لأن
الأستاذ إبراهيم الحسيل ذكر في كتابه « غامد وزهران وانتشار الازد في البلدان »
أنه علم أن يبوس في ديار بني كبير من غامد ، أما تولع فتغير اسمها إلى مولع ، ولم
يحددها تحديداً دقيقاً .

→ كان يعرفه بعض أهل تلك الجهة من كبار السن ولكن لا يبدو أثر لمجراها إلى
الشرائع التي هي حنين .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

- (١) ص ٢٢٧ هامش كتاب « خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام » .
- (٢) أي مايساوي من الذهب ٦٨٠٠ كيلوجرام من الذهب وهذا أقرب إلى الخيال .
- (٣) في المطبوعة : (التية) تصحيف .
- (٤) كذا في كتاب القطبي والمعروف (البرود) .

وفي صباح يوم الخميس الموافق ٢٧/١/١٤٠٩ هـ الموافق ٨/٩/١٩٨٨ م قمت
وصديقي الأستاذ أحمد بن حامد الغامدي مدير مكتب جريدة المدينة في الباحة
سابقاً ، ومدير مكتب وكيل إمارة منطقة الباحة حالياً ، والأخ علي بن هلال
الدَّقوي وكلاهما من بني كبير ولهما صلة بالبادية ، ومعرفة بأوديتها - وقد سلطنا
الطريق المؤدي من بني كبير إلى هجرة صخوان فوادي ثراد وطوله ثمانية وعشرون
كيلاً وهو طريق تراي وعر .

ووادي ثراد من أهم روافد وادي رنية ، ومن أهم مصادر المياه التي تنوي وزارة
الزراعة حفر آبار فيه لتزويد مدينة الباحة والقرى المجاورة لها بمياه الشرب منه .
يبدأ من جبال السراة الغربية ويصب في وادي رنية شرقاً ، وترفده أودية كبيرة منها
وادي موعل ، ووادي العقيق .

وعلى بعد ثلاثة وعشرين كيلاً ونصف الكيل قطعناها في وادي ثراد ، وفي
الجهة الشرقية من الوادي شاهدنا آثار مبان قديمة ومقابر أكد لنا مرافقنا علي بن
هلال بأنها تسمى (يبوس) كما أكد لنا بعض البادية الذين قابلناهم في الموقع على
أن المكان والوادي الصغير الذي يقع شمال شرق الآثار يطلق عليه (يبوس) .

وفيما يلي وصف موجز ليبوس :

يقع على حافة وادي ثراد الشرقية ويبعد عن الباحة باثنين وسبعين كيلاً عن
طريق العقيق / ثراد وواحد وخمسين كيلاً ونصف الكيل عن طريق بني كبير/
صخوان / ثراد .

ويبوس قرية قديمة بها آثار منازل ومقابر في ربوة ترتفع قليلاً عن مجرى وادي
ثراد وعن مجرى وادي يبوس ، مساحتها تقدر بـ ١٥٠×١٢٠ م وفي الجبل الشمالي
آثار استخراج معادن ، وفي الجهة الشمالية الشرقية من القرية يوجد وادٍ صغير ،
يطلق عليه اسم وادي يبوس ، وهو من روافد وادي ثراد ، حيث يصب في ثراد
من الجهة الغربية .

وكان طريق الجنوب السابق يمر من وسط هذه القرية ، وتوجد آثار قهوة مبنية

بالحجارة ، بالقرب من ييوس كانت مقامة إلى وقت قريب . وفي المصور المرفق
بَيَّنْتُ موقع ييوس القرية والوادي على خريطة أودية المنطقة الشرقية .

تولع : أما تولع ويسميتها البادية الساكنون بالقرب من ييوس (تالغ) فتقع
إلى الشمال الغربي من ييوس ، وتبعد عنها بسبعة أكيال ، وتولع أو (تالغ) كما
يطلق عليها السكان واد صغير من روافد وادي العقيق ، يتجه من الغرب إلى
الشرق ، ويمتاز بكثرة أشجار السدر الخضراء وبحجارته وترتبه البيضاء ، وكان
الطريق المؤدي إليه وهو طريق الجنوب القديم وعرأ جداً ، ولولا عناية الله ثم
مهارة السائق علي هلال الدوقي لما استطعنا عبور هذا الطريق لأنه مهجور من
سنوات طويلة .

وقد حددت موقعه على المصور المرفق بهذا ، وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك
أن الموقعين اللذين وردا في القصيدة هما الموقعان اللذان مرَّ وصفهما .

ورغم أن المسافة من ييوس إلى طريق العقيق فأجْرُب – المبلط لا تزيد عن
سبعة عشر كيلاً فقد استغرق سيرنا أكثر من ساعة ونصف الساعة ، لصعوبة
الطريق الذي اضطررنا إلى السير منه ، رغبة في الوصول إلى وادي تولع . ولم
نشاهد في وادي تولع آثار مبان قديمة أو آثار معادن .

معدن العقيق : أما معدن العقيق وتسمى المنطقة التي يقع فيها (اللَّغْبَة)
بتشديد اللام واسكان الغين وفتح الباء – فيقع شمال شرق العقيق المدينة ، وتبعد
عنها بأحد عشر كيلاً ، وأقرب مكان للمعدن هو مايسمى بـ (نخل دغش)
أسفل وادي العقيق ، ويبعد عنه بسبعة أكيال ومئة متر ، حيث تسير السيارة في
الطريق المبلط المتجه إلى أجْرُب وبعد كيلين وأربع مئة متر ، يتجه إلى الشمال في
طريق تراي وعلى بعد أربعة أكيال وسبع مئة متر يشاهد آثار المعدن .

وقد وصلنا إلى المعدن بواسطة أحد السكان القريين منه .

وصف المكان : على ربوة ترتفع نسبياً عما حولها توجد آثار مبان كثيرة ، وفي الجهة الغربية من المباني تقع آثار استخراج المعدن ، إذ وجدنا فتحة طويلة يزيد طولها عن تسعين متراً ، وعمقها ما بين ثلاثة إلى خمسة أمتار ، أما سعتها فهي من مترين إلى ثلاثة أمتار ، وشاهدنا في بقايا مبنى بالقرب من فتحة المعمل كتابة كوفية غير واضحة .

ويطلق الأهالي على الوادي الذي يقع فيه المعدن والقرية القديمة وادي (اللغبة) وهو من روافد وادي كَرَا وقد حددت الموقع على المصور المرفق بهذا . وأرى أن على إدارة الآثار تبعة المحافظة على آثار المعدن ، إذ وجدتُ أن هناك حفريات حول الكتابة الموجودة ، وربما أن الهدف منها هو سرقة الحجر الذي يحمل الكتابة .

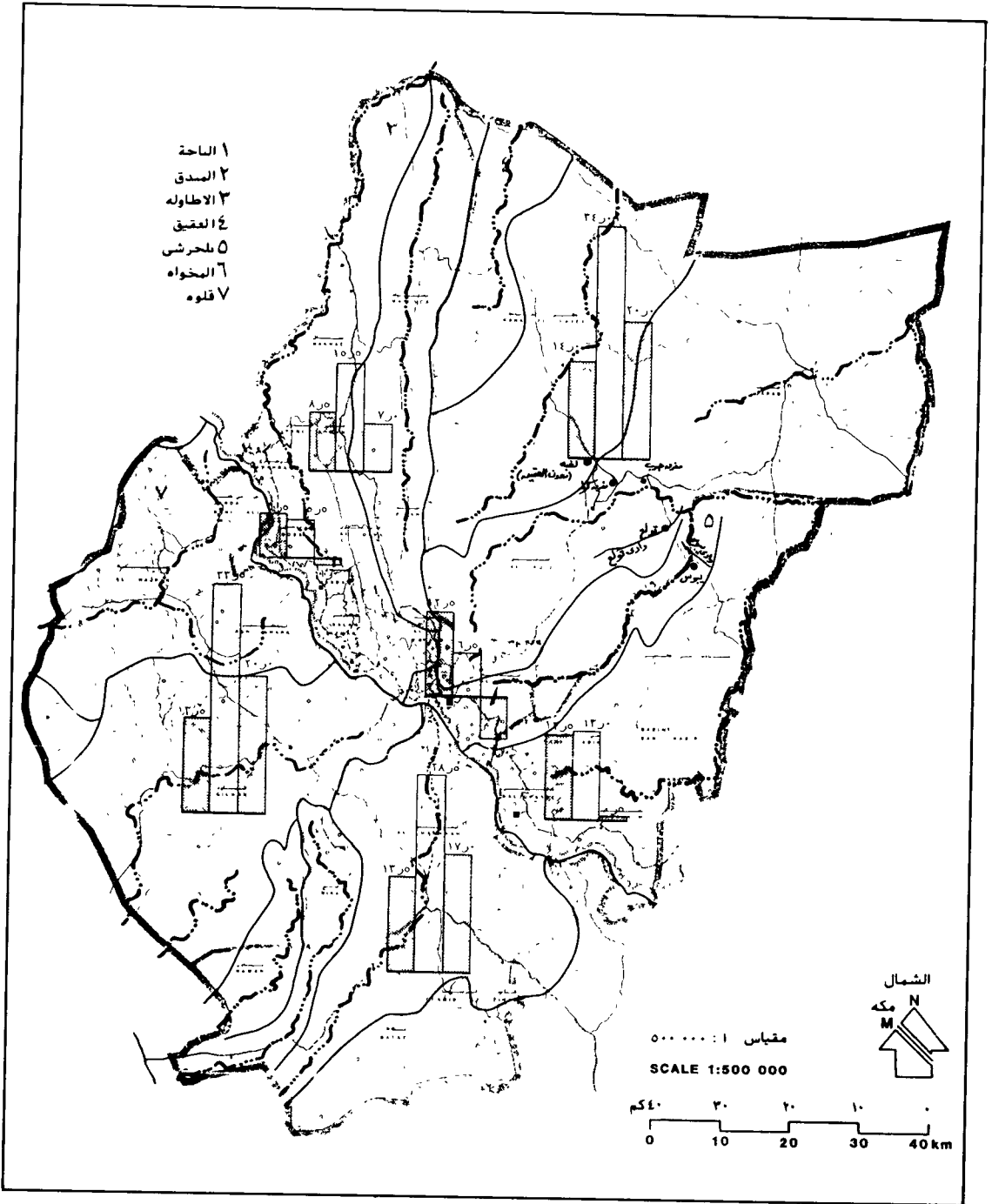
ومعدن العقيق من المعادن المشهورة في جزيرة العرب وقد ورد ذكره في كتاب « صفة الجزيرة » وفي كتاب « الجوهرتين » .

وقد علمت ان بعثة تعدينية من الثروة المعدنية ، قد قامت بدراسة الجدوى الاقتصادية لاستثماره .

وأخيراً فإن الدراسة العاجلة التي قمت بها لا تكفي وأن الحفريات المطلوب ان تقوم بها إدارة الآثار هي المهمة .

وشكراً للشيخ حمد الجاسر الذي كان له الفضل في تحقيق تلك الأمكنة ولرفيقي الرحلة الأستاذ أحمد بن حامد الغامدي والأخ علي هلال الدوقي ، لمساعدتهما لي في الوصول إلى الأماكن المشار إليها وتعريفني بها .

الباحة : علي بن صالح السلوك الزهراني



بنو رَشِيد ليسوا هتيما

بعث إلي الأخ مطر بن سلمان بن سالم الرشيد في إدارة الدفاع المدني في المدينة المنورة بجذاذتين من جريدة «الشرق الأوسط» أولاهما بتاريخ ١٦/٢/١٤٠٩ هـ (١٩٨٨/٩/٢٧ م) والثانية بتاريخ ١٦/٣/١٤٠٩ هـ (١٩٨٨/١٠/٢٦ م) وقد قرأت في الأولى تعليقا للأخ عطا الله بن ضيف الله الرشيد على كلمة للأستاذ طلحة جبريل من السودان حول الروابط الأخوية المتينة التي تربط الشعب السوداني بالشعب السعودي .

وكان الأستاذ طلحة قد تحدث عن هذا الموضوع في العدد الـ (٣٥٦٣) الصادر في ١٨ محرم ١٤٠٩ - ١٩٨٨/٨/٣٠ م) وكان مما أورده الأخ عطا الله مؤيداً ما أشار إليه الأستاذ طلحة قوله عن الصلة بين سكان السودان وسكان المملكة من القبائل ، ما هذا نصه : وفي عصور متأخرة عبرت البحر الأحمر إلى السودان فروع كثيرة من قبيلة بني رَشِيد التي هي في الأساس من بقايا قبيلة عَبَسِ الشهيرة ، انضم إليها فروع من فزارة ، لصلة النسب . ثم رأيت في الجذاذة الأخرى الكلمة التي بتوقيع (فهد الشمري) من حائل ، ولا أستبعد أن يكون هذا الاسم رمزاً لا حقيقة ، إذ فحوى تلك الكلمة ومضمونها التشكيك في صحة انتساب قبيلة بني رَشِيد إلى أصل عربي قديم ، بل تُوحى تلك الكلمة بما هو أبعد من ذلك ، وهو ان اسم بني رشيد مستحدث من مدة قريبة .

والواقع أن الباحث لوسار على النهج الذي توحى به تلك الكلمة لهدم كثيراً من الروابط القوية التي بين القبائل العربية .

فمن المعروف أن قبيلة بني رشيد وهذا هو الاسم الصحيح الذي تعترف به القبيلة ، ويعترف به كل من يُعنى بالسير على النهج الصحيح المتعارف بين قبائل العرب وهو (الناس مأمونون على أنسابهم) - هذه القبيلة كغيرها من القبائل العربية الكثيرة في داخل الجزيرة وخارجها تضم ألفافاً من القبائل ، هي على تفرق

أصولها صحيحة الأنساب ، ذات صلات قوية بالقبائل العربية المشهورة المعروفة ، في العهد الجاهلي ثم في صدر الإسلام .

ومحاولة النَّيل في صحّة انتساب أيّة قبيلة إلى أصلها الذي تنتسب إليه ماهو سوى وسيلة من وسائل التجزئة والتفرقة ، وإيجاد منافذ لضعضة الكيان العربي ، الذي يحوط شمل الأمة العربية بإحدى وسائل القوة وهي صلة النسب .

أما الاعتماد على ماكتبه الأستاذان فؤاد حمزة وعباس العزّاوي فهو اعتماد لا يقوم على أسس صحيحة ، فالأستاذان مع انها بذلا جهداً مشكوراً فيما حاولا تدوينه في كتابيهما عن الأنساب إلا أنها – كما هو معروف – عاشا بعيدين عن مهد القبائل العربية في جزيرتها ، وإقامة الأستاذ فؤاد حمزة في الجزيرة كانت فترة قصيرة لم تمكنه من التعمق في دراسة أحوال القبائل والاجتماع بها في موطنها ، واعتمد في كثير مما أورده في كتابه على النقل من أناس تنقصهم معرفة أنساب كثير من القبائل التي لم يختلطوا بها .

ومن المؤسف أن يتصدّى أحد أبناء بلادنا للكتابة عن الأنساب فيحذو حذو هذين المؤلفين ، في مؤلف حديث ، ولا يكلف نفسه عناء الاتصال بالقبيلة نفسها ، ليعرف رأيها حول نسبها ، وحيال مايقال عنها ، ويدرس من أحوالها مايمكنه من أن يكتب عنها كتابة قائمة على أساس من المعرفة الصحيحة .

ولو صح قبول الطعن في أصل كل قبيلة اعتماداً على من يجهل أصلها أو من كانت بينه وبينها عداوة لم تسلم قبيلة واحدة من الطعن ، وهذا شيء معروف منذ أن اهتم المتقدمون بتدوين تاريخ القبائل ، ويجد المعني بهذا أمثلة كثيرة له في المؤلفات القديمة ومنها ماورد في مقدمة كتاب «الأنساب» لأبي سعد السمعي .

أما كلمة (هُتَيْم) فهي كلمة ذم واحتقار كانت تطلق على بعض القبائل الضعيفة التي ليست بذات عصبية ولا قوة تحميها ، وليس لها من مميزات الأصالة

العربية مايربطها بغيرها من القبائل . وماكانت قبيلة بني رشيد يوماً من الأيام ترضى بإطلاق هذا اللقب عليها ، ولا يسوغ عقلاً ولا شرعاً أن تسمى باسم ترفضه ، وترى فيه انتقاصاً لقدرها ، ولقد حافظت منذ القدم على مميزاتها القبلية ، فاستقرت في مساكن أصولها القديمة من قبيلة غطفان في حِجْرٍ خيبر وحولها ، وفي غيرها من البلاد إلى عهدنا الحاضر ، كما أنها بقيت متمسكة بعاداتها العربية الأصيلة من النخوة ، والحفاظ على الحرمات ، واکرام الضيف وحماية المتلججاء ، إلى غير ذلك من الأخلاق العربية الأصيلة .

وتحسن الإشارة هنا إلى الصلة القوية بين فروع قبيلة بني رشيد في المملكة وفروعها في بلاد السودان كما تحدث عنها الأخ عطا الله بن ضيف الله الرشيد في مجلة «العرب» - س ١٩ ص ٨١٦ - بعنوان (الرشايدة في السودان وصلتهم بقبيلة بني رشيد في بلادنا) كما أن الأستاذ عطا الله نشر بحثاً مفصلاً عن فروع بني رشيد وبلادهم في مجلة «العرب» أيضاً - س ٢٠ ص ١٢٥ - ، ولصاحب هذه المجلة كتابات في الموضوع (س ٤ ص ٢٨١ وس ٢١ ص ٥٦٠ وس ٢٢ ص ١٤٠) كما تحدث عن قبيلة بني رشيد في كتابه «في شمال غرب الجزيرة» و«معجم قبائل المملكة العربية السعودية» مما لاداعي للافاضة فيه ، ويمكن لمن يعنى بهذه المباحث الرجوع إلى ذلك ، إذ كانت الغاية منه مجرد البحث عن حقيقة نسب هذه القبيلة المهضومة القدر .

أما كتاب «معجم قبائل العرب» للأستاذ عمر رضا كحالة فهو مشحون بالأخطاء وخاصة ماله صالة بقبائل المملكة ، إذ الأستاذ - رحمه الله - اعتمد على النقل المجرد ، وليس ذا معرفة بأصول القبائل بوجه عام .

والله الهادي إلى سواء السبيل ، ،

[جريدة «الشرق الأوسط» ع ٣٦٨٢ تاريخ ١٤٠٩/٥/٢٠هـ]

حمد الجاسر

مااتفق لفظه وافترق مسماه

من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

- ٥٧ -

٢٥٦ - باب: حَرَامٍ ، وَحَرَامٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : - يَفْتَحُ الْحَاءُ بَعْدَهَا رَاءً - : بَنُو حَرَامٍ ، مِنْ مَحَالِّ الْبَصْرَةِ ،
وَمَحَلَّةٍ أَيْضًا بِالْكَوْفَةِ نَسَبًا إِلَى الْقَبِيلَةِ ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِمَّنْ سَكَنُوهَا (٢) .
وَأَمَّا الثَّانِي : - بِضَمِّ الْحَاءِ بَعْدَهَا زَائِيٌّ : وَادٍ نَجْدِيٌّ (٣) .

- (١) عِنْدَ نَضْرٍ : فِي حَرْفِ الْحَاءِ - : (بَابُ حُرَامٍ وَحَرَامٍ وَخِدَامٍ) .
(٢) نَسَبُ الْقَبِيلَةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ - عَلَى مَا فِي «الْأَنْسَابِ» لِلْسَّمْعَانِيِّ - حَرَامُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ فَرَازَةَ بْنِ بَيْعِيضٍ ، مِنْهُمْ رُؤَسَاءُ وَشُعْرَاءُ وَأَجْرَادٌ وَلَكِنْ يَاقُوتٌ قَالَ : وَأَنَا شَاكٌ فِي خِطَّةِ الْبَصْرَةِ هَلْ هِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَنْ ذَكَرْنَا أَوْ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَإِنَّمَا غَلِبَ الظَّنُّ أَنَّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى هَؤُلَاءِ لِأَنِّي وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ بَنِي حَرَامٍ مِنْ سَعْدِ الْبَصْرَةِ . وَقَالَ عَنُ أَصْحَابِ خِطَّةِ الْكَوْفَةِ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» : بَنُو حَرَامٍ مُسَمَّاءُ بِيَطْنِ [مِنْ] تَيْمِيمٍ ، وَهُوَ حَرَامُ بْنُ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَيْمِيمٍ ، وَهُمْ الْأَجْرَابُ قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : وَمِنْ بَنِي كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْأَجْرَابِ وَهُمْ حَرَامٌ وَعَبْدُ الْعُرَى وَمَالِكُ وَجُشَمٌ وَعَبْدُ شَمْسٍ وَالْحَارِثُ ، بَنُو كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ - كَذَا فِي الْكِتَابِ مَعَ الْاِخْتِلَافِ فِي أَبِي حَرَامٍ ، وَلَا يَتَسَعُّ السَّمَجَالُ لِلزِّيَادَةِ وَلِيَرْجِعَ لِكِتَابِ «الْجُمْهَرَةِ» لِابْنِ الْكَلْبِيِّ . وَلَمْ يَزِدْ نَضْرٌ عَلَى قَوْلِهِ : حَرَامٌ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ وَرَاءَ مَهْمَلَةٍ - بِالْجَزِيرَةِ وَأَطْنَةَ جَبَلًا - وَذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ بَعْضَ الْمُنْسُوبِينَ إِلَى الْخِطَّةِ الْبَصْرِيَّةِ وَعَدَّ مِنْهُمْ الْحَرِيرِيَّ - الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ - صَاحِبُ «الْمَقَامَاتِ» - الْمَوْلُودُ فِي حُدُودِ سَنَةِ ٤٤٦ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٥١٦ هـ .
(٣) هُوَ نَصُّ كَلَامِ نَضْرٍ ، وَعِنْدَ يَاقُوتٍ : وَادٍ بِنَجْدٍ . انْتَهَى . وَمَا أَكْثَرُ أَوْدِيَةِ نَجْدٍ . وَلَكِنِّي أَجْهَلُ الْكَثِيرِ مِنْهَا ، وَمِنْهَا الْجَبَلُ الْمُسَمَّى بِهَذَا الْاسْمِ .

وَرَأَى نَضْرٌ فِي هَذَا الْبَابِ (خِدَامٍ) قَائِلًا : - بِكسْرِ الْحَاءِ وَبِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ - : وَادٍ فِي دِيَارِ هَمْدَانَ ، وَمَاءٌ أَيْضًا فِي دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ بِنَجْدٍ . وَكَذَا وَرَدَ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» بِدُونِ زِيَادَةٍ وَذَلِكَ بَعْدَ ذِكْرِ سِيكَةِ خِدَامٍ فِي نَيْسَابُورٍ . وَمَا أَضْيَفُهُ هُنَا هُوَ أَنَّ بِلَادَ هَمْدَانَ فِي الْيَمَنِ شَرْقِيَّ صَنْعَاءَ ، حَوْلَ صَعْدَةَ حَدَّهَا الْهَمْدَانِيُّ فِي وَصْفِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَدِيَارُ بَنِي أَسَدٍ كَانَتْ مُتَمِدَّةً شِمَالِ الْقَصِيمِ عَلَى ضِفَافِ وَادِي الرُّمَّةِ إِلَى بِلَادِ طَيِّءِ الْجَبَلَيْنِ أَجْبًا وَسَلْمَسَى ، وَشَرْقًا عَلَى طَرِيقِ الْحِجِّ الْعِرَاقِيِّ حَتَّى قُرْبِ الْكَوْفَةِ .

٢٥٧ - بَابُ حُرُصٍ ، وَحَرْصٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : - بِضَمِّ الْحَاءِ وَآخِرُهُ ضَادٌّ مُعْجَمَةٌ : - وَادٍ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ أَحَدٍ ، لَهُ ذِكْرٌ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ (٢) .

- (١) أوردته نصر بن نصبه إلا أنه قدم ما هو مؤخر هنا .
 (٢) له ذكر في بعض الآثار - من زيادات الحازمي - والباقى من كلام نصر . وذكر ياقوت في «معجم البلدان» : أن اليهود لما تغلبوا على المدينة في الزمن القديم كان لهم ملك يسمى الفطيون ، وقد سن فيهم أن لا تدخل امرأة على زوجها حتى يكون هو الذي يفتضها قبله ، فبلغ ذلك أبا جيلة أحد ملوك اليمن فقصد المدينة ، وأوقع باليهود بذي حُرُصٍ وقتلهم ، فقالت سارة القرظية :

بأهلي رمة لم تغن شيئاً
 كهول من قرينة ألفتهم
 ولو أدنوا بحرهم لحالت
 سُيوف الخرزجية والرمح
 بذى حُرُصٍ تُعفئها الرياح
 هنالك دوتهم حرب رداح
 وقال ابن السكيت في قول كثير :

اربع فحي معارف الأطلال
 بالجزع من حُرُصٍ فهن بوالي
 حُرُصٍ - هاهنا - واد من وادي قناة من المدينة على ميلين . انتهى المراد من قول ياقوت وبه يتبين المراد من قول الحازمي ، ولكنني لأرى كثيراً قصد حُرُصٍ الواقع بقرب المدينة ، لأنه قرن الموضوع الذي ذكره بذكر مواضع آخر ، إذ قال - بعد ذلك البيت على ما في «ديوانه» - ٢٨٤ - «ومعجم ما استعجم» - رسم حُرُصٍ : -

فبراج ريمة قد تقدم عهدها
 لئلا وقفت بها القلوص تبادرت
 وذكرت عزة إذ تصاقب دارها
 أيام أهلونا جميعاً جيرة
 بالسفح بين أثيث ففعال
 حبب الدُموع كأنهن عزالي
 برحيب فأرابين فنخال
 بكتانة ففراقيد ففعال

وأكثر المواضع التي ذكرها تقع بقرب الصفراء ، ومنها حُرُصٍ الذي قال البكري عنه في «معجم ما استعجم» : واد يدفع في رحقان ورحقان يدفع في الصفراء ، وهو وادي ليل ، ولكن البكري عاد فخلط بين الموضوعين إذ قال بعدما تقدم : وبذي حُرُصٍ نزل أبو جيلة الغساني لما استنصره الأوس والخرزج على اليهود ، فلما نزل بهذا الموضوع بعث إلى يهود ليتاني ، ففعلوا ، فابارهم - ثم أورد شعراً لزهير ، وشعر كثير ، وقول الهمداني : وادي حُرُصٍ باليمن يسكنه بنو عامر من همدان . ولكن يتضح من نصوص المتقدمين :

١ - أن ذي حُرُصٍ المتصل بوادي قناة بين المدينة وبين جبل أحد هو الذي قتل فيه الملك الغساني اليهود .

٢ - أما حُرُصٍ الوارد في قول كثير فيقع في نواحي الصفراء وقد يكون مصحفاً عن (حُرُصٍ) بالخاء =

وَأَيْضاً : وَادٍ عِنْدَ مَعْدِنِ النَّقْرَةِ لِبَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطْفَانَ (٣).

وَأَمَّا الثَّانِي : - يَفْتَحُ الْحَاءُ وَسُكُونُ الرَّاءِ وَأَخْرَهُ صَادٌ مُهْمَلَةٌ : جَبَلٌ نَجْدِيٌّ ، وَقِيلَ بِالسَّيْنِ (٤).

= المَعْجَمَةُ بَعْدَهَا رَاءٌ وَصَادٌ مُهْمَلَتَانِ ، حَيْثُ لَا يَزَالُ اسْمُ حُرْصٍ يُطْلَقُ عَلَى جِبَالٍ تَقَعُ عَلَى بَيْنِ الْمَتَّجِعِ فِي الْمُنْصَرَفِ (السُّسَيْجِيدِ) إِلَى الصُّفْرَاءِ قَبْدَرٍ ، يَتَحَدَّرُ مِنْهَا شُعَيْبٌ يَدْعَى بِهَذَا الْاسْمِ (حُرْص) بِيَضٍ سَيْلُهُ فِي وَادِي رَحْقَانَ ثُمَّ فِي الصُّفْرَاءِ - عَلَى مَا ذَكَرَ الْبُكْرِيُّ عَنْ حُرْصٍ : وَادٍ يَدْفَعُ فِي رَحْقَانَ ، وَرَحْقَانَ يَدْفَعُ فِي الصُّفْرَاءِ .

وَهُنَاكَ جَبَلٌ يَقَعُ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ اسْمُهُ حُرْصٌ - بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةُ الْمَضْمُومَةُ بَعْدَهَا رَاءٌ وَصَادٌ مُهْمَلَتَانِ فِي أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ تَدْعَى الْحَرْمِيَّةَ ، فِيمَا بَيْنَ الْحَرْمَةِ وَطَلْمٍ ، يَخْتَرِقُهَا الطَّرِيقُ بَيْنَهَا فَيَمُرُّ بِحُرْصٍ جَبَلٍ أَيْضاً لَيْسَ بِالْكَبِيرِ ، وَلَكِنَّهُ بَارِزٌ لِيُوقِعَهُ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ .

٣ - وَذُو حُرْصٍ الَّذِي ذَكَرَهُ زُهَيْرٌ فِي شِعْرِهِ الَّذِي أُرْوَدُهُ الْبُكْرِيُّ وَيَأْقُوتُ - يَنْطَبِقُ عَلَى الْوَادِي الْوَاقِعِ فِي بِلَادِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطْفَانَ - الْقَوْمِ الَّذِي عَاشَرَ زُهَيْرٌ فِي بِلَادِهِمْ - بِقَرَبِ مَعْدِنِ النَّقْرَةِ .

٤ - الْوَادِي الَّذِي نَقَلَ الْبُكْرِيُّ قَوْلَ الْهَمْدَانِيِّ يُخَالَفُ ضَبْطَ اسْمِهِ اسْمَ مَا قَبْلَهُ ، فَهُوَ يَفْتَحُ الْحَاءَ وَالرَّاءَ - حُرْصٌ - كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ الْآنَ ، وَكَمَا قَالَ يَأْقُوتُ عَنْهُ : بَلَدٌ فِي أَوَائِلِ الْيَمَنِ مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ ، نَزَلَهُ حُرْصٌ بْنُ خَوْلَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ جَمْرٍ ، فَسُمِّيَ بِهِ - وَكَانَ بَيْنَ خَوْلَانَ ، وَهَمْدَانَ - وَأَصْلُ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْهَمْدَانِيِّ فِي «الْإِكْلِيلِ» أَغْنَى نِسْبَةَ الْوَادِي إِلَى حُرْصِ بْنِ خَوْلَانَ ، وَلَا يَزَالُ مَعْرُوفًا جَنُوبَ مَنطِقَةِ جَزَانَ ، فِي تِهَامَةَ وَقَدْ حَدَّدَ مَوْقِعَهُ الْهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» - ١٢٥ - فِي صَفْحَاتٍ أُخْرَى - مَعْدِنِ النَّقْرَةِ مِنْ أَشْهُرِ الْمَوَاضِعِ الْوَاقِعَةِ فِي طَرِيقِ الْمَتَّجِعِ مِنْ بِلَادِ الْقَصِيمِ إِلَى السَّمِيدِيَّةِ ، وَشَهْرَتُهُ تَعْنِي عَنْ الْإِطَالَةِ بِتَحْدِيدِهِ - وَانظُرْ عَنْهُ كِتَابُ «الْجَوْهَرَيْنِ» أَمَّا الْوَادِي (حُرْصٌ) فَغَيْرٌ مَعْرُوفٌ .

(٤) هَذَا نَصٌّ كَلَامِ نَصْرِ . وَلَمْ يَزِدْ يَأْقُوتُ عَلَى هَذَا ، وَلَكِنَّهُ تَحَدَّثَ عَنْ (حُرْصٍ) بِالسَّيْنِ فَاطَّلَبَ بِمَا خَلَّصْتَهُ :

١ - حُرْصٌ : مِنْ مِيَاهِ بَنِي عَقِيلٍ بِنَجْدٍ ، وَأُورِدَ لِمُزَاجِمِ الْعَقِيلِيِّ :

نَظَرْتُ بِمَقْضَى سَيْلِ حَرْسِينَ وَالضُّحَى يَلُوحُ بِأَطْرَافِ الْمَخَارِمِ أَهْلَا

وَأَضَافَ مِنْ كَلَامِ أَبِي زِيَادٍ : هُمَا مَاءَانِ اثْنَانِ يُسَمَّيَانِ حَرْسِينَ ، وَهُنَاكَ مِيَاهُ عِدَّةٌ تُسَمَّى الْحُرُوسَ .

٢ - نَقَلَ عَنْ ثَعْلَبٍ فِي قَوْلِ الرَّاعِي :

رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكَّرَ إِخْوَتِي وَمَالِكَ أَنْسَانِي بِحَرْسِينَ مَالِيَا

إِنَّمَا هُوَ حَرْسٌ ، مَاءٌ بَيْنَ بَنِي عَامِرٍ وَعَطْفَانَ بَيْنَ بِلَدَيْهِمَا - وَأَمَّا ثَنَاءُ تَغْلِيبًا .

٣ - وَأُورِدَ لِعُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ - وَهُوَ عَبْسِيٌّ - مِنْ أَيْبَاتٍ :

رَجَعْتُ عَلَى حَرْسِينَ إِذْ قَالَ مَالِكُ هَلَكْتَ ، وَهَلْ يُلْحَى عَلَى بُغْيَةٍ بِمِثْلِي

وَنَقَلَ عَنِ ابْنِ السُّكَيْتِ - فِي شَرْحِهِ : حَرْسٌ وَادٍ فِي نَجْدٍ ، فَأَضَافَ إِلَيْهِ شَيْئًا آخَرَ ، فَقَالَ (حَرْسِينَ) .

٤ - وَأُورِدَ لِلْبَيْدِ :

وَبِالسَّفْعِ مِنْ شَرْقِيِّ حَرْسٍ مُحَارِبٌ شُجَاعٌ وَذُو عَقْدٍ مِنَ الْقَوْمِ غَبْرٌ =

٢٥٨ - باب: حَزْدَةَ ، وَجَزْدَةَ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : - يَفْتَحُ الْحَمَاءُ وَسُكُونِ الرَّاءِ - : مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ يُقَالُ : أَهْلُهَا يَمَنٌ
سَارَعَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ^(٢)

= ٥ - وَلِزُهَيْرِ :

هُمُ ضَرَبُوا عَنْ فَرْجِهَا بِكَيْتَبَةٍ كَيْتِصَاءِ حَرْسٍ فِي طَرَائِفِهَا الرَّجُلُ
قال: الحَرْسُ جَبَلٌ .
٦ - وَقَالَ طَفِيلُ الْغَنَوِيُّ :

فَنَحْنُ مَنَعْنَا يَوْمَ حَرْسٍ نِسَاءَكُمْ غَدَاةَ دَعَوْنَا دَعْوَةَ غَيْرِ مَوْتِلِ
وَلَسًا ذَكَرَ الْبَكْرِيُّ أَنَّ الْحَرْسَ جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي عَبَسَ ، وَأَنَّهُ أَكْثَرُ مَا يُقَالُ : يَغْيِرُ الْفَيْ وَوَلَامٍ : حَرْسٌ - أَوْرَدَ
لِحَمِيدِ بْنِ تَوْرٍ :

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الْحُمُولِ كَأَنَّهَا رُزِمَتْ الْإِشَاءِ بِجَانِبِي حَرْسٍ
وَنَقَلَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ : حَرْسَانُ جَبَلٌ فِي دِيَارِ عَبَسَ ، وَعَنِ الزُّبَيْرِ : حَرْسَانُ . وادي بني العجلان .
وأورد - في رُزْمِ (ذي سُذَيْرِ) لِحَمِيدِ بْنِ تَوْرٍ :

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى ذُو سُذَيْرِ فَعَابِرٌ فَحَرْسٌ فَأَعْلَامُ الدَّخُولِ الصَّوَادِرُ
وَيُضِحُّ - مِمَّا تَقَدَّمَ - أَنَّ اسْمَ حَرْسٍ يُسَمَّى بِهِ غَيْرَ مَوْضِعٍ فِي جَنُوبِ نَجْدٍ ، وَفِي جِهَاتٍ أُخْرَى ، فَالَّذِي
فِي الْجَنُوبِ الْوَارِدُ فِي شِعْرِ مَزَاجِمٍ وَحَمِيدِ بْنِ تَوْرٍ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي بَابِ الْحَيْمِ : (جرش وحرش . . .)
- «العرب» : ٩٤٢/١٦ - وَأَنَّهُ يُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ (حَرْسٍ) طَبَقًا لَمَّا نَقَلَ يَأْقُوتُ عَنْ أَبِي زَيْدٍ ، يَشْمَلُهُ
مُسَمَى الْفُضَيْرِينَ ، فِي هَضْبِ آلِ زَايِدِ (الدَّوَّاسِرِ) وَالْوَارِدُ فِي شِعْرِ لَيْدٍ :

وبالجزء من شرفي حرس - البيت -

يُقْصَدُ قَبْرُ سُهَيْلِ بْنِ طَفِيلٍ ، مِنْ رِجَالِ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ ، مَاتَ غَرْبِيَّ جَبَلِ حَرْسٍ . وَقَدْ يَكُونُ
زُهَيْرٌ وَطَفِيلٌ وَعُرْوَةٌ أَرَادُوا هَذَا الْجَبَلَ ، وَأَنَّهُ وَقَعَ فِي بِلَادِ بَنِي عَامِرٍ ، فِي غَالِيَةِ نَجْدٍ .

(١) قَالَ نَصْرٌ : (بَابُ حَزْدَةَ ، وَجَزْدَةَ ، وَالْحَزْرَةَ) .

(٢) عِنْدَ نَصْرٍ : - بَعْدَ صَبْطِ الْاسْمِ - : بِلَدِّ يَمَانَ أَهْلُهُ يَمَنٌ سَارَعَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكُذَّابِ . وَلَمْ أَرِ فِيهِ «مَعْجَمَ
الْبُلْدَانِ» هَذَا الْاسْمَ ذَكَرَ فِي مَوْضِعِهِ . وَلَكِنْ مَا دَامَ الْبَلَدُ فِي الْيَمَنِ فَأَيُّهِ صِلَةٌ لِمُسَيْلِمَةَ بِهِ ، إِنْ الصَّوَابُ
(الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ) الْمَسْتَبِيُّ الَّذِي خَرَجَ فِي الْيَمَنِ فِي آخِرِ الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ ، فَاسْتَوَلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ تِلْكَ
الْبِلَادِ ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ - فِي حَوَادِثِ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ - فِي الْكَلَامِ عَلَى أَخْبَارِ
الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ : وَذَانَتْ لَهُ سَوَاحِلُ مِنَ السَّوَاحِلِ حَازَ عَثْرَ وَالشَّرْجَةَ وَالْحَرْدَةَ ، وَعُغْلَافِقَةَ وَعَدَنَ
وَالْحَجْدَةَ ، ثُمَّ صَنَعَاءَ إِلَى عَمَلِ الطَّائِفِ ، إِلَى الْأَحْسَبَةِ وَعُثْلَيْبِ . انْتَهَى . وَقَدْ ذَكَرَ الْهَمْدَانِيُّ : فِي «صِفَةِ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» الْحَرْدَةَ مِنْ سَوَاحِلِ بَحْرِ تِهَامَةَ فِي بِلَادِ حَكَمٍ ، وَأَشَارَ مُحَقِّقُ الْكِتَابِ أَنَّهَا لَا تُعْرَفُ لِاخْتِفَائِهَا
مُنْذُ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الكَدِيمِيُّ: لَقِيْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ - شاصونه - بَنَ عَبْدِ اللَّهِ مُنْصَرَفًا مِنْ عَدَنٍ، بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْحَرْدَةُ سَنَةَ عَشْرِ وَمِئَتَيْنِ، وَحَدَّثَنِي عَنْ مَعْرُضِ بْنِ مُعَيْقِبِ السِّمَامِيِّ^(٣).

وَأَمَّا الثَّانِي: - أَوْلُهُ جَيْمٌ مُفْتَوْحَةٌ، وَالباقِي نَحْوَ الْأَوَّلِ: - مِنْ مَحَالِّ مَدِينَةِ السَّلَامِ^(٤).

(٣) أَطَالَ ابْنُ حَجْرٍ فِي «تَهذِيبِ التَّهذِيبِ» - ٥٣٩/٩ - تَرْجَمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ وَسَاقَ نَسْبَهُ إِلَى كَدِيمِ السَّامِيِّ، وَذَكَرَ أَنَّهُ بَصْرِيٌّ. وَأُورِدَ أَقْوَالًا كَثِيرَةً فِي تَجْرِيحِهِ، وَذَكَرَ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٢٨٦هـ وَسَاقَ خَيْرَ رِوَايَاتِهِ عَنْ شَاصُونِيهِ: لَمَّا أَمَلَى الكَدِيمِيُّ حَدِيثَ شَاصُونِيهِ اسْتَعْظَمَهُ النَّاسُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ وَفَاتِهِ جَاءَ قَوْمٌ مِنَ الرَّحَالَةِ، مِنْ جَاءِ مِنْ عَدَنٍ، فَقَالُوا: دَخَلْنَا قَرْيَةً يُقَالُ لَهَا الْحَرْدَةُ، فَلَقِينَا فِيهَا شَخْصًا فَسَأَلْنَاهُ: عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنَ الْحَدِيثِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقُلْنَا: مَا سَأَلْنَاكَ؟ قَالَ: شَاصُونِيهِ. فَكَتَبْنَا عَنْهُ، فَأَمَلَى عَلَيْنَا هَذَا الْحَدِيثَ فِيهَا أَمَلَى عَنْ أَبِيهِ. وَنَقَلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَرِيشِ المَرْوَزِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُوسَى بْنِ هَارُونَ مُنْصَرَفِي مِنْ تَجْلِسِ الكَدِيمِيِّ. فَقَالَ لِي: مَا الَّذِي حَدَّثَكُمُ الكَدِيمِيُّ الْيَوْمَ؟ فَقُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ شَاصُونِيهِ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي بِحَدِيثِ مُبَارَكِ الْبِيَامَةِ. فَقَالَ مُوسَى بْنُ هَارُونَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ حَدَّثَ عَمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ بَعْدَ - إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ، وَقَدْ تَرَجَمَ ابْنُ حَجْرٍ فِي «الإصابة» مَعْرُضَ بْنَ مُعَيْقِبِ الْبِيَامِيِّ وَذَكَرَ رِوَايَةَ الكَدِيمِيِّ عَنْ شَاصُونِيهِ عَنْهُ حَدِيثًا قَالَ: لَمْ أَجِدْهُ إِلَّا عِنْدَ الكَدِيمِيِّ عَنْ شَيْخٍ مَجْهُولٍ، فَلَمْ أَتَسَاوَلْ بِتَجْرِيحِهِ، ثُمَّ أوردَهُ عَنِ ابْنِ قَانِعٍ فِي قِصَّةِ صَبِيِّ تَكَلَّمَ جِئًا سَأَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ - إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ - وَمِنْهُ قَالَ مُعَيْقِبٌ: فَكُنَّا نُسَمِّيهِ مُبَارَكَ الْبِيَامَةِ - يَعْنِي الصَّبِيَّ.

(٤) لَمْ يَذْكَرْ نَصْرَ جَزْرَةَ هَذِهِ وَلَا يَأْقُوتَ فِي مَوْضِعِهَا مِنْ «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ». وَلَكِنْ الْأَخِيرُ ذَكَرَ الْجَزْرَةَ - مُحَرَّكَةَ الْحُرُوفِ - مِنْ نَوَاحِي الْبِيَامَةِ عَنِ الْحَفْصِيِّ. وَلَمْ أَرِ فِيهَا لَدَيَّْ مِنْ كُتُبِ الْأَنْسَابِ ذِكْرًا لِهَذِهِ المَحَلَّةِ بِذِكْرِ مَنْ يُنْسَبُ إِلَيْهَا. وَمِنْ زِيَادَاتِ نَصْرٍ:

١ - جُزْرَةُ: وَقَالَ: - بِضَمِّ الجَيْمِ وَسُكُونِ الرَّيِّ الْمُعْجَمَةِ ثُمَّ رَأَيْتُ مُهْمَلَةً: وَإِدْبَارُ الْكُوفَةِ وَفِيدٌ، وَهُوَ مَاءٌ لِبَيْتِ كَعْبِ بْنِ الْعَنْبَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ. وَفِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» جُزْرَةُ - بِالضَّمِّ وَزِيَادَةُ الهَاءِ: - وَإِدْبَارُ الْكُوفَةِ وَفِيدٌ. وَجُزْرَةُ أَيْضًا مَوْضِعٌ بِالْبِيَامَةِ، قَالَ مُتَمِّمٌ بْنُ نُوَيْرَةَ:

فَيَا لِعَبِيدِ حَلْفَةٍ إِنْ خَيْرَكُمْ بِجَزْرَةَ بَيْنَ الوَعَسْتَيْنِ مُقِيمٍ
ثُمَّ عَادَ فَقَالَ: جُزْرَةُ: اسْمُ أَرْضٍ بِالْبِيَامَةِ، مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ وَهِيَ لِبَيْتِ رَبِيعَةَ، قَالَ مُتَمِّمٌ بْنُ نُوَيْرَةَ
يُرْتَبِي بِحَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَلَيْكِ السَّلَيْطِيِّ:

كَأَنَّ بُحَيْرًا لَمْ يَقُلْ لِي: مَا تَرَى مِنَ الْأَمْرِ؟ أَوْ يَنْظُرُ بِوَجْهِ قَسِيمٍ
وَبَعْدَ بَيْتَيْنِ - أوردتهما ياقوت:

فَيَا لِعَبِيدِ حَلْفَةٍ أَنْ خَيْرَكُمْ بِجَزْرَةَ بَيْنَ الوَعَسْتَيْنِ مُقِيمٍ
وَكَلِمَةُ (الْكُوفَةُ) فِي عِبَارَتِي نَصْرٍ وَيَأْقُوتٌ غَيْرُ صَحِيحَةٍ، يُوضِّحُ هَذَا: =

٢٥٩ - باب: حُرَاضٍ ، وَحُرَاصٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : - بِضَمِّ الْحَاءِ وَآخِرُهُ ضَادٌ مُعْجَمَةٌ :- مَوْضِعٌ قُرْبَ مَكَّةَ بَيْنَ الْمُسَاشِ وَالْعُمَيْرِ ، وَهُنَاكَ كَانَتِ الْعُرَى - فِيمَا قِيلَ - وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ (٢).

= ١ - أَنَّ مِيَاهَ بَنِي الْعَنْبَرِ وَبِلَادِهِمْ تَقَعُ عَلَى طَرِيقِ الْحَجِّ الْبَصْرِيِّ السَّمَارِ بَوَادِي فَلَجِ (الْبَاطِن) فَالذَّهْنَاءُ فَالْبَيْجِ (الْأَسِيحِ) مَحْتَرَفًا بِلَادِ الْقَصِيمِ .

٢ - أَنَّ جُزْرَةَ الْوَأَقَعَةِ فِي بِلَادِ بَنِي الْعَنْبَرِ ، وَالتِّي قَالَ عَنْهَا الْأَصْفَهَانِي فِي كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» - ٢٦٥ :- إِرَابٌ وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي الْعَنْبَرِ ، ثُمَّ جُزْرَةٌ وَهِيَ هُمْ أَيْضًا - لِأَنْزَالِ مَعْرُوفَةٍ ، وَهِيَ وَاقَعَةٌ فِي الطَّرْفِ الشِّمَالِيِّ مِنْ جَبَلِ الْعَارِضِ (طَوْبِقٍ) حَيْثُ أَنْجَزَزَ (أَي انْقَطَعَ) وَهِيَ الْآنَ قَرْيَةٌ مَعْدُودَةٌ مِنْ قَرْيِ بِنْتَلَقَةِ الرَّؤْفِيِّ ، فِي وَادٍ يُسَمَّى جُزْرَةَ - وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنْ قَيْدِ ، الْوَأَقَعِ عَلَى طَرِيقِ الْحَجِّ الْكُوفِيِّ .

٣ - أَمَّا قَوْلُ صَاحِبِ «الْمَعْجَمِ» : أَنَّهَا مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ فَيُظْهِرُ أَنَّ كَلِمَةَ (الْكُوفَةِ) تَصْخِيفُ (الْكُرْمَةِ) وَ(الْكُرْمَةُ) هِيَ الْجَانِبُ الشِّمَالِيُّ مِنْ جَبَلِ الْعَارِضِ حَيْثُ تَقَعُ جُزْرَةٌ ، وَفَرَى أُخْرَى مِنْ مَنْطِقَةِ سُدَيْرِ (الْفَقْرَى) كَمَا ذَكَرَ هَذَا صَاحِبُ كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» : الْفَقْرَى بِالْكُرْمَةِ ، وَالْكُرْمَةُ بِالْيَمَامَةِ - السَّحَادَةُ فَرَشٌ بَيْنَ الْكُرْمَةِ وَالرَّعَامِ - حَرَمَةٌ وَالْحَيْسُ وَ... كُلُّهَا بِالْكُرْمَةِ - ٢٩٣/٢٥٧/٢٥٣ - وَتَقَدَّمَ نَقْلُ يَاقُوتَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ : جُزْرَةٌ مِنْ أَرْضِ الْكُرَيْتِ مِنْ بِلَادِ الْيَمَامَةِ وَ(جُزْرَةَ) وَ(الْكُرَيْتِ) تَصْحِيفُ (حُزْرَةَ) وَ(الْكُرْمَةَ).

٢ - وَمَا ذَكَرَ نَصْرٌ : الْحَزْرَةَ قَائِلًا :- بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ ثُمَّ زَايَ :- مِيَاهُ لِفَرْزَاةَ ، بَيْنَ أَرْضِهِمْ وَأَرْضِ أُسَيْدٍ . انْتَهَى . وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا عِنْدَ الْحَازِمِيِّ فِي حَرْفِ الْجِيمِ (بَابِ جُزْرَةَ وَخُزْرَةَ) - «الْعَرَبِ» : ٢٤٤/١٩ - وَفِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ : (مَاءٌ لِفَرْزَاةَ) بَدَلُ (مِيَاهِ لِفَرْزَاةَ) كَذَا عِنْدَ يَاقُوتَ وَقَدْ عَوَّلَ عَلَى كَلَامِ الْحَازِمِيِّ وَتَقَدَّمَ .

(١) فِي كِتَابِ نَصْرِ بْنِصَبِّهِ .

(٢) هُوَ تَعْرِيفُ نَصْرِ سِوَى جُمْلَةٍ (وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ) فَهِيَ عِنْدَهُ : (وَقِيلَ : كَانَتْ بِنْتَلَقَةَ الشَّامِيَّةِ) . وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فَمَذُلُوهُمَا وَاحِدٌ ، كَمَا يَتَبَيَّنُ مِنْ أَصْلِهِمَا وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْكَلْبِيِّ فِي كِتَابِ «الْأَصْنَامِ» - ١٨ - عَنِ الْعُرَى :- كَانَتْ بَوَادِي مِنْ نَخْلَةِ الشَّامِيَّةِ ، يُقَالُ لَهُ حُرَاضٌ بِإِزَاءِ الْعُمَيْرِ عَنْ يَمِينِ الْمُصْعَدِ إِلَى الْعِرَاقِ مِنْ مَكَّةَ ، وَذَلِكَ فَوْقَ ذَاتِ عَرَقٍ إِلَى الْبُسْتَانَ بِتِسْعَةِ أَمْيَالٍ . وَقَالَ أَيْضًا - ١٩ :- وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ حَمَتِ لَهَا شِعْبًا مِنْ وَادِي حُرَاضٍ يُقَالُ لَهُ سُقَامٌ ، يَضَاهُونَ بِهِ حَرَمَ مَكَّةَ ، فَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي جُنْدَبٍ الْهَذَلِيِّ ثُمَّ الْقِرْدِيِّ فِي امْرَأَةٍ كَانَتْ يَهْوَاهَا :

لَقَدْ حَلَفْتُ جَهْدًا يَمِينًا غَلِيظَةً بِفَرْعِ الْأَيْدِي أَحْمَتُ فُرُوعَ سُقَامِ

انْتَهَى . فَحُرَاضٌ مِنَ الْأَوْدِيَةِ الَّتِي يَنْتَهِي سَيْلُهَا وَيَفِيضُ فِي وَادِي نَخْلَةِ الشَّامِيَّةِ وَلَا يَزَالُ مَعْرُوفًا وَهُوَ وَادٍ دُو فُرُوعَ كَثِيرَةٌ مِنْهَا سُقَامُ الَّذِي لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا ، وَحُرَاضٌ بُنِيٌّ مِنْ أَكْبَرِ رَوَادِ وَادِي نَخْلَةِ أَسْفَلِ وَادِي قَرْنِ الْمَنَارِ (السَّيْلِ الْكَبِيرِ) إِذْ يَأْخُذُ قَبْلَ حُرَاضِ اسْمًا آخَرَ هُوَ (يَعْبُجُ) ثُمَّ حُرَاضٌ وَيَعُدُّ حُرَاضُ الْمَصْبِيقِ - أَوْ وَادِي اللَّيْمُونِ - وَهُوَ نَخْلَةُ الشَّامِيَّةِ - «الْعَرَبِ» : ٨٧/٧ - أَمَّا كَلِمَةُ (فَوْقَ ذَاتِ عَرَقٍ) فَيُظْهِرُ أَنَّ صَوَابَهَا (تَحْتِ) إِذْ مَا فَوْقَ ذَاتِ عَرَقٍ خَارِجٌ عَنْ مُسَمًّى (نَخْلَةِ الشَّامِيَّةِ) وَلَا يَكُونُ بِإِزَاءِ الْعُمَيْرِ الْوَأَقَعِ بَيْنَ ذَاتِ عَرَقٍ وَبَيْنَ الْبُسْتَانَ الَّذِي هُوَ الْمَنْزِلَةُ الثَّانِيَةُ الْمُوَالِيَةُ لِمَكَّةَ بَعْدَ ذَاتِ عَرَقٍ ، وَتَبْعُدُ حُرَاضٌ عَنْ مَكَّةَ بِمَا يُقَارَبُ ثَمَانِينَ كَيْلًا شَرْقًا بِطَرِيقِ نَخْلَةِ الشَّامِيَّةِ .

←

مع القراء في اسئلتهم وتعليقاتهم

حول كتاب « جمهرة أنساب الأسر »

الوبارين

ورد في ص ٨٥٨ أن الوبارين : في الأفلاج منهم الخضران وآل سجوان .
والواقع أن الوبارين فرع كبير من الفرجان بطونه ثلاثة كبيرة :

١ - الخضران ٢ - الهواشلة ٣ - الدبالين

وللخضران فروع منهم : آل سجوان .

أي إن آل سَجَوَان فرع من الخضران ، وهاؤلاء من الوبارين ، أفاد بهذا الأخ
(ح . ج) .

→ وأما الثاني : - أوله خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ وَآخِرُهُ صَادٌ مُهْمَلَةٌ - : مَوْضِعٌ (٣) .

٢٦٠ - بَابُ حَزِينٍ ، وَجُرَيْنٍ (١)

أما الأول : - يَفْتَحُ الحَاءُ بَعْدَهَا زَايٌ مَكْسُورَةٌ وَآخِرُهُ نُونٌ - : مِنْ مِيَاهِ
نَجْدٍ (٢) .

وأما الثاني : - أوله جِيمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ - : مَوْضِعٌ بِاللُّعْبَاءِ بَيْنَ
سُوجٍ وَالنَّيْرِ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ (٣) .

(٣) هُوَ نَصْرٌ كَلَامٌ نَصْرٌ . وَلَمْ يَأْتِ بِأَقْوَمَ بِشَيْءٍ فِي تَعْرِيفِ الْمَوْضِعِ ، وَمَا أَرَى الْاسْمَ إِلَّا تَضَجِيفَ اسْمِ
الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ ، مَعَ أَنَّ الصَّاعِي فِي «التكملة» ذَكَرَهُ اسْمَ مَوْضِعٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْينَ مَوْضِعَهُ .

(١) هَذَا الْبَابُ تَقَدَّمَ بِنَصِّهِ فِي حَرْفِ الْجِيمِ .

(٢) قَالَ نَصْرٌ : (بَابُ الْحَزِينِ ، وَالْحَزِينِ ، وَالْحَزِيرِ ، وَالْحَزِيرِ ، وَالْحَزِيرِ ، وَالْحَزِيرِ ، وَجُرَيْنِ ، وَجُرَيْنِ) .
عِنْدَ نَصْرٍ : مَاءٌ نَجْدِيٌّ . وَفِي «معجم البلدان» : اسْمُ مَاءٍ بِنَجْدٍ ، وَلَمْ أَرِ لغيرِهِمْ مَا يُجَدُّ مَوْضِعَ هَذَا الْمَاءِ ،
مَصْدَرُهُمْ وَاجِدٌ ، يَمَّا لَا يُؤْمِنُ مَعَهُ وَقُوعِ الْخَطِّ فِي صَبْطِ الْاسْمِ .

(٣) جُرَيْنٌ : قَالَ نَصْرٌ - : بِضَمِّ الْجِيمِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَآخِرُهُ نُونٌ - : مَوْضِعٌ نَجْدِيٌّ بِاللُّعْبَاءِ ، بَيْنَ سُوجٍ وَالنَّيْرِ .
وَعِنْدَ يَاقُوتَ : جُرَيْنٌ - : تَصْغِيرُ جُرَيْنٍ ، وَالْحَزُونُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُحَقِّفُ فِيهِ التَّمْرُ - : مَوْضِعٌ بَيْنَ
سُوجٍ وَالنَّيْرِ ، بِاللُّعْبَاءِ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ . انْتَهَى . وَتَقَدَّمَ تَحْدِيدُ هَذَا الْمَوْضِعِ ، كَمَا تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى
الْمَوْضِعِ الَّتِي ذَكَرَهَا نَصْرٌ هُنَاكَ .

الجُبُور: من عامر هوازن لا عامر عبدالقيس

وبعد: فقد وصل إليّ كتابكم المؤرخ في ١١/٤/١٤٠٩هـ وجاء فيه :

أن شيخنا أَلغى ملحوظة في كتابنا حيث قلنا (إن الجبور من عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) – فنشكر لشيخنا أن أبدو الملحوظات علينا من أجل أن يرشدنا إلى الصواب .

وشيخنا يعلم أن قولنا هذا موافق لرأيه السابق . أما في الأونة الأخيرة فقد تبين لشيخنا أن الجبور [حكام الأحساء] من عُقيل [من عامر] عبدالقيس .

والرجوع عن الرأي السابق من حق كل باحث . ولما كان صاحب هذا الرأي بحراً عَجَّاجاً ، وسراجاً وهاجاً في هذا الفن ، فإني أرجو منه أن يأذن لي في المناقشة الموضوعية . وهذا من حق التلميذ على شيخه ، إذ كلاهما يرومان الحقَّ ويسألانه . . والحقُّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ . . والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها . وأحبُّ الإشارة إلى الرافد الفيّاض الذي أعانني على المناقشة ، وسوّق البراهين ذلك هو كتاب : – «أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء» للشيخ الفاضل أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري .

وأعود إلى مناقشة أدلة شيخنا التي عوّل عليها واستند إليها . . وأستطيع أن أوجزها في ثلاث نقاط : –

١ – أن بني عامر بن صعصعة هاجرت من موطنها الأصلي في جنوب الجزيرة العربية إلى الشمال واستقرّت في أرياف العراق وأرياف الشام .
ومن المحال أن ترجع من الأرياف إلى الجنوب في البحرين .
والقائل بذلك يعوزه البرهان .

٢ – الاستمساك بقول ابن فضل الله العمري : – ص ١٥١ في كتابه مسالك الأبصار : – (عقيل وهم من آل عامر . قال الحمداي وهم غير عامر المنتفق وغير عامر بن صعصعة . . الخ) .

٣ - ورود اسم عامر ربعة في شرح ديوان ابن المقرب فقد أضاف عامراً إلى ربعة .

وبعد سَوِّق الأدلة بإيجاز نَشْرَع في مناقشتها : -

١ - نسلم لكم أن اتجاه القبائل منذ القدم من الجزيرة إلى أرياف الشام والعراق ..

وحيث طلبتم الدليل على رجوع طائفة من بني عقيل بن كعب بن ربعة بن عامر بن صعصعة فإليك هذان النقلان : -

أ - قول القلقشندي في «نهاية الأرب» - ص ٣٠٥ - :

(بنو عامر: بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية نسبهم بعامر ابن عوف بن مالك بن سعد ، ذكرهم في «العبر» كذا ولم يصل نسبهم بعامر بن صعصعة ثم قال: وهم إخوة بني المنتفق ، ومسكنهم بجهات البصرة قال: وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسين ، غلبوا عليها تغلب . قال ابن سعيد: وملكوا الأرض من بني كيلاية وكان ملكهم في نحو الخمسين من المئة السابعة ملكها منهم عصفور وبنوه . ومن عامر هؤلاء عُقيل بضم العين) . ونقله في «صبح الأعشى» عن ابن سعيد ج ١ ص ٣٤٢ لما تكلم عن بني عقيل بن كعب بن ربعة بن عامر بن صعصعة ، قال ابن سعيد: سألت أهل البحرين في سنة ٦٥١هـ حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا: المملكة فيها لبني عامر بن عقيل وبنو تغلب جملة من رعاياهم) .

ب - قول ابن خلدون في تاريخه ج ٤ ص ٩٢ : - (قال ابن سعيد المغربي: سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة إحدى وخمسين وست عن البحرين فقالوا: - الملك فيها لبني عامر بن عوف بن عقيل وبنو تغلب من جملة رعاياهم وبنو عصفور منهم أصحاب الأحساء) .

٢ - أما قول الحمداني عن بني عامر : وهم غير عامر بن صعصعة وغير عامر المنتفق . فالذي يبدو من هذا النص لِأَوَّل وهلة أن بني عامر هؤلاء ليسوا من عامر

ابن صعصعة . وحيث لم يعزهم إلى قبيلة عربية استفاد منه الشيخ أن المقصود بنو عامر العبَّقيُّون ، لأن قبيلة عبدالقيس من القبائل العريقة الواسعة الانتشار في البحرين . ولكن لو أمعنا النظر وأعملنا الفكر في النصِّ فإنه ليس منه ما يمنع أن المقصود بنو عامر بن ربيعة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

لاسيما وأنه قال غير عامر بن صعصعة و عامر المتفق مع أن المتفق من عامر بن صعصعة . وإلا فما الفائدة من استثناءه عامر المتفق .

فلعله يقصد هنا عامراً القريب الذي ينتسبون إليه ، ويختصون بالإتناء إليه ، من دون دخول بطون عامر بن صعصعة الأخرى ومنها المتفق . . أظن أن المقصود هنا آل عامر بن ربيعة بن عقيل أقرب من قولنا أن المقصود عامر من عبدالقيس . وإن اختلفنا في المقصود من عامر هؤلاء فإن هذا الدليل يتطرق إليه الاحتمال . وكما في القاعدة الأصولية : إذا تطرق إلى الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال . ثم هل نص واحد نشبث - مع أنه غير صريح العبارة - ونترك نصيَّ ابنِ خلدون والقلقشندي الصريحين ؟

- إن ابن خلدون والقلقشندي أثبتا أنهم من عامر بن صعصعة . وأما الحمداني فنفي نسبتهم إليه ولم يُثبِت شيئاً ، والمثبت مُقَدَّمٌ على النافي لأن معه زيادة علم .

وقد يقول شيخنا بعدم الاحتجاج بقوليها لأنها يكتبان عن بعد .

فلا أقول حول هذا الأمر شيئاً سوى الكلام عن ما بين أيدينا .

فابن خلدون والقلقشندي هنا لم يقولوا الكلام من أنفسهم إنما نقلاه عن ابن سعيد . وابن سعيد نقله عن أهل البحرين أنفسهم .

٣ - إضافة شارح الديوان عامر إلى ربيعة . لا إخاله دليلاً لشيخنا على ما يرى . ذلك أن قبيلة عامر بن جذيمة من عبدالقيس لم تكن شهيرة كشهرة بعض القبائل التي تتردد على أسلات الألسن . . فمن البعيد أن يضيف شارح قبيلة عامر العبَّقيَّة إلى ربيعة .

فعامر بن صعصعة وهي أشهر من هذه القبيلة لا تضاف في الغالب – إلى مضر – الجذم المقابل ربيعة – بل تضاف إما إلى هوازن أو إلى قيس عيلان أو إلى والدها صعصعة . فلو كان يقصد عامر بن جذيمة لقالها بهذا اللفظ أو أضافها إلى عبدالقيس .

ولعل مما يؤيد كلامي قول شارح الديوان – أي ديوان ابن المقرب في هذا البيت : –

أقامَ عُهوداً بَيْنَ عَمْرٍو وعامر عَيْبًا على أمر الرِّجالِ انْجِلَّاهُما
بنو عمرو وعامر من قبائل كعب بن ربيعة . وليس في عبدالقيس كعب بن ربيعة . بل موجود في بني عامر . وهو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . فشارح الديوان قد أدرك الأحداث في تلك الأيام ولعله أوفى مصدر نَسْتَمِدُّ منه المعلومات . كما قال شيخنا .

وبعد ذلك أحب سَوْقَ بعض الأمور التي جعلتني أتمسكُ بِرَأْيِ شيخنا القديم : –

١ – أن بعض المؤرخين عندما يورد أحد سادة بني جبر يضيف العقيلي . كالسخاوي في «الضوء اللامع» حيث قال: – ج ١ ص ١٩٠ (أجود بن زامل العقيلي الجبري نسبة لجد له اسمه جبر . .) وكابن لعبون في تاريخه ص ٣١ ، أو يضيف العقيلي العامري كصاحب «نزهة المشتاق» ، ونقل ذلك عنه صاحب كتاب «قبيلة العوازم» ص ٨١ . وأيضاً ابن بسام في «تحفة المشتاق» نقله عن الكتاب مجلة الدارة س ١ ج ٤ ص ٦٧ ، وغيرهم .

والذي يتبادر للذهن عند ذكر العقيلي العامري ، عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ولعل ورود بعض الأبيات من شعراء عاصروهم ومدحوهم مما يقوي ذلك . حيث أوضحوا أنهم من قيس كما سأورده .

٢ – ورود بعض الأبيات التي تدل على أنهم من قيس – وكما هو المعلوم – أن

عامر بن صعصعة من قيس . يقول جعيثن اليزيدي يرثي مقرن بن أجود بن زامل :

وبين أجود سلطان قيسٍ وركنها عن الضيم أوفي العضلات الشدايدُ

ويقول الجليفي في مدح مقرن بن غصيب بن زامل :

ومواقف أسلاف قيسٍ مخلفة فيها الوحوش رُواعِدٍ همَّالها
وإن كان شيخنا لا يرى الاحتجاج بهذا الشعر فهو مما يذكر للاستئناس .
وكذلك يكون من المرجحات عند انتفاء مايبث في الأمر .

٣ - أن انتساب الجبور إلى بني عامر بن صعصعة مستفيض عند الناس وعند الجبور أنفسهم . فإن كان شيخنا لا يرى شيئاً من الأدلة التي أوردنا فيه دلالة واضحة فإن لديه قاعدة شهيرة - وإن كانت لا تصدق في كل شيء - هي : (الناس مأمونون على أنسابهم) .

٤ - أن هذا كلام كثير من النسابين كالغزالي والسيابي وظاهر كلام الشيخ الحقييل يدل على ذلك .

وأظن أن شيخنا - وفقه الله - هو السابق إلى هذا القول فلم أر أحداً قبله قاله . وفي نهاية المطاف : - أرجو من شيخنا الجليل أن يرد على كتابنا بالأدلة المفصلة التي ربما لم أطلع عليها ويأخذ بيدي إلى الصواب فما أردت إلا هو .

منصور بن زيد بن سعود المانع العقيلي

كلية الشريعة - الرياض

العرب : يحتاج الموضوع إلى دراسة واسعة ، قد تَتِمُّ وتُنشر قريباً - إن شاء الله - .

مكتبة العرب

* «ديوان ابن معصوم» :

ابن معصوم هو علي بن أحمد بن محمد بن معصوم الحسيني نسبا المدني ، ولد في المدينة المنورة في جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وألف ، وتنقل بين الهند وبلاد فارس حتى توفي سنة (١٢٢٠) وله مؤلفات من أشهرها « سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر » طبع بمصر سنة (١٣٢٨) ورأيت منه نسخة مخطوطة متقنة الكتابة محتومة بختمه في مكتبة آل الجشي في القطيف ، ومما نشر من مؤلفاته رحلته إلى الهند « سلوة الغريب وأسوة الأريب » نشرت في مجلة « المورد » في المجلدين الثامن والتاسع بتحقيق الأستاذ شاكر هادي شكر ، الذي قام بتحقيق « ديوان ابن معصوم » ونشره ، فصدر في طباعة حسنة في (٦٧٢) صفحة مصدراً بترجمة لابن معصوم ويوصف لمخطوطات الديوان التي عول عليها المحقق ، وطبع في بيروت (بدون ذكر اسم المطبعة) وصدر سنة ١٤٠٨ هـ . (١٩٨٨ م) .

* «المقفى الكبير» :

كتاب « التاريخ الكبير المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها » من مؤلفات تقي الدين المقرئ مرتب على حروف المعجم ، ولا يوجد الكتاب كاملاً بل أجزاء من مسودات مؤلفه مفرقة في مكتبات متفرقة . وقد قام الأستاذ محمد اليعلاوي باقتطاف تراجم منه عنوانها : « تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية » بلغت (٧٧) ترجمة ، ينقل جامع هذه التراجم الترجمة من أصل كتاب المقرئ ، ثم يتبعها بتعليق يوضح فيه مصدر الترجمة ، وما يضيفه إليها من معلومات ذات صلة بها تكملها أو تفصل ما أجملته .

وجاءت هذه التراجم محققة مفهومة مطبوعة طباعة جيدة ، ورقاً وحروفاً وحسن ترتيب في (٤٨٨) صفحة من منشورات دار الغرب الإسلامي والطباعة في بيروت ، وتاريخ الطبع ١٤٠٧ هـ .

نتيجة مسابقة أرامكو السعودية السنوية العاشرة لرسوم الأطفال



وقع اختيار لجنة التحكيم على مائة وخمسين لوحة، وذلك من بين ما يزيد على خمسة آلاف أربعمائة لوحة من الرسوم الجيدة التي تنم عن كثير من الأصالة والافتقار لقد زيد عدد اللوحات المختارة مؤخرًا نتيجة لتقارب المستويات الفنية للوحات واتساعها بالجوادة والجمال، وإن دل ذلك على شيء، فإنه يدل على المستوى الطيب الذي وصل إليه أطفال مملكتنا الحبيبة في هذا الصغار

لقد تمت الاتصال برقيات أصحاب اللوحات المختارة، كما تمت تسليم معظم الجوائز، وإن إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لطيب لها أن تنهض هذه الفرصة لتعرب عن بالغ شكرها لجميع الذين شاركوا في المسابقة ولاستادة والمسؤولين في المدارس في جميع أنحاء المملكة لسماهمتم في إنجاح هذه المسابقة وإظهارها بهذا الظهور الجيد. كما تجدد الدعوة لجميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلم عنها في بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله.

والله ولي التوفيق.

فيما يلي أسماء أصحاب اللوحات التي اختارتها اللجنة:

خالد بن عبد الرحمن آل سعود
مدرسة الرياض - الرياض
خالد حماد مطر العنزي
مدرسة طارق بن زياد - عرعر
خالد صبحي معيوف
متوسطة سعيد بن مسعود - عرعر
خميس عوض سويلم
المدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر
خالد محمد سالم القحطاني
متوسطة وتاريخية أم القرى - الجبل
خلف راشد المنزي
المدرسة الحميدية - هجر الباطن
ديمه عوضه
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض
رامي عبد الرحيم واكد أبو عقيل
المدرسة السعودية الابتدائية - الطائف
ريم مصطفى الحموي
مدرسة الروضة الأهلية - الطائف
ريم عبد الله العصار
المدرسة النخيلية - جدة
رائد جهمان الدهوسري
مدرسة الفناثير الابتدائية - الجبل
رامي حسين فياض
مدرسة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران
رحاب محمد شعبان
المدرسة العصرية الإسلامية - الخبر
رنا محمد زكي قطان
مدرسة الرياض - قسم الروضة - الرياض
رشاع عبد المجيد عبد الله الوهيب
مدرسة الرياض - الرياض
زات المعاني
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض
رافع حايي سعيد الرويحي
مدرسة محمد بن عبد العزيز - طريف
راكان سلطان شريده
مدرسة ابن جبير الابتدائية - عرعر
زهير صالح سعيد نشو
مدرسة عبد الرحمن بن أبي بكر الابتدائية - جدة
سارة العذل
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض
سما شتا
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض

إيمان محمد جمال شاهين
المدرسة التاسعة للبنات - الرياض
بدر فريد عبد الرحمن
مدرسة الفناثير الابتدائية - الجبل
ياسر فهد إبراهيم السلطان
مدرسة الرياض الأهلية للبنات - الرياض
بندر عبد الله محمود قشلان
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف
بتول أحمد مصطفى محضر
مدرسة الرياض - قسم الروضة - الرياض
البندري الحصان
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض
بلال إبراهيم منسي العمري
مدرسة متوسطة العوييلية - عرعر
ترك عبد الله الكريديس
مدرسة أسير بن هبيرة الابتدائية - جدة
تفريد فوزي رضا السعيد
مدرسة الرياض - الرياض
ثامر فوزي صالح صفوري
مدرسة ابن جبير الابتدائية - عرعر
ثامر عبد الله الرحيبي
مدرسة الفناثير الابتدائية - الجبل
جمال محمد مرشد اليماني
مدرسة الفصحى النموذجية - الرياض
حافظ شريف الطرباق
مدرسة الفناثير الابتدائية - الجبل
حسان عبي محمد شعاعي
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف
حسنة خليل العموي
مدرسة الرياض الأهلية - الرياض
حسين هيثم الروماني
المدرسة النموذجية الأهلية - الدمام
الحميدي محمد حمد العنزي
مدرسة متوسطة العوييلية - عرعر
حيدر السيد محمد الهاشم
المدرسة المتوسطة - رفحاء
خالد نايف العنزي
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - عرعر
خالد عبد العزيز الصقر
مدرسة الرياض الأهلية للبنات - الرياض

إبراهيم عتاد لا بد
مدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر
أحمد ميس الرويحي
مدرسة محمد بن عبد العزيز - حريب
أحمد فريد عيسى
متوسطة سعيد بن مسعود - عرعر
أحمد عبد الفتاح الجرداوي
مدرسة محمد بن عبد العزيز - عرعر
أحمد محمد لبيب مطاوع
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر
أحمد حامد قاسم علام
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر
أحمد عايد غصاب الضويحي
مدرسة محمد بن عبد العزيز الابتدائية - طريف
أحمد عبد العال محمد جاد المولي
مدرسة العوييلية الابتدائية - عرعر
إياد حاتم محمد أبو ريدة
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر
أسماء نونيل
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض
أسماء أحمد رافت عبد النعم
مدرسة ١٤٣ الابتدائية للبنات - الرياض
إيمان الملا
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض
أمينة بحري
مدرسة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
إيمان إبراهيم محمد رويدار
بواصة والرها - مستشفى الملك فهد (قسم المنزلة) - الطائف
أمجد عبد المجيد الربيعي
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع
أحمد محمود الجندي
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع
أمل عايد المشعبي
مدرسة الروضة الأهلية - الطائف
إيهاب محمد طه كرسوم
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع
أنوار بنت أحمد محمد الدهش
مدرسة الرياض للبنات - الرياض

أرامكو